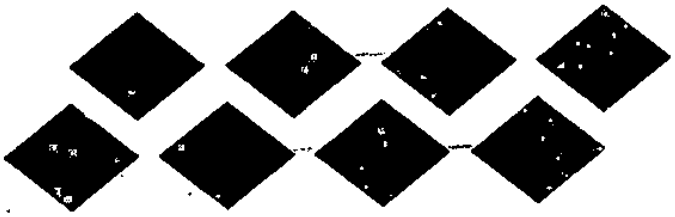

مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

الأساليب التعليمية في سنة خير البرية

(صلى الله عليه وسلم)

دكتور

حسن محمد أحمد محمد

مدرس الحديث وعلوم السنة

مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَه إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَه لَا شَرِيكَ لَهُ ،وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[2]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[3][4] .

أَمَّا بَعْدُ : " فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ،وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ،وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ،وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ،وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ،وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ "(٥) وبعد :فإن

---

[1]- سورة آل عمران آية رقم ١٠٢

[2]- سورة النساء آية رقم ١

[3]- سورة الأحزاب آية رقم ٧٠ - ٧١

[4]- هذه خطبة الحاجة أخرجها أبو داود في كتاب النكاح ،باب خطبة النكاح ،واللفظ له (٢/٢٠٣ح ٢١٢٠) ، وقال الشيخ الألباني : حديث صحيح ،والترمذي في كتاب النكاح ، باب ما جاء في خطبة النكاح ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقال أبو عيسى : حديث حسن " من طريق الأعمش عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله رضي الله عنه ، وذكر طريقاً آخر وهو عن شعبة عن أبي إسحاق عن أبي عبيدة عن عبد الله ثم قال : وكلا الحديثين صحيح لأن إسرائيل جمعهما فقال :عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص وأبي عبيدة عن عبد الله رضي الله عنه (٣/٤١٣ح ١١٠٥) ،و النسائي في كتاب النكاح ،باب ما يستحب من الكلام عند النكاح ٦/ ٨٩ ح ٣٢٧٧ ،وابن ماجة في كتاب النكاح ،باب خطبة النكاح ١/ ٦٠٩ ح ١٨٩٢ ،و الدارمي في كتاب النكاح ،باب في خطبة النكاح ٢/ ١٩١ ح ٢٢٠ و أحمد ٤/ ٤٧٧ ح ٢٧٤٩ .

٥- أخرجه النسائي في كتاب صلاة العيدين ،باب كيف الخطبة ،واللفظ له ٣/ ١٨٨ ح ١٥٧٨قال الشيخ الألباني : حديث صحيح ،وابن ماجه في افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم ، باب اجتناب البدع والجدل ١/ ١٨ ح ٤٦ .

الأساليب التعليمية في السنة النبوية أرقى الأساليب البيانية البشرية ، وكيف لا ؟ ، وصاحبها أمير البيان ، وسيد الفصاحة ، وسلطان البلاغة .

وعظمة البيان النبوي كامنة في تنوع أساليبه التي استفادت منها البشرية كلها ، ولقد تنوعت الأساليب التعليمية عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعايش في كلامه الحدث والحديث ، ويراعي حاجة المستمعين .

أما معايشته الحدث :-

فقد كان يتفاعل مع الحدث ، ويظهر عليه الرضا أحيانا ، والغضب أحيانا أخرى ، ويظهر هذا على تعبيرات وجهه ، ونبرات صوته ، وحركات بدنه .

وأما معايشته للحديث :-

فقد تنوعت أساليب حديثه ، من حيث تنوع أساليب استفهامه ، فمرة يستخدم الاستفهام التقريري ، ومرة يستخدم الاستفهام الإنكاري ، أو يقوم بطرح الألغاز ، وتتنوع أساليب إجابته ، فمرة يستخدم الأسلوب الحكيم في إجابته ، ومرة يستخدم التصريح ،ومرة التلميح ، ومرة يذكر الشئ مع ذكر علته .

ويستخدم عوامل مساعدة ، ووسائل تعليمية متعددة لتوصيل المعلومة ويتمثل هذا في :-

إجابته بذكر الأمثال تارة ،وبقرن إجابته بالإشارة تارة ، ومرة يقرنها بالإيماء ،أو بالعد على الأصابع ، أو بالعقد عليها أو الخط على الأرض ، أو استخدام الأسلوب العملي .

ويستخدم المؤثرات الخارجية التي تجذب انتباه المستمع إليه فتعين على فهم ما يقول ويتمثل هذا في : -

ندائه على المستمعين ،وحثهم على الاستماع طلبا لإقبالهم عليه ،ولإعلامهم بأهمية ما يقال بعد النداء . وهو إذ يعلم الناس يقبل عليهم بوجهه ، ومرة يقرن إجابته بحركة البدن بتغيير هيئته ، وحالته،وتغيير تعبيرات وجهه ،ونبرات صوته ، ويكرر بعض الجمل لوجود مقتضى لذلك ،وهو في كل ما سبق يبتعد عن التكلف في الكلام ،ويأتي كلامه غاية في الوضوح ، ولا يشق على صحابته ، ويوصل لأمته من بعده فيجعل الوعظ مرة بعد مرة .

وينوع في أساليب توصيل المعلومة فيكون تعليمه بالحوار تارة ، و يستخدم أسلوب التشويق تارة ، ومرة يكون التعليم بسرد القصص ، ومرة تكون إجابته باستخدام اللف والنشر بنوعيه ، ومرة يسكت قبل إجابته على السؤال حتى إذا أجاب استوعبه السامع .

ومن حيث مراعاته للمستمعين :-

فإنه يراعي الفروق الفردية للمستمعين ، كما أنه لا يقطع إجابته لسؤال السائل قياما بحق المستمع في حقه في استماع الحديث بدون فصل ،أو تشويش ، وبيانا بأن حق المتكلم أن لا يقطع حبل تفكيره ، وتسلسل أفكاره ، وغير ذلك من أساليب تناولتها في بحثي هذا .

هذا وقد قسمت هذا البحث إلى :-

مقدمة ، وأربعة مباحث ،وخاتمة، وفهرس للمصادر، والمراجع ، وفهرس للموضوعات .

أما المقدمة : -

فقد تحدثت فيها عن تنوع أساليب النبي صلى الله عليه وسلم في الاستفهام ، والإجابة ، ومراعاة المستمعين .

وأما المبحث الأول : تنوع أساليب الاستفهام وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أساليب الاستفهام .

المطلب الثاني : طرح الألغاز .

وأما المبحث الثاني : تنوع أساليب الإجابة وفيه ثمانية مطالب : -

المطلب الأول : الأسلوب الحكيم .

المطلب الثاني : أسلوب التشويق .

المطلب الثالث : ذكر الشئ مع ذكر علته .

المطلب الرابع : استخدام اللف والنشر .

المطلب الخامس : استخدام أسلوب الحوار في التعليم .

المطلب السادس : التعليم عن طريق سرد القصص .

المطلب السابع : التعقيب على إجابة المتعلم .

المطلب الثامن : أن يقول المعلم ،والطالب فيما لا يدرى لا أدرى .

وأما المبحث الثالث : استخدام عوامل مساعدة على الفهم وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : الإشارة بالأصابع ،والعقد عليها ، و العد عليها ، وتشبيكها .

المطلب الثاني : الخط على الأرض .

المطلب الثالث : الاستشهاد بالأمثلة .

المطلب الرابع : الأسلوب العملي في التعليم من المعلم ،والمتعلم .

وأما المبحث الرابع : استخدام المؤثرات الخارجية لاستدعاء انتباه السامع ، ومراعاة الفروق الفردية للمستمعين ومراعاة حق المتكلم والمستمع وفيه تسعة مطالب : -

المطلب الأول : النداء على المستمعين ،وحثهم على الاستماع .

المطلب الثاني : الإقبال على الناس بوجهه .

المطلب الثالث : تغيير نبرات الصوت ، وتعبيرات الوجه .

المطلب الرابع : تغيير الحالة ،أو الهيئة.

المطلب الخامس : تكرار بعض الجمل ،ووضوح الكلام .

المطلب السادس : عدم التكلف في الكلام .

المطلب السابع : مراعاة الفروق الفردية .

المطلب الثامن : عدم قطع الكلام لإجابة السائل ،والسكوت قبل الإجابة .

المطلب التاسع : الوعظ مرة بعد مرة.

وأما الخاتمة : فقد ذكرت فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج ، وتوصيات من خلال البحث

وأما فهرس المصادر والمراجع : فقد ذكرت فيه كل ما رجعت إليه من مصادر ، ومراجع ،بذكر اسم المرجع ، ومؤلفه ، ومكان الطبع وسنته إن وجد .

وأما فهرس الموضوعات : فقد ذكرت فيه موضوعات البحث .

هذا وقد كان منهجي في البحث على النحو الآتي : -

أولا : خرجت الآيات القرآنية الواردة في البحث بذكر اسم السورة ، ورقم الآية ، وكتبتها بخط مميز من المصحف العثماني خشية الخطأ.

ثانيا : خرجت الأحاديث التي وردت في ثنايا البحث من مصادر الحديث الأصلية بذكر اسم الكتاب ، والباب ، ورقم الجزء ، والصفحة ، ورقم الحديث إن وجد ، فإذا كان الحديث في الصحيحين ،أو في أحدهما اكتفيت بهذا التخريج ، وإذا كان في الكتب التسعة

أو في أحدها اكتفيت بالتخريج ، أما إذا لم يكن فيها ، أو في أحدها استوعبت في التخريج

ثالثا : خرجت الآثار التي وردت في ثنايا البحث من كتب الأحاديث ، والآثار .

رابعا : ترجمت للأعلام الذين ورد ذكرهم في البحث ترجمة موجزة ،وذكرت المصادر ،أو المراجع التي رجعت إليها .

خامسا : بينت الكلمات الغريبة التي وردت في البحث من كتب غريب الحديث والأثر ، ومن كتب المعاجم .

سادسا : بينت بعض الأماكن التي وردت في البحث من كتب معاجم البلدان .

سابعا : نسبت الأقوال لقائليها بذكرها بالنص ، أو بتصرف ، أو تصرف يسير ، ثم ذكرت المصدر ، أو المرجع الذي ذكر فيه هذا القول.

ثامنا : لا أذكر طبعات المصادر ، والمراجع التي رجعت إليها في أثناء البحث ، وأذكرها في فهرس المصادر ،والمراجع بذكر اسم الكتاب ، ومؤلفه ، ومكان الطبعة ، وتاريخها إن وجد.

وأخيرا فهذا جهد المقل ، فإن كنت وفقت فمن الله تعالى ، وإن كانت الأخرى فحسبي أني قد حاولت وتلمست طريق العلماء السابقين ، وتشبهت بهم وإن كان مقامي قاصر عن هذا المقام المنيف ، والله أسأل أن يجبر كسرنا ، وأن يقيل عثرتنا ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

المبحث الأول

تنوع أساليب الاستفهام

المطلب الأول : أساليب الاستفهام .

المطلب الثاني : طرح الألغاز .

المطلب الأول

أساليب الاستفهام

أساليب الاستفهام عند رسول الله ﷺ متنوعة على حسب الأحوال ، والمقامات ، وكذلك الإجابة عند الصحابة متنوعة على حسب مقتضى الحال فهم يجيبون على مقدار علمهم ،ومعارفهم ، ومرة يردون العلم إلى الله تعالى ،وإلى رسوله.

أما التساؤل فقد يرد ،ويعقبه الجواب للفت الأنظار، وتوجيه انتباههم إليه ؛لأن إبراز المعلومة عن طريق السؤال يجعل المستمع يعمل ذهنه ؛ حتى إذا أجاب النبي ﷺ بعد إتعاب المستمع لذهنه رسخت الإجابة في ذهنه فلا ينساها ،بخلاف أن يصرح بالمعلومة ابتداء دون عناء ،ومشقة فإنها ما تلبث أن ينساها .

ومن أمثلة ذلك حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ :« أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ ». قَالُوا : الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لاَ دِرْهَمَ لَهُ ،وَلاَ مَتَاعَ فَقَالَ :« إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمتي من يأتي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاَةٍ ،وَصِيَامٍ ،وَزَكَاةٍ ،ويأتي قَدْ شَتَمَ هَذَا ،وَقَذَفَ هَذَا ،وأَكَلَ مَالَ هَذَا ،وَسَفَكَ دَمَ هَذَا ،وَضَرَبَ هَذَا ،فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ ،وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ،ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ ».[1] . فقوله " أتدرون من المفلس ؟ هذا سؤال إرشاد لا استعلام ولذلك قال : إن المفلس هو كذا، وكذا ،وكأن النبي ﷺ أراد أن يرشدهم إلى أن المفلس ليس هو الذي يعرفه ،ويعرفونه ،وهو من لا درهم له ،ولا متاع ،ولذلك كانت إجابة الصحابة قالوا: المفلس فينا في أمر الدنيا فبين لهم النبي ﷺ أن المفلس الحقيقي هو الذي يكون معه يوم القيامة حسنات فيخسرها بما فعله من المعاصي ذلك لأن المفلس في الدنيا من تبدل حاله من اليسار إلى الإعسار.

وإن قيل كان ينبغي على الصحابة أن يردوا العلم إلى الله ،ورسوله ؛لأن الإجابة التي قالوها واضحة عند رسول الله ﷺ قلت: إن الصحابة قد علموا من رسول الله ﷺ بلسان

١- أخرجه مسلم في كتاب الأدب ، باب تحريم الظلم ٤/١٩٩٧ح٢٥٨١.

الحال أراد منهم الإجابة الظاهرة ،ليؤيدهم عليها أو يظهر لهم الجواب الصحيح ،كما أنهم ردوا العلم إلى الله ،ورسوله في أمر الآخرة ،والحكم النهائي حيث قالوا : المفلس فينا أي بيننا ،وفي عرفنا وفي دنيانا أما غير ذلك فعلمه عند الله تعالى [1] . والله أعلم

ومن أمثلة الاستفهام الإرشادي قوله ﷺ من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ- :« مَا تَعُدُّونَ الرَّقُوبَ فِيكُمْ ». قَالُوا : هُوَ الذي لاَ يُولَدُ لَهُ. قَالَ :« لَيْسَ ذَاكَ بِالرَّقُوبِ وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ الذي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا ». قَالَ :« فَمَا تَعُدُّونَ الصُّرَعَةَ فِيكُمْ ». قَالُوا : الذي لاَ تَصْرَعُهُ الرِّجَالُ قَالَ :« لَيْسَ بِذَاكَ وَلَكِنَّهُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ » [2] .

فالنبي ﷺ يسألهم عن الرقوب ،وعن الصرعة ليجيبوه بما يعرفون ،وما ظهر من معنى الرقوب ،والصرعة وبعد ذلك يصحح لهم المفاهيم فإذا فعل هذا رسخت الإجابة في أذهانهم وحصل لهم العلم أن المفهوم الشرعي للأشياء هو المعتبر لا المفهوم اللغوي ،أو العرفي ففي الحديث "الرقوب " في مفهوم الصحابة هو الذي لا يعيش له ولد ،وهو ليس كذلك شرعاً ،بل هو الذي لا يموت له ولد في حياته فيحتسبه فيكون له ثواب الصبر ،والاحتساب ،ويكون له فرطاً ،وسلفاً ،وكذلك يعتقدون أن الصرعة هو الرجل الذي لا يصرعه الرجال ،وليس كذلك شرعاً إنما الصرعة هو الذي يملك نفسه عند الغضب[3] ، وكل هذا من قبيل ضرب المثل وتحويله عن أمر الدنيا إلى أمر الآخرة [4] ،والنبي ﷺ إذ عرف الرقوب بهذا المعنى الشرعي ،وكذلك الصرعة لم يبطل معناهما اللغوي ،ولكن إشارة إلى مفهومها الشرعي الصحيح [5] ،وكذلك جواب النبي ﷺ ببيان معنى الرقوب ،والصرعة شرعا فيه دلالة على أن المعتبر هو المعنى دون الصور والمعاني اللغوية لأنهم ألفوا أن الرقوب هو المحزون الذي لم يعيش له ولد فبين النبي ﷺ بأن الرقوب هو : الذي حرم ثواب الصبر ،والاحتساب يموت ولد له في حياته

---

[1] – ينظر تحفة الأحوذى ٨٦/٧ .

[2] – أخرجه مسلم في كتاب الأدب ، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب ،وبأي شئ يذهب الغضب ٢٠١٤/٤ح ٢٦٠٨.

[3] – ينظر شرح النووي على مسلم بتصرف ١٦٢/١٦

[4] – ينظر عون المعبود ٢٥٤/١٠

[5] – ينظر فيض القدير ٧٥/٤.

،وألفوا كذلك أن الصرعة هو الرجل الذي يصرع الرجال ولا يصرعه الرجال فبين لهم النبي ﷺ أن الصرعة الحقيقية هي بخلاف هذا ،وإنما هي شدة ملكة النفس عند الغضب [1].،ونلاحظ تفاعلا بين النبي ﷺ، وبين الصحابة حيث يبدأهم بالسؤال عن الرقوب ،والصرعة فيجيبون بما يعرفون ، فيصوب لهم فهمهم لمعنى للرقوب ، والصرعة غير ناف لمعناهما اللغوي ،ولكن مبينا المعني الشرعي المراد منهما في هذا الموطن .

وربما كرر الاستفهام زيادة في جذب انتباه السامعين إليه لأهمية ما يقوله في الجواب على هذا الاستفهام ومن ذلك قوله ﷺ " من حديث أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ ثَلاثًا؟ قَالُوا: بَلَى يا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: الإِشْرَاكُ بِاللهِ ،وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ ، وَكَانَ مُتَّكِئًا فجلس فَقَالَ : أَلا وَقَوْلُ الزُّورِ قَالَ: فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا : لَيْتَهُ سَكَتَ(٢) فأداة الاستفهام الهمزة في قوله ألا للتنبيه ،والحض على ضبط ما يقال بعدها ،وفهمه على وجهه ،وهذه الرواية اشتملت على وسيلتين للتنبيه ،وجذب انتباه السامع وهما التكرار، والاستفهام.(٣)

وقد يسأل الرسول ﷺ الصحابة عن أشياء يعرفونها وهي ثابتة عندهم لكن يسألهم عنها مقارنة بغيرها كما أنه يغرس فيهم التسليم للشرع ،وعدم التقديم بين يدي الله ،والرسول ﷺ ففي خطبة الوداع قال رسول الله ﷺ كما في حديث أَبِي بَكْرَةَ : أَنَّ النبي –صلى الله عليه وسلم– خَطَبَ النَّاسَ بِمِنًى فَقَالَ :« أَتَدْرُونَ أي يَوْمٍ هَذَا؟ ». قَالَ قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ يُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ ثُمَّ قَالَ :« أَلَيْسَ يَوْمُ النَّحْرِ؟ ». قُلْنَا : نَعَمْ. قَالَ :« أي بَلَدٍ هَذَا؟ ». قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ :« أَلَيْسَ بِالْبَلَدِ؟ ». يَعْنِى الْحَرَامَ قُلْنَا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ :«فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ ،وَأَعْرَاضَكُمْ ،وَأَبْشَارَكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ؟ ». قُلْنَا : نَعَمْ. قَالَ :«

---

[1] – ينظر كشف المشكل من حديث الصحيحين ٢٢٢/١.

[2] – أخرجه البخاري في كتاب الشهادات ،باب ما قيل في شهادة الزور ١٧٢/٣ح٢٦٥٤ ،وسلم في كتاب الإيمان ،باب بيان الكبائر وأكبرها ٩١/١ح ٨٧.

[3] – ينظر دراسات في الحديث النبوي د/ محمد لقمان الأعظمى النووي ص ١٩٢ ، المعلم الأول ﷺ ١٥٦/١.

اللَّهُمَّ اشْهَدْ لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ فَإِنَّهُ رُبَّ مُبَلَّغٍ يُبَلِّغُهُ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ فَكَانَ كَذَلِكَ وَقَالَ : أَلاَ لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِى كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ »[1].

قال القرطبي رحمة الله : سؤاله ﷺ عن الثلاثة وسكوته بعد كل سؤال منها كان لاستحضار فهومهم ،وليقبلوا عليه بكليتهم ،وليستشعروا عظمة ما يخبرهم عنه ،ولذلك قال بعد هذا : فإن دماءكم ،وأموالكم ،وأعراضكم مبالغة في تحريم هذه الأشياء[2].

وربما يُسأل النبي ﷺ عن شئ ، فيجيبهم بسؤال عن أشياء ثابتة عندهم من الطبيعة لها تعلق بالإجابة فيجيبون بما يعرفون ، حتى إذا أجاب عن سؤالهم عملوا مقارنة بين ما سألهم به ، فأجابوا ،وما أجابهم عليه فيربطوا بين السؤال والإجابة فترسخ الإجابة في أذهانهم وتتضح عندهم ، ومن ذلك حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّاس قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ: هَلْ تُمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ قَالُوا :لاَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: فَهَلْ تمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ قَالُوا :لاَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتْبَعْهُ الحديث[3] .

فهم سألوه عن رؤية الله تعالى يوم القيامة ،وهو سألهم عن رؤية القمر ليلة البدر ،والشمس ليس من دونهما سحاب فأجابوا أنهم يرونهما واضحين ، فأجابهم أنهم يرونه رؤية واضحة مثل رؤية القمر والشمس ،الملاحظ في الأسئلة السابقة أن الرسول ﷺ لم يعين شخصاً بعينه للإجابة على الأسئلة المطروحة ، بل كانت عباراته بصيغة الجمع غالباً وهذا يفيدنا في أن المعلم ينبغي عليه أن يطرح السؤال أولا لكي يشترك الطلاب جميعهم في إيجاد جواباً للسؤال المطروح ،ثم إنه من المستحسن للمعلم أن يترك وقتاً مناسباً قبل الشروع في سماع إجابة الطالب ،وذلك لأن قدرات الطلاب العقلية تختلف وتتباين من فرد لآخر ، فبعضهم سريع استحضاره وبعضهم دون ذلك بمراحل وبهذا

---

[1] – أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب قول النبي ﷺ : رب مبلغ أو عى من سامع ١/٢٤ح٦٧ ، ومسلم في كتاب القسامة ، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأقوال ٣/١٣٠٥ ح١٦٧٩ .

[2] – ينظر فتح الباري ١/١٥٩ .

[3] – أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ،باب قوله تعالى [وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ . إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ] [القيامة: ٢٢، ٢٣] ٩/١٢٧ح٧٤٣٤ و مسلم في كتاب الإيمان ،باب معرفة طريق الرؤية ١/١٦٤ح١٨٢.

يتبين خطأ ما يفعله بعض المعلمين من سؤال طلابهم حسب قائمة معينة من الأسماء ، أو حسب مقاعدهم ، لأن هذه الطريقة تجعل الطلاب الآخرين الذين لم يقع عليهم الاختيار لا يتكلفون عناء البحث عن الإجابة اكتفاء بتعيين الطالب من قبل معلمهم ، نعم قد يسأل المعلم بعض طلابه في حالات معينة كأن يريد المعلم أن يفاجئ طالباً معيناً ، ليستخبر حاله ، أو لينبهه من غفلته ونحو ذلك قد يكون الاستفهام في أول الحديث ،وقد يكون في أثنائه بحسب ما تقتضيه الحاجة[1].

وقد يستخدم النبي ﷺ الاستفهام التقريري مع الصحابة فيقررهم بما حدث منهم حتى إذا أقروا وضح لهم الصواب فيرسخ في أذهانهم فيمتنعون فعل هذا الأمر مرة ثانية وهذا أزجر لهم ، وأنفع ، ومثال ذلك حديث أنس رضي الله عنه قال : جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ،وَمَا تَأَخَّرَ؛ قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا؛ وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ؛ وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا ،وَكَذَا؛ أَمَا وَاللهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي ،وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ؛ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي "[2] .فالنبي ﷺ يقررهم بما قالوا بالاستفهام التقريري ثم أجاب مقدماً في الذكر الرد على ما بنوا عليه أمرهم من الصيام بلا إفطار أبداً ، والقيام في الصلاة بلا نوم ، وعدم الزواج أبداً وهو أن المغفور له لا يحتاج إلى مزيد عبادة بخلاف غيره فأعلمهم أنه مع كونه يشدد في العبادة غاية الشدة أخشى لله ،وأتقى من الذين يشددون ، فقال لهم مع أنى مغفور لي فإني محتاج للعمل لكنى لا أتشدد فيه لا لأني أقل خشية وتقوى بل أنا أشد خشية وتقوى ولكن لبيان أن أمر الدين مبنى على التيسير[3] .

---

[1] – ينظر المعلم الأول ﷺ ١/١٥٨ -١٥٩.

[2] – أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح ٧/٢ح٥٠٦٣، ومسلم في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنه واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم ٢/١٠٢٠ ح ١٤٠١.

[3] – ينظر عمدة القاري ٢٩/١٧٥.

ويستخدم النبي ﷺ الاستفهام الإنكاري للدلالة على حرمة الشئ الذي فعلوه ولا شك أنه أبلغ في زجر من فعله لأنه فعله بعد سبق نهي النبي ﷺ عنه ، ومنه حديث جابر رضي الله عنه : أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم مُرَّ عَلَيْهِ بِحِمَارٍ قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ « أَمَا بَلَغَكُمْ أَنِّى قَدْ لَعَنْتُ مَنْ وَسَمَ الْبَهِيمَةَ فِي وَجْهِهَا ،أَوْ ضَرَبَهَا فِي وَجْهِهَا ». فَنَهَى عَنْ ذَلِكَ.[1]، فالاستفهام في قوله أما بلغكم بالهمزة ، وفيه إنكار شديد على من ارتكب هذا الفعل بعد علمه بنهي النبي صلى الله عليه وسلم لمن يفعل هذا الفعل .

ويستخدم النبي ﷺ الاستفهام الإنكاري بدون أن يذكر من ينكر عليهم الإتيان بهذا الفعل كما في حديثْ عَائِشَةَ رضي اللَّهُ عَنْهَا: قَامَ رَسُولُ اللَّه – ﷺ – فِي النَّاسِ فَحَمِدَ اللَّهَ ثُمَّ قَالَ :« أَمَّا بَعْدُ : فَمَا بَالُ نَاسٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّه تَعَالَى مَنِ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَهُوَ بَاطِلٌ ،وَإِنْ كَانَ مِائَةَ شَرْطٍ قَضَاءُ اللَّهِ أَحَقُّ ،وَشَرْطُ اللَّهِ أَوْثَقُ ، وَإِنَّمَا الْوَلاَءُ لِمَنْ أَعْتَقَ »[2] فقول النبي ﷺ فما بال أقوام فيه استفهام إنكاري لمن يشترط شروطاً ليست في كتاب الله ،ولا في سنة رسول الله ﷺ ،وكان يستطيع النبي ﷺ أن يأتي بالأسلوب الخبري لكن آثر الأسلوب الإنشائي باستخدام الاستفهام لأنه أبلغ في الزجر ، وأكثر جذباً لانتباه السامع ،لأنه له وقع في أذن السامع ،وأكثر جذباً للانتباه .

وقد يستخدم النبي ﷺ الاستفهام المتضمن معنى النفي مثل قوله ﷺ " خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل شطر أمتي الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم ،وأكفي أترونها للمؤمنين المتقين ؟ لا،ولكنها للمذنبين المتلوثين الخطائين "[3] [4] فقول النبي ﷺ " أترونها " استفهام إنكاري متضمن معنى النفي والمراد " لا تظنون الشفاعة التي اخترتها للمتقين لا إنما هي للمذنبين العاصين ، كان يمكن صياغة هذه الجملة من النبي

---

[1] – أخرجه بهذا اللفظ أبو داود في كتاب الجهاد ،باب النهي عن الوشم في الوجه والضرب في الوجه ، وقال الشيخ الألباني : حديث صحيح ٣٣١/٢ ح ٢٥٦٦ ، وبلفظ ليس فيه أما بلغكم أخرجه مسلم في كتاب اللباس ،والزينة ،باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه ١٦٧٣/٣ .

[2] – أخرجه البخاري في كتاب البيوع ،باب إذا اشترط شروطاً في البيع لا تحل ٧٣/٣ ح٢١٦٨ ، ومسلم في كتاب العتق ، باب إنما الولاء لمن أعتق ١١٤١/٢ ح ١٥٠٤

[3] – أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد ، باب ذكر الشفاعة ١٤٤١/٢ ح٤٣١١ ، وأحمد ٣٢٧/٩ح٥٤٥١ .

[4] – ينظر التيسير بشرح الجامع الصغير ١٠٨٣/١.

ﷺ بأن يقول :" بأن الشفاعة للمذنبين ولكن صاغها بأسلوب الإنشاء مستخدماً الاستفهام لأنه أبلغ في توصيل المعلومة وجذب انتباه السامع .

وفي حديثْ جَابِرٍ، قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ زَائِرًا فِي مَنْزِلِنَا، فَرَأَى رَجُلًا شَعِثًا ، فَقَالَ: " أَمَا كَانَ يَجِدُ هَذَا مَا يُسَكِّنُ بِهِ رَأْسَهُ ؟"، وَرَأَى رَجُلًا عَلَيْهِ ثِيَابٌ وَسِخَةٌ، فَقَالَ: " أَمَا كَانَ يَجِدُ هَذَا مَا يَغْسِلُ بِهِ ثِيَابَهُ "[1]، فقولة أما استفهام توبيخي للرجل الأشعث الذي تفرق شعره ،وثار بأن يستخدم ما يسكن به شعره من الدهن ،أو الماء ،أو غير هذا ، ووجه إليه استفهام إنكاري توبيخي حين قال : أما كان يجد هذا الرجل الرثة ثيابه الوسخة أطهاره ما يغسل به ثيابه من نحو الصابون ، والنظافة لا تتنافي مع النهي عن التزين في الملبس ،والأمر بلبس الخشن ،ومدح الأشعث الأغبر ، فالأمر بالتزين مشروط بعدم المبالغة فيها حتى يصل إلى الخيلاء ،والأمر بلبس الخشن ،والأشعث مشروط بعدم الإفراط فيه حتى يصل بأن يلبس الإنسان الوسخ من الثياب وبأن لا يغسل شعره ،ويهتم بمنظره[2] .وغالباً ما يكون الاستفهام الإنكاري متضمنا الاستفهام التوبيخي كما في رواية عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَصْحَابِ النبي صلى الله عليه وسلم دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ،وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَخْطُبُ فَقَالَ عُمَرُ : أَيَّةُ سَاعَةٍ هَذِهِ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ انْقَلَبْتُ مِنَ السُّوقِ فَسَمِعْتُ النِّدَاءَ ، فَمَا زِدْتُ عَلَى أَنْ تَوَضَّأْتُ وَأَقْبَلْتُ. فَقَالَ عُمَرُ : الْوُضُوءُ أَيْضًا ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- كَانَ يَأْمُرُ بِالْغُسْلِ."[3] ،فقول عمر ﷺ أية ساعة هذه فيها استفهام إنكاري توبيخي لأنه يعرف تلك الساعة ولكنه ينكر على الصحابي التأخر إلى هذه الساعة ويوبخه ،وينكر عليه أيضا أنه توضأ ،ولم يغتسل ،واستخدام أسلوب الاستفهام في هذا الموطن له تأثير على الحاضرين بأن لا يفعلوا مثل فعله وإلا تعرضوا لما تعرض له من الإنكار والزجر[4].

---

[1] – أخرجه أبو داود في كتاب اللباس باب في غسل الثوب ،في الحلقان وقال الشيخ الألباني: حديث صحيح ٤/٩٠ ح ٤٠٥٤ ، وأحمد ٢٣/١٤٢ ح ١٤٨٥٠ .

[2] – ينظر التيسير بشرح الجامع الصغير ١/٤٥٩ .

[3] – أخرجه البخاري في كتاب الجمعة ، باب فضل الغسل يوم الجمعة ٢/١٠ح٨٧٩ ، ومسلم في كتاب الجمعة ٢/٥٨٠ح٨٤٥ .

[4] – ينظر شرح الزرقاني ١/٣٠٠ .

وربما كرر النبي صلى الله عليه وسلم السؤال على سمع المسئول طلبا للإجابة منه حتى تكون من صنعه ثم بعد ذلك يقوم بتقويم تلك الإجابة بالتصويب ،أو التخطئة فتكون أرسخ في ذهن المسئول مثال ذلك ما رواه مسلم ،وأحمد وغيرهما عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ رَبَاحٍ، عَنْ أُبَيٍّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَهُ: "أَيُّ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ أَعْظَمُ؟ " قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَرَدَّدَهَا مِرَارًا، ثُمَّ قَالَ أُبَيٌّ: آيَةُ الْكُرْسِيِّ، قَالَ: "لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ لَهَا لِسَانًا وَشَفَتَيْنِ تُقَدِّسُ الْمَلِكَ عِنْدَ سَاقِ الْعَرْشِ " [1] [2] فالنبي ﷺ يطرح السؤال على أبى كعب منادياً له بكنيته وفي هذا منقبة عظيمة لأبى بن كعب ،و قوله: "لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ "فيه منقبة عظيمة لأبيّ رضي الله عنه، ودليل على كثرة علمه، وفيه تبجيل العالم ،وجواز مَدح الإنسان في وجهه إذا كان فيه مصلحة، ولم يُخَفْ عليه إعجابٌ ونحوُه لكمال نفسه، ورسُوخه في التقوى، وفيه تنشيط العالم إذا رآه قد أصاب، وتنويهَهُ به، وسرُوره بما أدركه من ذلك، وفيه إلقاء العالم المسائل على أصحابه ليَخْتبر معرفتهم، وليعلمهم ما لعلهم لم يتنبهوا للسؤال عنه[3].

قوله " قلت الله ورسوله أعلم " فوض الجواب أولا ،وأجاب ثانيا ؛لأنه جوز أن يكون حدث أفضلية شيء من الآيات غير التي كان يعلمها ،فلما كرر عليه السؤال بقوله "قال يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله تعالى معك أعظم " ظن أن مراده عليه الصلاة والسلام طلب الإخبار عما عنده فأخبره بقوله :" قلت الله لا إله إلا هو الحي القيوم إلى آخر آية الكرسي " كذا ذكره ابن حجر، والأولى أن يقال فوض أولا أدبا ،وأجاب ثانيا طلبا فجمع بين الأدب ،والامتثال كما هو دأب أرباب الكمال .

قال الطيبي : سؤاله عليه الصلاة والسلام من الصحابي قد يكون للحث على الاستماع ،وقد يكون للكشف عن مقدار علمه ،وفهمه فلما راعى الأدب أولا ،ورأى أنه لا يكتفي به علم أن المقصود استخراج ما عنده من مكنون العلم فأجاب ،وقيل انكشف له العلم من الله تعالى ،أو من مدد رسوله ببركة تفويضه ،وحسن أدبه في جواب مسائلته .[4]

---

[1] – قوله " ليهنك العلم وفي نسخة ليهنئك بهمزة بعد النون على الأصل فحذف تخفيفا أي ليكن العلم هنيئا لك يا أبا المنذر (ينظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح – (٦ / ٤٧٨) .

[2] – أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي ١/٥٥٦ ح ٨١٠ ، وأحمد (٣٥ / ٢٠٠ ح ٢١٢٧٨)

[3] – ينظر شرح أبي داود للعيني – (٥ / ٣٧٦) ، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم – (٧ / ٦٩) .

[4] – ينظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح – (٦ / ٤٧٨)

المطلب الثاني

طرح الألغاز

من الأساليب التعليمية التي استخدمها النبي صلى الله عليه وسلم لتعليم الصحابة طرح الألغاز [1] على مسامع الصحابة حتى يثير انتباههم ويعملوا عقولهم وتأتى الإجابة بعد إتعاب عقل منهم إذا لم يعرفوا فترسخ الإجابة في عقولهم وهذا منهج نبوي في تعليم الأصحاب ،ويبرز هذا المنهج فيما رواه ابن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ فَحَدِّثُونِي، مَا هِيَ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي (قَالَ عَبْدُ اللهِ): وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ فَاسْتَحْيَيْتُ ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا، مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: هِيَ النَّخْلَةُ "[2] ،و رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث ابن عمر ﷺ ولفظه قال : كنا عند رسول الله ﷺ ذات يوم فقال :" إن مثل المؤمن كمثل شجرة لا تسقط لها أنملة أتدرون ما هي ؟ قالوا : لا قال : هي النخلة لا تسقط لها أنملة ،ولا تسقط لمؤمن دعوة "[3] ،وهنا استفهم رسول الله ﷺ عن تلك الشجرة التي لا يسقط ورقها وهي كالمؤمن عن طريق طرح الألغاز بقصد جذب انتباه السامعين حتى إذا أجاب على السؤال رسخت في أذهانهم فلا ينسونها لأن كلاً منهم قد أعمل ذهنه وأعياه تفكيراً في حل هذا السؤال.

قال البدر العيني : استحباب إلقاء العالم المسألة على أصحابه ليختبر أفهامهم ،ويرغبهم في الفكر.[4] ، وقال ابن حجر رحمه الله : وفي هذا الحديث من الفوائد امتحان العالم أذهان الطلبة بما يخفي مع بيانه لهم إن لم يفهموه ،وفيه التحريض على الفهم في العلم .[5] وعلى المعلم أن يحسن اختيار المسائل التي يطرحها على طلابه ،وكذلك له أن يسمح بالمناقشة بين الطلاب والإدلاء بالآراء ألا ترى في قوله " فَوَقَعَ

---

[1] – ينظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح – (٦ / ٤٧٨)

[2] – أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب قول المحدث حدثنا ، أو أخبرنا ٢٢/١ح ٦١ ،ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ، باب المؤمن مثل النخلة ٢١٦٤/٤ح٢٨١١.

[3] – أخرجه الحارث بن أبي أسامة (ينظر بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث للإمام الهيثمي (٢ / ٩٦٥ ح ١٠٦٧) .

[4] – ينظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري – (٢ / ٤٠٨) .

[5] – ينظر فتح الباري ١٧٦/١ ، ١٧٧ .

النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي " أي أنهم فكروا في أشجار البوادي فجعل كل واحد منهم يفسرها بنوع من الأنواع ،وذهلوا عن النخلة ،والمتأمل في المسألة التي قالها النبي ﷺ لهم حفزت همهم ،وبعثتهم على التفكير في الحل ،وتلهفت أنفسهم لمعرفة الجواب الصحيح من رسول الله ﷺ لما عجزوا عن حله ، وكذلك من الأمور المهمة التي يجب التفطن إليها إلى أن تلك المسائل توصل فكرة معنية أو ترسخ مفهوماً معنياً لدى الطلاب ، ولك أن تسأل ما وجه الشبه بين النخلة وبين المسلم ، وما هي الفائدة المستفادة من هذا السؤال ، يبين ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله بقوله : وبركة النخلة موجودة في جميع أجزائها مستمرة في جميع أحوالها فمن حين تطلع إلى أن تيبس تؤكل أنواعاً ، ثم بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها ، حتى النوى في علف الحيوانات ، والليف في الحبال وغير ذلك مما لا يخفي وكذلك بركة المسلم عامة في جميع الأحوال ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد موته وطريقة التعليم بطرح الأسئلة على المتعلمين نافعة بشرط أن يحسن المعلم استخدامها واستغلالها ، فعلى المعلم أن يبتعد عن صعاب المسائل وأن لا يكون همه تعجيز المتعلمين وإقحامهم ، بل عليه أن تقرب لهم المسألة المطروحة عليهم بقرائن الأحوال ،وغيرها من الوسائل ، لكي تكون عوناً لهم في الاهتداء إلى الجواب الصحيح ، ويدل على ذلك أن النبي ﷺ عندما طرح عليهم هذه المسألة كان في يديه جمار [1] وهذا معين للطالب على الاهتداء إلى الإجابة من خلال النظر إلى لسان حال النبي ﷺ .

يقول ابن حجر رحمه الله :وفيه إشارة إلى أن المُلغِّز له ينبغي أن يتفطن لقرائن الأحوال الواقعة عند السؤال وأن المُلغِز ينبغي له أن لا يبالغ في التعمية بحيث لا يجعل للملغز له بابا يدخل منه بل كلما قربه كان أوقع في نفس سامعه [2].

فالرسول ﷺ طرح السؤال ثم ترك لهم الفرصة كاملة ليحاولوا حل تلك المسألة حتى إذا عجزوا ،وسألوه عن الحل أجاب لهم فإذا سمعوا الإجابة رسخت في أذهانهم أكثر من أن تسرد عليهم المعلومات سرداً .

---

[1] – الجمار : هو شحم النخلة الذي يكون في وسطها (ينظر النهاية في غريب الأثر تبصره ٤/٢٦٤ .

[2] – ينظر فتح الباري – ابن حجر – (١ / ١٤٦) .

ففي هذا الحديث يسأل النبي ﷺ الصحابة ويلقى على مسامعهم سؤالاً عن طريقة الألغاز عن شجرة لا يسقط ورقها ويختار لهم رسول الله ﷺ شجرة من بيئتهم قريبة منهم وهكذا ينبغي على المعلم أن يسأل التلاميذ عن شئ من بيئتهم وللنبي ﷺ غاية من إلقاء السؤال وهو استثارة العقول حتى إذا أجاب رسخت الإجابة في عقولهم .

يقول المهلب معنى طرح المسائل على التلاميذ لترسخ في القلوب ،وتثبت لأن ما جرى منه في المذاكرة لا يكاد

١ – المُهَلَّبُ بنُ أَبِي صُفْرَةَ ظَالِمِ بنِ سرَّاقِ بنِ صُبْحِ بنِ كِنْدِيِّ بنِ عَمْرٍو أَبُو سَعِيْدٍ الأَزْدِيُّ، العَتَكِيُّ، البَصْرِيُّ. الأَمِيْرُ، البَطَلُ، قَائِدُ الكَتَائِبِ وُلِدَ: عَامَ الفَتْحِ.وَقِيْلَ: بَلْ ذَلِكَ أَبُوْهُ.حَدَّثَ المُهَلَّبُ عَنْ: عَبْدِ اللهِ بنِ عَمْرِو بنِ العَاصِ، وَسَمُرَةَ بنِ جُنْدَبٍ، وَابْنِ عُمَرَ، وَالبَرَاءِ بنِ عَازِبٍ. رَوَى عَنْهُ: سِمَاكُ بنُ حَرْبٍ، وَأَبُو إِسْحَاقَ، وَعَمْرُ بنُ سَيْفٍ. قَالَ مُحَمَّدُ بنُ سَلاَّمٍ الجُمَحِيُّ: كَانَ بِالبَصْرَةِ أَرْبَعَةٌ لَيْسَ مِثْلَهُمْ: الأَحْنَفُ: فِي حِلْمِهِ، وَعَفَافِهِ، وَمَنْزِلَتِهِ مِنْ عَلِيٍّ، وَالحَسَنُ: فِي زُهْدِهِ، وَفَصَاحَتِهِ، وَسَخَائِهِ، وَمَحَلِّهِ مِنَ القُلُوْبِ، وَالمُهَلَّبُ بنُ أَبِي صُفْرَةَ:... فَذَكَرَ أَمْرَهُ، وَسَوَّارٌ القَاضِي: فِي عَفَافِهِ، وَتَحَرِّيْهِ لِلْحَقِّ . قِيْلَ: تُوُفِّيَ المُهَلَّبُ غَازِياً، بِمَرْوِ الرُّوْذِ ، فِي ذِي الحُجَّةِ، سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِيْنَ. وَقِيْلَ: فِي سَنَةِ ثَلاَثٍ، وَوَلِيَ خُرَاسَانَ بَعْدَهُ: ابْنُهُ؛ يَزِيْدُ بنُ المُهَلَّبِ. ينظر سير أعلام النبلاء [٤ /٣٨٣ ، ٤ /٣٨٥] .

ينسى وفيه كذلك ضرب الأمثال بالشجر وغيرها وشبه رسول الله ﷺ النخلة بالمسلم كما شبهها الله في كتابه وضرب بها المثل للناس فقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾[1] فالشجرة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء هي النخلة ،وكذلك المسلم خيره لا ينقطع يأتي خيره كل حين من الصلاة ،والصوم ، وذكر الله تعالى فكأن الخير لا ينقطع

[1]– سورة إبراهيم آية رقم ٢٤ –٢٧ .

منه فهو دائم كما تدوم أوراق النخلة فيها ،ثم الثمر الكائن منها في أوقاته[1] ووجد الشبه بين النخلة ،والمؤمن من جهة عدم سقوط الورق كما أنها دائمة النفع في جميع أحوالها فمن حين طلوعها إلى يبسها ينتفع بجميع أجزائها حتى النوى في علف الدواب والليف في الحبال وغير ذلك مما لا يخفى وكذلك بركة المؤمن عامة الأحوال ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد موته[2] .

يستفاد من الحديث :-

١- أن على العالم امتحان أذهان الطلبة بما لا يخفى مع بيانه لهم إن لم يفهموه .

٢- لنهي عن صعاب المسائل لما ورد عَنْ مُعَاوِيَةَ،عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ: " نَهَى عَنِ الْغُلُوطَاتِ [3] " [4] فالمقصود بالغلوطات في الحديث صعاب المسائل ،وما لا نفع فيه ولا طائل تحت ذكره وكذلك بما وقع من الأسئلة على سبيل تعنت المسئول أو تعجيزه . [5]

٣- وكذلك في الحديث استفادة أن ضرب الأمثال ،وذكر التشبيهات للطلاب لتقريب المعلومة وتوضيحها[6]

قال البدر العيني : ضرب المثل له شأن في إبراز خبيئات المعاني ،ورفع الأستار عن الحقائق فإن الأمثال ترى المخيل في

صورة المحقق ،والمتوهم في معرض المتيقن ،والغائب كأنه مشاهد ،ولا يضرب المثل إلا قول فيه غرابة "[7] .

---

[1]- ينظر شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٤١/١ .

[2]- ينظر المعلم الأول ﷺ ١٦١/١ -١٦٣ .

[3]- الغُلُوطَاتُ : بفتح الغين : غلوط، كشاة حلوب، وناقة ركوب، ثم يجعل اسما بزيادة التاء، فيقال: غلوطة، وهي المسألة التي يُغلَّطُ بها العالم، فيستزلُ بها، وقيل: الصواب بضم الغين، والأصل فيها الأُغلُوطَات، فطرحت الهمزة وألقيت حركتها على الغين. ومن رواها «الأغلوطات» فهو الأصل. قال الشيخ الخطابي : الغلوطات جمع غلوطة وهي المسألة التي يعيا بها المسئول فيغلط فيها ، ،يقال مسألة غلوط إذا كان يغلط فيها كما يقال شاة حلوب وفرس ركوب إذا كانت تركب وتحلب فإذا جعلتها اسما زدت فيها الهاء فقلت غلوطة كما يقال ركوبة وحلوبة وتجمع على الغلوطات كما تجمع الحلوبة على الحلوبات (ينظر غريب الحديث للخطابي (١ / ٣٥٤).

[4]- أخرجه أبو داود في كتاب العلم باب التوقي في الفتيا ٣٥٩/٣ح٣٦٥٨ ، قال الشيخ الألباني : حديث ضعيف . ،وأحمد في مسنده ٣٩ /٩٣ح٢٣٦٨٨ ، وقال محققا الكتاب : إسناده ضعيف .

[5]- ينظر تحفة الأحوذى ١٣٦/٨.

[6]- ينظر شرح النووي على مسلم ١٥٤/١٧.

[7]- ينظر عمدة القارئ ٤٠٦/٢ .

وإذا ضرب العالم اللغز ينبغي عليه ألا يبالغ في التعمية بحيث لا يجعل للملغز له باباً يدخل منه بل كلما قربه كان أوقع في نفس سامعه[1]

٤- ويستفاد من الحديث أن تشبيه الشئ بالشئ لا يلزم منه كونه نظيره من كل وجه فإن المؤمن لا يماثله شئ من الجماد ،ولا يعادله قال ابن رشيق : كغيره والمشابهة الإتحاد في الكيف كاتفاق لونين أو حرارتين مثلاً والتشبيه وصف الشئ بما قاربه وشاكله من جهة أو جهات لا من جميع جهاته إذ لو ناسبه كلياً لكان هو إياه[2] .

ومن الأحاديث التي تعتبر من قبيل طرح الألغاز حديث أنس رضي الله عنه :" إن عجوزا أدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن شيء فقال لها ، ومازحها إنه لا يدخل الجنة عجوز فخرج النبي إلى الصلاة فبكت بكاء شديدا حتى رجع النبي فقالت عائشة : يا رسول الله إن هذه المرأة تبكي لما قلت لها إنه لا يدخل الجنة عجوز فضحك وقال : أجل لا يدخل الجنة عجوز ولكن قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾[3] [4] فالرسول في هذا الحديث استخدم هذا الأسلوب التعليمي الشيق حتى ترسخ المعلومة في ذهن السائلة ، وهذا فيه ممازحة ، ومباسطة من رسول الله صلى الله عليه وسلم مع تلك المرأة فقد أراد أن يفهم السائلة بأنه لا يدخل الجنة عجوز ، ثم استدل بالآية القرآنية التي تبين هذا المعنى ،ومعنى قوله "إنا أنشأناهن" أي الحور العين فالمعنى خلقناهن من غير توسط ولادة ، ثم يحتمل أن المراد ثم ربيناهن حتى وصلن لحد التمتع ،ويحتمل وهو الظاهر أنهن خلقن ابتداء كاملات من غير تدريج في التربية ،والسن لكن وجه المطابقة بين الحديث ،والآية غير ظاهر على هذا فالصواب أن يجعل الضمير إلى نساء الجنة بأجمعهن ،وحاصله أن أهل الجنة كلهم أنشأهم الله تعالى خلقا آخر يناسب الكمال ،والبقاء والدوام ،وذلك يستلزم كمال الخلق وتوفر القوى البدنية وانتفاء صفات النقص عنها والله سبحانه أعلم [5]

---

[1]- ينظر فتح الباري ١/١٤٦ – فيض القدير ١/٢٦٦ .

[2]- ينظر فيض القدير ١/٢٦٧ .

[3]- سورة الواقعة آية رقم ٣٥- ٣٧ .

[4]- أخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية – (١ / ١٩٧ ح ٢٤١) ، قال الحافظ العراقي : الترمذي في الشمائل هكذا مرسلاً ، وأسنده ابن الجوزي في الوفاء من حديث أنس بسند ضعيف (ينظر المغني عن حمل الأسفار – (٢ / ٧٩٥) .

[5]- ينظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح – (١٤ / ١٥٩) .

المبحث الثاني
تنوع أساليب الإجابة

وفيه ثمانية مطالب :-

المطلب الأول : الأسلوب الحكيم .

المطلب الثاني : أسلوب التشويق .

المطلب الثالث : ذكر الشئ مع ذكر علته .

المطلب الرابع : استخدام اللف والنشر .

المطلب الخامس : استخدام أسلوب الحوار في التعليم .

المطلب السادس : التعليم عن طريق سرد القصص .

المطلب السابع : التعقيب على إجابة المتعلم .

المطلب الثامن : أن يقول المعلم ، والطالب فيما لا يدرى لا أدرى .

المطلب الأول
الأسلوب الحكيم

إن رسول الله ﷺ هو المعلم الأعظم ،والمربى الأكرم الذي بهر بمنهجه القويم وأسلوبه الرصين ألباب المفكرين ،وعقول العلماء ، ولقد كان لرسول الله ﷺ منهج في تعليم أمته جمعاء ، واستخدم أساليب رائعة في الإجابة على كل سائل بما يناسبه ،ويناسب حاله ،ومن أساليب التي استخدمها للرد على بعض تساؤلات الصحابة وذلك بتعليم السائل كيفية طرح السؤال ، وكيفية الإجابة عليه بعكس مقتضى سؤاله .ومثال ذلك حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ : أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - مَا يَلْبَسُ الْمُحْرِمُ مِنَ الثِّيَابِ؟ قَالَ :« لاَ تَلْبَسُوا الْقَمِيصَ ،وَلاَ الْعَمَائِمَ ،وَلاَ السراويل ،وَلاَ الْبَرَانِسَ ،وَلاَ الْخُفَّيْنِ إِلاَّ أَحَدٌ لاَ يَجِدُ نَعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسِ الْخُفَّيْنِ ،وَلْيَقْطَعْهُمَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ ،وَلاَ تَلْبَسُوا مِنَ الثِّيَابِ شَيْئًا مَسَّهُ الزَّعْفَرَانُ ،وَالْوَرْسُ ».[1] " وذلك أن عدول النبي ﷺ في جوابه عن بيان ما يلبسه المحرم إلى بيان ما يمنع من المحرم من اللباس يدل على أن ما يجتنبه المحرم ،ويمتنع عليه لبسه محصور فذكره أولى ،ويبقى ما عداه على الإباحة بخلاف ما

---

[1]- أخرجه البخاري في كتاب الحج ، باب مالا يلبس المحرم من الثياب ٢/١٣٧ح١٥٤٣ ،ومسلم في كتاب الحج ، باب ما يباح للمحرم بحج أو عمره وما لا يباح ، وبيان تحريم الطيب عليه ٢/٨٣٤ح١١٧٧.

يباح له لبسه فإنه كثير غير محصور فذكره تطويل ، وكان الأليق بالسائل السؤال عما يتركه فعدل عن الجواب عن المستفسر عنه إلى ما هو أولى ،وهو معرفة مالا يلبسه المحرم ، وهذا الأسلوب يسميه بعض علماء علم المعاني الأسلوب الحكيم [1]. وهو تلقى المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهاً على أنه الأولى بالقصد ، أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيهاً على أنه الأولى بحاله أو المهم له.[2] وكذلك فيه تعليم للمجيب بأنه لا غضاضة أن يكون الجواب على غير وفق السؤال إذا كانت الإجابة عن هذا السؤال بعكس مقتضاه هي الأولى بالسؤال عنها ، أو كانت مما يمكن إجابة المجيب عنها دون الإجابة على وفق السؤال بمكون الإجابة على غير وفق السؤال محصورة تمكن حصرها ، وتكون الإجابة على وفق السؤال غير محصورة كما في المثال .

وكذلك في إجابة النبي ﷺ بهذه الإجابة بما لا يلبسه المحرم من قبيل الجواب الخاص على السؤال العام فما يلبسه المجرم عام ، وما لا يلبسه خاص ،وهذا يدل على أن مطابقة الجواب للسؤال حتى لا يكون الجواب عاماً والسؤال خاصاً غير لازم فيوجب ذلك حمل اللفظ العام الوارد على سبب خاص على عمومه لا على خصوص السبب لأنه جواب وزيادة فائدة .،وكذلك يؤخذ منه أن المفتى إذا سئل عن واقعه واحتمل عنده أن يكون السائل يتذرع بجوابه إلى أن يعيده إلى غير محل السؤال وجب عليه أن يفصل جوابه وأن يزيده بياناً وأن يذكر مع الواقعة ما يتوقع التباسه بها ولا يعد تعدياً بل تحرياً ،وكثير من القاصرين يدفع بما لا ينفع ويأتي بالجواب أبتر تسرعاً لا تورعاً[3].ومما يؤخذ من الحديث أن النبي ﷺ أجاب على السائل فأجاد وأفاد ،وبعد ذلك زاد على سؤاله رجاء النفع له فقال : فإن لم يجد نعلين فليلبس الخفين ،وليقطعهما أسفل من الكعبين فهذه زيادة زادها لعلمه بمشقة السفر وقله وجود ما يحتاج إليه من الثياب فيه ، ولما يلحق الناس من الحفي بالمشي رحمة لهم ،وتنبيها على منافعهم ، وكذلك يجب للعالم تنبيه الناس في المسائل على ما ينتفعون به ،ويتوسعون به شريطة أن لا يكون في هذا

---

[1]- ينظر إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ٣٠٠/١ ، تنوير الحوالك ٢٣٩/١ ، البصيرة في الدعوة إلى الله ١١٩/١.

[2]- ينظر الإيضاح في علوم البلاغة صـ ٧٦.

[3]- ينظر المتواري على أبواب البخاري ٢٠/١ .

ذريعة ترخيص شئ من حدود الله [1]"وكذلك من خلال جواب النبي ﷺ على السائل يظهر أنه يطلب مطابقة الجواب للسؤال حين يكون عاماً أما إذا كان السؤال خاصاً فلا يلزم أن يكون السؤال خاصاً بل يكون عاماً لاسيما إذا كان الزائد له تعلق[2].وكذلك إجابة النبي ﷺ بما لا يجوز للمحرم لبسه أفادت بالمفهوم ما يجوز له لبسه ،وعدل عن بيان ما يجوز إلى ذكر مالا يجوز لأنه أخصر وأحصر وفيه إشارة إلى أن حق السائل أن يسأل عما لا يجوز لبسه للمحرم لأنه أمر عارض في الإحرام المحتاج لبيانه إذ الجواز ثابت بالأصل معلوم بالاستصحاب فكان الأليق السؤال عما لا يلبسه المحرم [3] وكذلك في الحديث الإجابة عما فيه فائدة فقد يكون السائل لا يحسن السؤال فيسأل عن شئ يريد فعله ،أو تركه ،والعكس هو الصحيح فينبغي على الداعية إرشاده إلى ما فيه نفعه وفائدته ،وهذا أسلوب قرآني ومنهج نبوي ومن القرآن قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ [4]" لقد سألوا عن الشئ الذي ينفقونه ، فعلم الله رسوله أن يجيبهم عن الذين ينبغي أن توجه لهم النفقة إشارة إلى أنه كان ينبغي لهم أن يسألوا عمن ينبغي أن توجه لهم النفقة ، أما الشئ الذي ينفقون منه ومقدار ما ينفقونه فيعم كل ما يصلح للإنفاق منه ، وما وراء حد الزكاة المفروضة هو من التطوع المفتوح الذي لا يسأل عن حد له ، ويظهر أن حد الزكاة المفروضة لم يكن قد نزل به حكم فأعرض النص الإجابة عليه ، وقد أجاب الله عز وجل عن هذا حينما كرروا السؤال بقوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴾ [5]" ،العفو في النفقة : ما زاد على حاجة الإنسان نفسه ،ولمن يعولهم [6].

---

[1]- ينظر شرح صحيح البخاري لابن بطال ٢١٣/١.

[2]- ينظر عمدة القارئ ٤٥٩/٣.

[3]- ينظر فتح الباري ٤٠٢/٣.

[4]- سورة البقرة آية رقم ٢١٥.

[5]- سورة البقرة آية رقم ٢١٩.

[6]- (العفو) من المال ما زاد على النفقة وفي التنزيل العزيز " وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ " ، ومن الماء ما زاد على الشاربة وأخذ بلا كلفة ولا مزاحمة (ينظر المعجم الوسيط - (٢ / ٦١٢) .

[1] ومن الأسلوب الحكيم التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي تنبيها على تحقق وقوعه ،وأن ما هو للوقوع كالواقع كقوله تعالى:﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾[2] وقوله تعالى:﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[3]. وعن حسان ﷺ [4] أن ابنه عبد الرحمن [5] لسعه زنبور [1] وهو طفل فجاء إليه يبكى

---

[1]- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ٣٩٧/١.

[2]- سورة الزمر آية رقم ٦٨.

[3]- سورة النحل آية رقم ١ .

[4]- حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار . واسمه تيم الله . ابن ثعلبة بن الخزرج الأنصاري الخزرجي ثم من بني مالك بن النجار يكنى أبا الوليد وقيل : أبو عبد الرحمن وقيل : أبو الحسام لمناضلته عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ولتقطيعه أعراض المشركين ، وتوفي حسان بن ثابت رحمه الله قبل الأربعين في خلافة علي رضي الله عنه. وقيل: بل مات حسان سنة خمسين. وهو ابن مائة وعشرين سنة. وقيل: إن حسان بن ثابت توفي سنة أربع وخمسين ولم يختلفوا أنه عاش مائة وعشرين سنة. منها ستون في الجاهلية وستون في الإسلام وأدرك النابغة الذبياني وأنشده من شعره وأنشد الأعشى وكلاهما قال له: إنك شاعر. (ينظر أسد الغابة - (١ / ٢٥٥) ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب - (١ / ١٠٣) .

[5]- عبد الرحمن بن حسان بن ثابت . تقدم نسبه عند ذكر أبيه وهو أنصاري خزرجي . أدرك النبي صلى الله عليه و سلم يكنى أبا محمد وقيل : أبو سعيد وهو شاعر وأمه سيرين القبطية أخت مارية القبطية وهبها النبي صلى الله عليه و سلم لأبيه حسان فولدته له عبد الرحمن فقيل : إنه ابن خالة إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه و سلم وقيل : إنه من التابعين قال محمد بن سعد : هو من الطبقة الثانية من تابعي أهل المدينة ، قال بن سعد كان عبد الرحمن شاعر قليل الحديث وذكره بن معين في تابعي أهل المدينة ومحدثيهم وذكره بن حبان في ثقات التابعين وقال خليفة وابن جرير وغيرهما مات سنة أربع ومائة قال بن عساكر لا أراه محفوظا لأنه قيل انه عاش ثمانيا وأربعين ومقتضاه انه ما أدرك أباه لأنه مات بعد الخمسين بأربع أو نحوها وقد ثبت انه كان رجلا في زمان أبيه وأبوه القائل : فمن للقوافي بعد حسان وابنه ... ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت قلت وان ثبت انه ولد في العهد النبوي وعاش إلى سنة أربع ومائة يكون عاش ثمانيا وتسعين فلعل الأربعين محرفة من التسعين (ينظر أسد الغابة - (١ / ٦٩٠) ، الإصابة في تمييز الصحابة - (٥ / ٣١))

فقال له يا بنى مالك قال : لسعني طائر كأنه ملتف في بردى حبرة [٢] فضمه إلى صدره وقال له : يا بنى قد قلت الشعر فقد عدل عن إظهار الجزع عليه وسؤاله عن مكان لسعه الزنبور إلى أمر آخر .

ومن أمثلة الجواب الحكيم ما جاء في قوله تعالى " يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ "[٣] فالصحابة سألوا النبي ﷺ عن الهلال لم يبدوا صغيراً ثم لا يزال يتزايد حتى يكبر فجاء الجواب الرباني بالعدول عن جوابه إلى ما هو أهم منه وأنفع في معرفة الأهلة ،وكونها مواقيت للناس لعبادتهم وحجتهم وحقوقهم وغيرها[٤] .ولما كانت هذه الظاهرة إحدى أنظمة الكون يمكن بالبحث العلمي أن يكتشفها الناس مستقبلاً وليس بيانها من الأغراض الدينية الأساسية التي بعث الله الرسل لبيانها ، جاء الجواب مبيناً وظيفة الأهلة المرتبطة ببعض قضايا الدين وهي تحديد مواقيت الشهور التي يحتاجها الناس لعباداتهم ،ومعاملاتهم ، وتواريخهم ، وتكاليفهم المرتبطة بالأشهر القمرية ، كالصيام ، وأشهر العدة ، ومرور الحول لأداء الزكاة وغير ذلك ، وخص الله منها الحج اهتماماً بتحديد وقته ، إذ دخل فيه التحريف الجاهلي بالنسب الذي كانوا يصنعونه ، أما الظواهر الكونية القائمة على أسباب غير منظورة فكثيرة جداً ، والناس لا يستطيعون إحصاءها وفتح أبواب السؤال عنها والإجابة عليها يحول مهمة الرسول من رسالة دينية إلى رسالة عالم من علماء أنظمة الله في كونه . [٥] ولقد كانت كل إجابة لأي سؤال في ذلك الزمان تحتوى على ما يتسع العقل لإدراكه ساعة التشريع أما بقية الإجابة فالحق يتركها للزمن [٦].

---

[١]- الزُّنْبُورُ طائر يلسع وهوالدَبْرُ وهي تؤنث والزُّنْبارُ لغة فيه حكاها ابن السكيت ويجمع الزَّنابيرَ والزُّنْبُورَةُ ضرب من الذباب لسّاع (ينظر لسان العرب - (٤ / ٣٣٠) .

[٢]- وبُرْدُ حبرة بوزن عنبة : على الوصف والإضافة وهو بُرْد يمَانٍ والجمع حِبَرٌ وحِبَرات (ينظر النهاية في غريب الأثر - (١ / ٨٧١) .

[٣]- سورة البقرة آية رقم ١٨٩ .

[٤]- ينظر البصيرة في الدعوة إلى الله ١١٩/١ .

[٥]- ينظر البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها ٣٩٧/١ ، الإيضاح في علوم البلاغة ٧٧/١ ، وفيات الأعيان ١٩٣/٥.

[٦]- ينظر تفسير الشيخ الشعراوى ٤٩٤/١ .

ومن الأسلوب الحكيم جواب الرسول ﷺ على من سأله قائلاً: متى الساعة ؟ فقال له " ماذا أعددت لها [1] "

فقد صرفة من الإجابة عليه بميعاد وقتها لأنه لا يعلم ذلك إلا الله إلى الأجدر به أن يسأل عنه وهو الاستعداد لها ، فالساعة آتية لا محالة وأقرب ذلك هو موت السائل نفسه فينبغي عليه أن يستعد لهذا اليوم بدلاً من السؤال عن وقت قيامها ، ومنه حديث عَلِيٍّ رضي الله عنه، قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ، فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ [2] فَأَتَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ [3]، فَنَكَّسَ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ ثُمَّ قَالَ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلاَّ كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلاَّ قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ أَفَلا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدَعُ الْعَمَلَ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ ،وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ قَالَ: أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ ثُمَّ قَرَأَ ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴾ الآية [4] قال الطيبي: الجواب من الأسلوب الحكيم منعهم عن ترك العمل ،وأمرهم بالتزام ما يجب على العبد من العبودية ،وزجرهم عن التصرف في الأمور المغيبة فلا يجعلوا العبادة ،وتركها سبباً مستقلاً لدخول الجنة والنار بل هي علامات فقط . [5]

---

[1]- أخرجه البخاري في كتاب الأدب ،باب علامة حب الله عز وجل ٨/٤٠ح٦١٧١ ،ومسلم في كتاب الأدب ، باب المرء مع من أحب (٤/٢٠٣٣ح٢٦٣٩).

[2]- بقيع الغرقد بالغين المعجمة أصل البقيع في اللغة الموضع الذي فيه أروم الشجر من ضروب شتى وبه سمي بقيع الغرقد ،والغرقد كبار العوسج وهو مقبرة أهل المدينة وهي داخل المدينة (ينظر معجم البلدان – (١ / ٤٧٣) .

[3]- المِخْصَرَة : ما يَخْتَصره الإنسان بيده فيُمسكه من عصاً أو عُكّازة أو مِقْرَعة أو قضيب وقد يَتَّكِىء عليه (ينظر النهاية في غريب الأثر – (٢ / ٩٨).

[4]- أخرجه البخاري في: كتاب الجنائز، باب موعظة المحدث عند القبر وقعود أصحابه حوله ٢/٩٦ح١٣٦٢. ومسلم – كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٤ / ٢٠٣٦ ٢٦٤٣ .

[5]- ينظر تحفة الأحوذي ٦/٢٨٤ .

ومن الأسلوب الحكيم حديث أبي هُرَيْرَةَ قَالَ بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ :مَتَى السَّاعَةُ ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ لَمْ يَسْمَعْ حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ :أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِلُ عَنْ السَّاعَةِ ؟ قَالَ هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَإِذَا ضُيِّعَتْ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ قَالَ كَيْفَ إِضَاعَتُهَا ؟ قَالَ إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ [1] ، فأجابه النبي ﷺ بذكر علامة الساعة وهو تضيع الأمانة دون ذكر وقت قيام الساعة لأنه وقت لا يعلمه إلا الله تعالى ، كما أن الأهم للسائل أن يعرف علامتها حتى يجد ويجتهد في العبادة استعداداً لها ، والنبي ﷺ أخر الإجابة إلى بعد الفراغ من الحديث استدعاء لانتباههم حتى إذا ذكر الجواب رسخ في ذهنهم ، وكذلك قصد النبي ﷺ عدم قطع حبل التواصل بينه وبينهم بالإجابة عن هذا السؤال ، كما أنه أراد ألا يقطع الحديث بعضه عن بعض بالإجابة عن هذا السؤال ، فحق المستمع أن لا يقطع عليه الحديث ، وحق المتكلم أن لا يقطع حبل أفكاره ، وتسلسل أفكاره . والله أعلم

ومنه كذلك حديث أبى رمثة[2] قال دخلت مع أبى على رسول الله ﷺ فرأى أبى الذي بظهره فقال : دعني أعالجه فإني طبيب فقال رسول الله ﷺ : الله الطبيب[3] " ، فجواب النبي ﷺ من قبيل الأسلوب الحكيم حيث قال : بل كلامك يفتقر إلى العلاج حيث سميت نفسك طبيباً والله هو الطبيب وإنما أنت ترفق بالمريض وتتلطف به وله ، وإنما الطبيب الحقيقي هو العالم بحقيقة الدواء ،والداء والقادر على الصحة ،والشفاء وليس ذلك إلا لله ، لكن تسمية الله بالطيب إذا ذكره في حالة الاستشفاء نحو أنت المداوى أنت

---

[1]- أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب من سئل علماً وهو مشغول في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل ٢١/١ ح٥٩ .

[2]- حبيب بن حيان أبو رمثة التيمي وقال أبو عمر : التميمي يختلف في اسمه ؛ فقيل : رفاعة وقيل : عمارة وقيل : خشخاش وقيل : حبان ، يعد في الكوفيين له صحبة مات بافريقية ، روى عن : النبي ﷺ ، وروى عنه : إياد بن لقيط ، وثابت بن أبى منفذ قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وابنه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم " من هذا معك؟ " . فقال ابني قال أما إنك لا تجني عليه ولا يجنى عليك. (أسد الغابة - (١ / ٢٣٤) - الاستيعاب في معرفة الأصحاب - (١ / ٩٥) ـــ التهذيب ٨٧/١٢ -) .

[3]- أخرجه أبو داود في كتاب اللباس ،باب في الخضاب ، وقال الشيخ الألباني : حديث صحيح ١٣٨/٤ح٤٢٠٩ .

الطبيب سائغ ولا يقال : يا طبيب كما يقال يا حكيم لأن إطلاقه عليه متوقف على توقف[1] .

ومن أساليب إجابة النبي ﷺ على السائل الإجابة على السؤال بأزيد ما سأل عنه السائل وقرن الحكم بعلته ، ونلاحظ هذا في سؤال أحد الصحابة للنبي ﷺ فيما رواه أبو هُرَيْرَةَ يَقُولُ : سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَرْكَبُ الْبَحْرَ وَنَحْمِلُ مَعَنَا الْقَلِيلَ مِنَ الْمَاءِ ، فَإِنْ تَوَضَّأْنَا بِهِ عَطِشْنَا ، أَفَنَتَوَضَّأُ بِمَاءِ الْبَحْرِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :« هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ »..[2] فالنبي ﷺ كان يكفيه أن يجيب السائل بقوله نعم توضئوا لكنه عدل عن هذا ببيان طهورية ماء البحر، وقرن الحكم بجواز الوضوء بماء البحر بذكر علته ،وهو طهورية ماء البحر الذي ربما يظن السائل عدم طهور يته لاتساعه ونتنه ، واختلافه عن ماء الآبار والأنهار ،وملوحة مائه.[3] ، وهذا إطناب في الجواب في محله وهذا شأن المرشد الحكيم ،وكذلك ذكر النبي ﷺ الطهور ماؤه لإفادة الحصر المفيد أنه لا يتجاوز إلى النجاسة والحرمة أو لإفادة ظهور ثبوت الطهورية والحل لكثرة الماء وسعته فهو أحق بثبوت أحكام المياه له .[4] وكذلك لما كان سؤال السائل يظهر منه أنه يفرق بين ماء البحر وغيره أجابه بما يفيد اتحاد الحكم لكل بالتفصيل ولم يكتف بقوله نعم.[5]، وأراد الجواب بالقصر وليس هذا القصر حقيقياً لأن الطهورية ليست مقصورة على ماء البحر فقط ولكن النبي ﷺ لشدة اعتنائه ببيان طهورية ماء البحر قصرها عليه مبالغه من قبيل القصر الادعائى ، أو من قبيل القصر بالقلب لأن السائل كان في اعتقاده أن التوضؤ من ماء البحر غير

---

[1]- ينظر فيض القدير ١٢٦/٢ .

[2]- أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة ، باب الوضوء بماء البحر (٣١/١ح٨٣) ، والترمذي في كتاب الطهارة ، باب ما جاء في ماء البحر أنه طهور ، وقال : حسن صحيح (١٠٠/١ح٦٩) ،والنسائي في كتاب الطهارة ، باب في ماء البحر (٥٠/١ح٥٩) ، وابن ماجه في كتاب الطهارة ، باب الوضوء بماء البحر (١٣٦/١ح٣٨٦) ومالك في كتاب الطهارة ، باب الطهور للوضوء (٢٢/١ح٤١) ،وأحمد (٤٨٦/١٤ح٨٩١٢) .

[3]- ينظر تحفة الأحوذى ١٨٨/١ .

[4]- ينظر حاشية السندى على ابن ماجه بتصرف يسير ٣٥٤/١ .

[5]- ينظر حاشية السندى على النسائي ٥٠/١ .

جائز فبين النبي ﷺ عكس ما في قلبه ، ويجوز أن يكون قصر تعيين لأنه كان يتردد بين جواز الوضوء منه ،وعدم الجواز من غير علم بالتعيين فعينه النبي ﷺ بقوله : هو الطهور ماؤه وهذا الأخير قال عنه العيني في شرح أبى داود هو الأولى من الأول[1] ،وكذلك من الأمور المستنبطة من هذا الحديث أن النبي ﷺ أجاب فقال : هو الطهور ماؤه ولم يقل ماؤه طهور لأن الجواب كان جواباً للسائل فبين أن وصف الطهورية ملازم للبحر وكذلك لشدة اهتمامه بذكر الوصف الذي اتصف به الماء المجوز للوضوء وهو الطهورية فالتطهير به حلال صحيح كما عليه جمهور السلف والخلف ، وكذلك من الأمور المستنبطة من جواب النبي ﷺ الطهور ماؤه ولم يقل نعم لتوهم حمل لفظة نعم على جواز الوضوء منه فقط لا غير وهو الذي وقع السؤال عنه ، واقتصارها على هذا وعدم إفادتها أن طهورية ماء البحر متناهية في بابها[2] وكذلك سؤال السائل عن حكم الوضوء من ماء البحر والإجابة كانت ببيان طهورية ماء البحر ليدل على جواز الوضوء منه وزيادة على ذلك يفيد جواز استخدامه في كل ما يحتاج إليه السائل ،وعليه يكون السؤال خاص والجواب عليه عام ولإفادة السائل بما يحتاج وزيادة[3] . وكذلك لو أجاب السائل بنعم أي توضأ والصادر الحكم مفيداً بالضرورة وهي قلة الماء وخشية العطش وهو الذي وقع سؤالهم عليه وهو ليس كذلك .[4] وكذلك من محاسن جواب النبي ﷺ أنه أجاب بزيادة على المطلوب تعميماً للفائدة وهو قوله " والحل ميتته " لأنه لما توقف في حكم ماء البحر مع سبق علمه بطهورية الماء في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾ [5]

إن توقفه في ميتة البحر أولى مع سبق علمه بحرمة الميتة ولذلك بين له حل ميتة البحر .[6]، و قال الرافعي : لما عرف النبي ﷺ اشتباه الأمر على السائل في ماء البحر

---

[1]- ينظر شرح أبى داود للعيني ٢٣٢/١ .

[2]- ينظر شرح الزرقانى على موطأ مالك ٨٠/١ بتصرف ، فيض القدير ٢٨٢/٣ .

[3]- ينظر فيض القدير ٢٨٢/٣ .

[4]- ينظر مشكاة المصابيح ٣٥٦/٢ .

[5]- سورة الفرقان آية رقم ٤٨ .

[6]- ينظر فيض القدير ٢٨٢/٣ – سبل السلام ١٦/١ .

أشفق عليه أن يشتبه عليه حكم ميتته وقد يبتلى بها راكب البحر.[1] و من أمثلة الجواب بالعموم على السؤال الخاص ما رواه زيد بن أسلم عن ابن وعلة السبئ [2] قال : سألت عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن أسقية نجدها بالمغرب في مغازينا فيها السمن ،والزيت لعلها تكون ميتة أفنأكل منها ؟ قال : لا أدرى ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول : أيما إهاب دبغ فقد طهر "[3] فإجابة ابن عباس تدل على أنه فهم الحديث على عموم الانتفاع بالجلد المدبوغ[4] وقد سئل عن الأكل فيها ونحو ذلك فأطلق الطهارة عليها إطلاقاً غير مفيد بشئ ،ومن أساليب النبي ﷺ في الإجابة على السؤال تنوع الإجابات على السؤال الواحد مراعاة حال السائل ومن ذلك سؤاله عن أفضل العمل في الإسلام فقد سئل مرة أي الإسلام خير فقال : تطعم الطعام ،وتقرأ السلام على من عرفت ،ومن لم تعرف "[5] وسئل أي الأعمال أفضل فقال : إيمان بالله ،ورسوله قيل ثم ماذا ؟ قال : جهاد في سبيل الله قيل ثم ماذا قال : حج مبرور[6] ، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ أي الأعمال أفضل قال : الصلاة لوقتها وبر الوالدين ،ثم الجهاد في سبيل الله" [7] وغير ذلك من تنوع الإجابات مع اتحاد السؤال. والله أعلم .

---

[1]- ينظر سبل السلام بشرح بلوغ المرام ١٦/١.

[2]- عبد الرحمن بن وعلة المصري روى عن ابن عباس روى عنه زيد بن اسلم وأبو الخير والقعقاع بن حكيم ، عن يحيى بن معين انه قال: عبد الرحمن بن وعلة ثقة. وثقه العجلي والنسائي له في الكتب حديثان قال ابن حجر : صدوق (ينظر الجرح والتعديل – (٥ / ٢٩٦) ، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال – (١ / ٢٣٦) ، تقريب التهذيب – (١ / ٣٥٢) .

[3]- أخرجه مسلم في كتاب الطهارة ، باب طهارة جلود الميتة بالدباغ (١٢٧٧ ح ٣٦٦) .

[4]- أخرجه ابن عبد البر في كتابه التمهيد ١٧٥/٤ ، والحديث بلفظ " أيما إيهاب دبغ فقد طهر " أخرجه مسلم في كتاب الحيض ،باب طهارة جاود الميتة بالدباغ (١ / ٢٧٧ ح ٣٦٦) .

[5]- أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب إطعام الطعام ١٢/١ح ١٢ ومسلم في كتاب الإيمان ،باب بيان تفاصيل الإسلام وأي أموره أفضل ٦٥/١ح٣٩ .

[6]- أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ،باب من قال أن الإيمان هو العمل ١٤/١ح ٢٦،ومسلم في كتاب الإيمان ،باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال ٨٨/١ح٨٣ .

[7]- أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ،باب وسمى النبي ﷺ الصلاة عملاً وقال لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب ١٥٦/٩ح٧٥٣٤ ، ومسلم في كتاب الإيمان ،باب كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال ٩٠/١ ح ٨٥ .

ومن أساليب النبي ﷺ في الإجابة على المستفتى مراعاة حالته المعيشية فقد جاءه رجل فقال هلكت فقال : وما ذاك قال : وقعت بأهلي في رمضان قال: تجد رقبة قال : لا قال : فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين قال : لا قال فتستطيع أن تطعم ستين مسكيناً قال : لا قال : فجاء رجل من الأنصار بعرق والعرق المكتل فيه تمر فقال : أذهب بهذا فتصدق به قال على أحوج منى يا رسول الله والذي بعثك بالحق ما بين لابتيها [1] أهل بيت أحوج منا قال : اذهب فأطعمه أهلك [2]" فهنا النبي ﷺ أفتى المستفتى بإطعام ستين مسكينا فلم يستطيع الرجل ،وأعطاه رجل آخر مكتل من التمر ليتصدق به ، فشكى للنبي ﷺ الحاجة وأنه أحوج أهل المدينة له فأمره النبي ﷺ أن يتصدق به على أهل بيته .ومنه كذلك من قال أوصيني فقال له: لا تغضب فردد مراراً قال: لا تغضب[3]، وآخر يقول له أوصيني فيقول له كما في حديث أَبِى هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم : أَنَّ رَجُلاً جَاءَ إِلَى النبي صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يُرِيدُ سَفَرًا فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :« أُوصِيكَ بِتَقْوى اللَّهِ وَالتَّكْبِيرِ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ ». حَتَّى إِذَا أَدْبَرَ الرَّجُلُ قَالَ :« اللَّهُمَّ ازْوِ لَهُ الأَرْضَ وَهَوِّنْ عَلَيْهِ السَّفَرَ »[4] .

قال الإمام أحمد : حَدَّثَنَا عَبْدُ الصَّمَدِ، حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ هَوْذَةَ الْقُرَيْعِيُّ، أَنَّهُ قَالَ: حَدَّثَنِي

---

[1]- لابتيها : تثنيه لابة وهي : الحرة أرض ذات حجارة سود وأراد بهما هنا جرتين يكتنفانها (ينظر لسان العرب ١/٧٤٥ .

[2]- أخرجه البخاري في كتاب الصوم ، باب المجامع في رمضان هل يطعم أهله من الكفارة إذا كانوا محاويج ٣/٣٢ح١٩٣٧ .

[3]- أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب الحذر من الغضب ٨/٢٨ح ٦١١٦ .

[4]- أخرجه الترمذي كتاب في الدعوات باب ٤٦ قال الترمذي : هذا حديث حسن ، وقال الشيخ الألباني : حسن (٥ / ٥٠٠ ح ٣٤٤٥) ، ابن ماجة في كتاب الجهاد (٢ / ٩٢٦ ح٢٧٧١) ، و أحمد (١٤ / ٦٢ ح ٨٣١٠).

رَجُلٌ، سَمِعَ جَرْمُوزًا الْهُجَيْمِيَّ [1]، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْصِنِي، قَالَ: " أُوصِيكَ أَنْ لَا تَكُونَ لَعَّانًا " [2]

هكذا الكل يسأل النبي ﷺ الوصية ويوصى كل واحد منهم بما يناسبه ويحتاج ليصلح حاله.

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْصِنِي. قَالَ: "إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَأَتْبِعْهَا حَسَنَةً تَمْحُهَا ". قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمِنَ الْحَسَنَاتِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؟ قَالَ: "هِيَ أَفْضَلُ الْحَسَنَاتِ "[3].

فالسؤال واحد وهو سؤال الوصية أما مادة الوصية مختلفة باختلاف الأشخاص .

ومن الأحاديث التي استخدم النبي ﷺ فيها الأسلوب الحكيم حديث أَبِي أُمَامَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ جَالِسًا وَكَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ فَأَقْصَرُوا عَنْهُ حَتَّى جَاءَ

---

[1]- جرموز الهجيمي من بلهجيم بن عمرو بن تميم وقيل : القريعي وهو بطن من تميم أيضا روى عنه أبو تميمة الهجيمي ، له حديث واحد مخرجه عن أهل البصرة ، قال بن السكن له صحبة (ينظر أسد الغابة - (١ / ١٧٤) ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب - (١ / ٨١) ، الإصابة في تمييز الصحابة - (١ / ٤٧١) .

[2]- أخرجه أحمد ، وقال محققا مسند الإمام أحمد : إسناده قوي، إن كان الرجل المبهم في إسناده هو أبا تميمة الهجيمي كما نقل الحافظ ابن حجر في "الإصابة" ٤٧١/١ عن البغوي وابن السكن الجزم به، لأن أبا تميمة هذا- واسمه: طريف بن مجالد الهجيمي البصري- ثقة روى له البخاري وأصحاب السنن، على أن بعضهم رواه بإسقاط الرجل المبهم من إسناده كما سيأتي في تخريجه، ثم إن رواية ابن السكن كما قال الحافظ في "الإصابة" ٤٧١/١، ورواية البخاري في "التاريخ الكبير" ٢٤٧/٢-٢٤٨ فيها تصريح بسماع عبيد الله بن هوذة هذا الحديث من جرموز الهجيمي، فيحتمل كما قال الحافظ أن يكون عبيد الله سمعه عنه بواسطة، ثم سمعه منه. عبد الصمد: هو ابن عبد الوارث العنبري مولاهم البصري. (٣٤ / ٢٧٨ ح ٢٠٦٧٨) ، قال الهيثمي : رواه أحمد والطبراني من طريق عبيد الله بن هوذة عن رجل عن جرموز ورواه الطبراني من طريق أخر عن عبيد الله بن هوذة عن جرموز وهذه الطريق رجالها ثقات فقد ذكر ابن أبي حاتم جرموزا فقال : له صحبة روى عنه عبيد الله بن هوذة (ينظر مجمع الزوائد -.(٨ / ١٣٨) .

[3]- أخرجه أحمد ،و قال محققا الكتاب : حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لجهالة أشياخ شمْر بن عطية. (٣٨٦/٣٥ح٢١٤٨٧ ، قال الهيثمي : رواه أحمد ورجاله ثقات إلا أن شمر بن عطية حدث به عن أشياخه عن أبي ذر ولم يسم أحدا منهم (ينظر مجمع الزوائد - (١٠ / ٨٦) قال الشيخ الألباني : صحيح بمجموع طرقه (ينظر السلسلة الصحيحة - (٣ / ٣٦١) .

أَبُو ذَرٍّ فَاقْتَحَمَ فَأَتَى فَجَلَسَ إِلَيْهِ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا أَبَا ذَرٍّ هَلْ صَلَّيْتَ الْيَوْمَ قَالَ : لَا قَالَ قُمْ فَصَلِّ فَلَمَّا صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتِ الضُّحَى أَقْبَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ يَا أَبَا ذَرٍّ تَعَوَّذْ مِنْ شَرِّ شَيَاطِينِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ قَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَهَلْ لِلْإِنْسِ شَيَاطِينٌ ؟ قَالَ نَعَمْ شَيَاطِينُ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ثُمَّ قَالَ يَا أَبَا ذَرٍّ أَلَا أُعَلِّمُكَ مِنْ كَنْزِ الْجَنَّةِ قَالَ بَلَى جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاءَكَ قَالَ قُلْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ قَالَ فَقُلْتُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ قَالَ ثُمَّ سَكَتَ عَنِّي فَاسْتَبْطَأْتُ كَلَامَهُ قَالَ قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ ،وَعِبَدَةَ أَوْثَانٍ فَبَعَثَكَ اللَّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ أَرَأَيْتَ الصَّلَاةَ مَاذَا هِيَ قَالَ خَيْرٌ مَوْضُوعٌ مَنْ شَاءَ اسْتَقَلَّ وَمَنْ شَاءَ أَرَأَيْتَ الصَّلَاةَ مَاذَا هِيَ ؟ قَالَ: " خَيْرٌ مَوْضُوعٌ مَنْ شَاءَ اسْتَقَلَّ ،وَمَنْ شَاءَ اسْتَكْثَرَ " . قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَرَأَيْتَ الصِّيَامَ مَاذَا هُوَ ؟ قَالَ: " فَرْضٌ مُجْزِيٌ" . قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ،أَرَأَيْتَ الصَّدَقَةَ مَاذَا هِيَ ؟ قَالَ: " أَضْعَافٌ مُضَاعَفَةٌ وَعِنْدَ اللهِ الْمَزِيدُ " . قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ: " سِرٌّ إِلَى فَقِيرٍ ،وَجُهْدٌ مِنْ مُقِلٍّ " . قَالَ: قُلْتُ يا نَبِيَّ اللهِ، أَيُّمَا أُنْزِلَ عَلَيْكَ أَعْظَمُ قَالَ: " ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾ آيَةُ الْكُرْسِيِّ " [1]. قَالَ: قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللهِ، أَيُّ الشُّهَدَاءِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ: " مَنْ سُفِكَ دَمُهُ ،وَعُقِرَ جَوَادُهُ " . قَالَ: قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللهِ: فَأَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ: " أَغْلَاهَا ثَمَنًا ،وَأَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا " . قَالَ: قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللهِ، فَأَيُّ الْأَنْبِيَاءِ كَانَ أَوَّلَ ؟ قَالَ: " آدَمُ " . قَالَ: قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللهِ: أَوَ نَبِيٌّ كَانَ آدَمُ قَالَ: " نَعَمْ . نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ خَلَقَهُ اللهُ بِيَدِهِ، ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ رُوحَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا آدَمُ قُبُلًا " . قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَمْ وَفِي عِدَّةُ الْأَنْبِيَاءِ ؟ قَالَ: " مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا الرُّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا " [2] ،والشاهد في قوله " قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ،أَرَأَيْتَ الصَّدَقَةَ مَاذَا هِيَ ؟ قَالَ: " أَضْعَافٌ مُضَاعَفَةٌ وَعِنْدَ اللهِ الْمَزِيدُ " "فالصحابي الجليل يسأل عن أنواع الصدقة وقيمتها فعدل النبي ﷺ عن الإجابة ببيان أنواع الصدقة وقيمتها أو مقدارها إلى بيان مقدار الثواب عليها وفي هذا تحفيزا له بأن يكثر من الصدقة سواء كانت قليلة أو كثيرة لعظيم ثوابها ، ونظير هذا قوله تعالى " ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ

---

[1]- سورة البقرة جزء من آية رقم ٢٥٥.

[2]- أخرجه أحمد ٢٦/٦١٩ح٢٢٢٨٨.

وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ "[1] [2] فالمؤمنون سألوا النبي ﷺ عن الشئ الذي ينفقونه فأجابهم الله تعالى ببيان الذين ينبغي أن ينفق عليهم لأنهم أولى الناس بالأنفاق عليهم فليس المهم هو معرفة الشئ المنفق ،ولكن الأهم هو معرفة المنفق عليهم ، ومن الأحاديث التي تضمنت الأسلوب الحكيم حديث عُرْوَةَ بْنَ مُضَرِّسِ بْنِ أَوْسِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ لَامٍ يَقُولُ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْمُزْدَلِفَةِ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ جِئْتُ مِنْ جَبَلَيْ طَيِّئٍ فوا لله مَا جِئْتُ حَتَّى أَتْعَبْتُ نفسي وأضنيت راحلتي وَمَا تَرَكْتُ مِنْ هَذِهِ الْحِبَالِ شَيْئًا إِلاَّ وَقَفْتُ عَلَيْهِ فَهَلْ لي مِنْ حَجٍّ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :« مَنْ شَهِدَ مَعَنَا هَذِهِ الصَّلاَةَ صَلاَةَ الْفَجْرِ بِالْمُزْدَلِفَةِ وكَانَ قَدْ وَقَفَ بِعَرَفَةَ قَبْلَ ذَلِكَ مِنْ لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ فَقَدْ تَمَّ حَجُّهُ وَقَضَى تَفَثَهُ » [3] فالرجل يسأل عن نفسه هل له حج أم لا ،فعدل النبي ﷺ عن إجابته بأن له حجاً ،أو ليس له حج بأن ذكر الأمر عام لتعم الفائدة بأن كل من شهد عرفة ليلاً أو نهاراً من فقد أدرك الحج لأن الوقوف بعرفة هو ركن الحج الأعظم والحديث ظاهر في صحة الحج بالوقوف بعرفة في أي وقت من ليل أو نهار ولا يجب الجمع بين الليل والنهار في الوقوف بعرفة أولا حجة للقائل بالجمع فيها ، والحج صحيح تام ولا شئ عليه ،وهو الصحيح من أقوال أهل العلم ،وهو قول ابن حزم والراجح في مذهب الشافعية ، وهو قول لأحمد فيمن كان معذوراً ، وذهب جماعة من أهل العلم ، وهو قول الإمام أحمد وأبى حنيفة وغيرهما إلى صحة الحج مع

---

[1]- سورة البقرة آية رقم ٢١٥ .

[2]- ينظر الأسلوب الحكيم للدكتور / محمد بن عمر بن سالم جامعة أم القرى ص ١١.

[3]- أخرجه أبو داود في كتاب الحج ،باب من لم يدرك عرفة وقال الشيخ الألباني : حديث صحيح ١٤١/٢ح١٩٥١ ، والترمذي في كتاب الحج ، باب ما جاء فيمن أدرك الإمام بجمع فقد أدرك الحج وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، قال الشيخ الألباني : حديث صحيح ٢٣٨/٣ ح ٨٩١ ، والنسائي في كتاب الحج ، باب فيمن لم يدرك صلاة الصبح مع الإمام بالمزدلفة ٢٦٣/١ح٣٠٤١ ، وابن ماجة في كتاب الحج ، باب من أتى عرفة قبل الفجر ليلة جمع ١٠٠٤/٢ ح ٣٠١٦ ،والدارمى في كتاب الحج ، باب بما يتم الحج ٨٣/٢ح١٨٨٨، وأحمد ١٤٢/٢٦ح١٦٢٠٨ .

وجوب الدم وذلك فعل النبي ﷺ وفعل أصحابة ولقوله " خذوا عنى مناسككم [1] "وجوز الإمام أحمد الوقوف من طلوع الفجر يوم عرفة لظاهر حديث عروة بن مضرس[2]

ومن الأحاديث التي اشتملت على الأسلوب الحكيم حديث أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ : الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" [3]

فالنبي ﷺ بين كل الأصناف السابق ذكرها ليست في سبيل الله وحصر المقاتلين في سبيل الله هم الذين قاتلوا لتكون كلمة الله هي العليا ، وبذكره هذا الصنف أخرج جميع المقاتلين السالف ذكرهم .

---

[1]- أخرجه مسلم في كتاب الحج ، باب استحباب رمى جمرة العقبة يوم النحر راكباً ٢/٩٤٣ح١٢٩٧.

[2]- ينظر شرح حديث جابر في الحج ١/٧٢ ، مشكاة المصابيح ٩/٩٤٥ ، المفهم ١٠/٨٦ .

[3]- أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا ٤/٢٠ح٢٨١٠ ،ومسلم في كتاب الإمارة ، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله ٣/١٥١٢ح١٩٠٤.

المطلب الثاني

استخدام أسلوب التشويق

لقد اتبع النبي ﷺ طريقة التشويق لما يقال وذلك لجذب انتباه السامع ،ورسوخ ما يقوله في نفسه ، فالنفس البشرية دائماً تتطلع إلى الجديد ، ومعرفة ما غاب عنها ، وكلما كان الخبر أكثر تشويقا كما زاد اهتمام السامع به وتطلعه إلى معرفته .

جاء في حديث عن أبي سعيد بن المُعَلَّى [1] ، ﷺ ، قال: كنت أصلي فدعاني رسول الله ﷺ، فلم أجبه حتى صلَّيت وأتيته، فقال: " ما منعك أن تأتيني؟ " . قال: قلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي. قال: " ألم يقل الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾[2] ثم قال: " لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد " . قال: فأخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج من المسجد قلت: يا رسول الله إنك قلت: " لأعلمنك أعظم سورة في القرآن " . قال: " نعم، الحمد لله رب العالمين هي: السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته" [3]" .فالصحابي الجليل تشوق إلى معرفة أي سورة هي من أعظم سور القرآن الكريم لذلك عاجل النبي ﷺ. بسؤاله عنها وطلبه منه إخباره عنها قبل الخروج من المسجد.

ومن ذلك حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " احْشُدُوا فَإِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ "، قَالَ: فَحَشَدَ مَنْ حَشَدَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَقَرَأَ: قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، ثُمَّ دَخَلَ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ: هَذَا خَبَرٌ جَاءَهُ مِنَ السَّمَاءِ، فَذَاكَ الَّذِي أَدْخَلَهُ، ثُمَّ خَرَجَ، فَقَالَ: " إِنِّي قَدْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي سَأَقْرَأُ عَلَيْكُمْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ، وَإِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ " [4]" فالنبي ﷺ دعا الصحابة

---

[1]- أبو سعيد بن المعلى الحارث بن نفيع بن المعلى بن لوذان ، مشهور بكنيته ، أمه أميمة بنت فرط بن خنساء بن بنى سلمة ، اختلف في أسمه قيل الحارث وقيل رافع قال أبو عمر من قال فيه رافع بن المعلى فقدوهم لأنه قتل ببدر ، وأرخوا وفاته سنة أربع وسبعين وقيل سنة ثلاث وسبعين وقالوا عاش أربعاً وستين سنة وهذا خطأ فإنه يستلزم أن قصته مع رسول الله ﷺ أنه كان صغير وسياق الحديث يأبى ذلك (ينظر أسد الغابة ٢٢٢/١ ، ١١٨٦ – لاستيعاب ٨٣/١ – الإصابة ١٧٥/٧) .

[2]- سورة الأنفال آية رقم ٢٤.

[3]- أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن ،باب ما جاء في الفاتحة ١٧/٦ ح ٤٤٧.

[4]- أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ،باب فضل قراءة قل هو الله أحد ٥٥٧/١ح٨١٢ .

للاجتماع ولم يخبر عن سبب الدعوة إلى الاجتماع العاجل ،ولم يخبرهم بسبب هذا الاجتماع ، فلا شك أنه شئ هام يدعو له رسول الله ﷺ وهذا فيه من التشويق ما فيه لما يقال بعد الدعوة لهذا الاجتماع العاجل حتى إذا أخبرهم بما يريد رسخ في أذهانهم .

واستخدم النبي ﷺ أسلوب التشويق في حديث الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: " يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ " فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وُضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى . فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ: إِنِّي لَاحَيْتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ ؟ قَالَ: نَعَمْ . قَالَ أَنَسٌ: وَكَانَ عَبْدُ اللهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَكَبَّرَ، حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ . قَالَ عَبْدُ اللهِ: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ لَيَالٍ وَكِدْتُ أَنْ أَحْقِرَ عَمَلَهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللهِ إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثَمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ: " يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ " فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ، فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَّغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ . قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ . فَقَالَ عَبْدُ اللهِ هَذِهِ الَّتِي بَلَّغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ [1] " النبي ﷺ أخبر الصحابة أنه يطلع عليهم رجل من أهل الجنة ولم يخبر عن العمل الذي بلغه هذه المرتبة العظيمة وأهله لدخول الجنة مما جعل الصحابة يتطلعون لمعرفة ما أوصل هذا الرجل حتى يبشر بدخول الجنة فيعملون بعمله ،وينالون ما ناله من رضوان الله ،وكان سبباً في دخوله الجنة ، وهذا الأسلوب فيه من التشويق ما فيه

---

[1]- أخرجه أحمد في مسنده ٢٠/١٢٤ح١٢٦٩٧ .

،ولذلك تشوق عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما لمعرفة ما يقوم به هذا الرجل من العبادات فتحايل بهذه الحيلة [1] .

ومن أسلوب التشويق حديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم :« إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يَدْخُلُ مَعَهُمْ غَيْرُهُمْ يُقَالُ : أَيْنَ الصَّائِمُونَ فَيَدْخُلُونَ مِنْهُ فَإِذَا دَخَلَ آخِرُهُمْ أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمْ أَحَدٌ»"[2] ، فقوله " إن في الجنة باباً " فيه تشويق بل أبلغ في التشويق لمعرفة حقيقة هذا الباب ومن يدخل منه ، وقال إن في الجنة باباً ولم يقل إن للجنة ليشعر بأن في الباب المذكور من النعيم والراحة ما في الجنة ،

وكذلك ليشعر أن باب الريان غير الأبواب الثمانية التي للجنة وفي الجنة أيضاً أبواب آخر غير الثمانية مثل باب الصلاة وباب الجهاد وباب الصدقة [3] .

ويستخدم النبي ﷺ أسلوب التشويق للترغيب في العمل وجني الحسنات عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَدْخَلَ اللهُ رَجُلًا الْجَنَّةَ كَانَ سَهْلًا : مُشْتَرِيًا ، وَبَائِعًا ، وَقَاضِيًا ، وَمُقْتَضِيًا " [4]" ، قوله ﷺ أدخل الله تعالى عبر رسول الله ﷺ عن المستقبل بالماضي لتحقيق الوقوع وقدم دار الجزاء الجنة على المجازى وهو الرجل لمزيد من التشويق والترغيب في الجنة وقوله رجلاً يشمل كل إنسان رجلاً كان أو امرأة[5] .

واستخدم النبي ﷺ أسلوب التشويق في حديث أبي هريرة، عنِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمنِ:

---

[1]- ينظر المعلم الأول ﷺ ١/١٣٣ .

[2]- أخرجه البخاري في كتاب الصوم ،باب الريان للصائمين ٣/٢٥ح١٨٩٦ ،ومسلم في كتاب الصوم ، باب فضل الصيام ٢/٨٠٦ ح ١١٥٢ .

[3]- ينظر عمدة القارى ١٦/٢٤٥ .

[4]- أخرجه أحمد ١/٥٢٢ ح ٤٨٦ ، وقال محققا الكتاب الشيخ شعيب الأرنؤوط ، ود/ بشار عواد : حديث حسن

[5]- ينظر فيض القدير ١/٢٩٢

سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ، سبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ "[1] قدم النبي ﷺ الخبر على المبتدأ تشويقاً للسامع إلى المبتدأ ، وقوله كلمتان أي جملتان مفيدتان وفيه إطلاق الكلمة على الكلام وهو مثل كلمة الإخلاص وكلمة الشهادة ، وهو خبر ، وخفيفتان وما بعده صفة والمبتدأ سبحان الله إلى آخره ، وكلما طال الكلام في وصف الخبر حسن تقديمه لأنه كثرة الأوصاف الجميلة تزيد السامع شوقاً[2] .

واستخدم النبي ﷺ أسلوب التشويق في حديث ابْنِ عَبَّاس قَالَ إِنَّ وَفْدَ عَبْدِ الْقَيْسِ لَمَّا أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: مَنِ الْقَوْمُ أَوْ مَنِ الْوَفْدُ قَالُوا: رَبِيعَةَ قَالَ: مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ أَوْ بِالْوَفْدِ غَيْرَ خَزَايا وَلاَ نَدَامَى فَقَالُوا: يا رَسُولَ اللهِ إِنَّا لاَ نَسْتَطِيعُ أَنْ نَأْتِيَكَ إِلاَّ في الشَّهْرِ الْحَرَامِ، وَبَيْنَنَا وَبَيْنَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ، فَمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ نُخْبِرْ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا وَنَدْخُلْ بِهِ الْجَنَّةَ وَسَأَلُوهُ عَنِ الأَشْرِبَةِ فَأَمَرَهُمْ بِأَرْبَعٍ وَنَهَاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: أَمَرَهُمْ بِالإِيمانِ بِاللهِ وَحْدَهُ، قَالَ: أَتَدْرُونَ مَا الإِيمانُ بِاللهِ وَحْدَهُ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامُ الصَّلاةِ وَإِيتاءُ الزَّكَاةِ وَصِيامُ رَمَضَانَ وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمُسَ وَنَهاهُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنِ الْحَنْتَمِ [3]وَالدُّبَّاءِ [4] وَالنَّقِيرِ[5] وَالْمُزَفَّتِ [6]

---

[1]- أخرجه البخاري في: ٨٠ كتاب الدعوات: ٦٥ باب فضل التسبيح (٨ / ٨٦ ح ٦٤٠٦) ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٤/ ٢٠٧١ ح ٢٦٩١)

[2]- ينظر تحفة الأحوذى ٣٠٥/٩

[3]- الحنتم : جرار مدهونة خضر كانت تحمل فيها الخمر إلى المدينة ثم اتسع فيها فقيل للخزف كله حنتم واحدتها حنتمة ، وإنما نهي عن الانتباذ فيها لأنها تسرع الشدة فيها لأجل دهنها ، وقيل لأنها كانت تعمل من الطين يعجن بالدم والشعر فنهي عنها ليمتنع من عملها والأول أوجه (ينظر النهاية في غريب الأثر ٥٩/١)

[4]- الدباء القرع والوحدة دباءة ووزنه فعال ولامه همزة كالقثاء والدباء واحدها دباءة كانوا ينتبذون فيها فتسرع الشدة في الشراب ، وتحريم الانتباذ في هذه الظروف كان في صدر الإسلام ثم نسخ وهو المذهب وذهب مالك وأحمد إلى بقاء التحريم (ينظر الفائق ٤٠٧/١ ، النهاية في غريب الأثر ٢٠٣/٢

[5]- النقير : أصل خشبة ينقر ، أو أصل النخلة ينقر وسطه ثم ينبذ فيه التمر ويلقى عليه الماء ليصير نبيذاً مسكراً ، والنهي واقع على ما يعمل فيه لا على اتخاذ النقير فيكون على حذف مضاف تقديره : عن لبيذ النقير وهو فعيل بمعنى مفعول (ينظر النهاية ٢١٨/٥)

[6]- المزفت : هو الوعاء المطلي بالزفت وهي أوعيه تسرع بالشدة في الشراب ، وتحدث في التغيير ولا يشعر به صاحبة فهو على خطر من شرب المحرم (ينظر الفائق ٤٠٧/١)

وَرُبَّمَا قَالَ الْمُقَيَّرِ[1] وَقَالَ: احْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ[2] " .

فقوله : أمرهم بأربع ، ونهاهم عن أربع فيه تشويق للسامع لمعرفة تلك الأربع التي أمر بها أو الأربع التي نهي عنها ، حتى إذا جاء التفصيل سكن إليه النفس ورسخ في الذهن ، ولتسهيل حفظها للسامع حتى إذا نسى شيئاً من تفاصيل ما أجمل طلبته نفسه بالعدد فإذا لم يستوف العدد الذي حفظه علم أنه قد فاته بعض ما سمع [3]والله أعلم .

استخدم النبي ﷺ التفصيل بعد الإجمال وفي هذا تشويق للسامع لسماع ما يفصل بعد هذا الإجمال ومن ذلك حديث أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ : أَنَّ النبي -ﷺ- كَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ :« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ ، دِقَّهُ [4] ، وَجِلَّهُ [5] ، وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ ». زَادَ ابْنُ السَّرْحِ :« عَلاَنِيَتَهُ وَسِرَّهُ ».[6]

وفائدة التفصيل بعد الإجمال أوقع في النفس وآكد في الذهن[7]

ومن التفضيل بعد الإجمال حديث عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ :« إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ ». " فتقسيمه أحوال المهاجرين تفصيل لما أجمل في قوله إنما الأعمال بالنيات لبيان أن صالحة أو فاسدة أو مقبولة أو مردودة أو مثاب عليها أو غير مثاب عليها بالنيات فيكون خبراً من الحكم الشرعي وهو أن صلاحها وفسادها بحسب صلاح النية وفسادها [8].ومثل لصلاح النية التي يثاب عليها الهجرة إلى الله ورسوله ، والنية الفاسدة التي لا يثاب عليها هي الهجرة إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها .

---

[1]- المقير : هو المزفت أى الإناء الذي طلي بالقار (لسان العرب ٣٤/٢ بتصرف) .

[2]- أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب أداء الخمس من الإيمان ٢٠/١ح٥٣ ، ومسلم في كتاب الأشربة ، باب الانتباذ في المزفت والدباء ،والحنتم والنقير ١٥٧٧/١ ح١٩٩٣ . .

[3]- ينظر عمدة القارئ ٣٢٩/٢ .

[4]- دقة : بكسر الدال أي قليلة وفي الأصل هو مصدر من دق الشئ إذا لطف (ينظر النهاية ٨٠٠/١) .

[5]- جله : بكسر الجيم أي كثيرة وهو أيضاً في الأصل مصدر من جل الشئ إذا عظم (ينظر النهاية في غريب الأثر ٨٠٠/١).

[6]- أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب مايقال في الركوع والسجود ٣٥٠/١ ح ٤٨٣ .

[7]- ينظر شرح أبى داود للعينى ٨٩/٤ بتصرف .

[8]- ينظر فتح الباري ١٣/١ ، مشكاة المصابيح ٧٣/١ .

المطلب الثالث

ذكر الشئ مع ذكر علته

ذكر الشئ مع ذكر علته يؤدى إلى وضوح المعنى ،ورسوخ المعلومة في ذهن السامع لربطه بين الشئ ،وعلته فإن نسى الشئ تذكره بعلته ،ولقد استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب في كثير من الأحاديث منها حديث أبى هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله ثم ليطرحه فإن في إحدى جناحيه داء وفي الأخر شفاء"[1] ، فالنبي ﷺ بين علة غمس الذباب كله في الإناء إذا سقط فيه حتى يتعادل الشفاء الذي في أحد جناحي الذباب مع الداء الذي في الجناح الآخر فيكون الشفاء في مقابل الداء ، فلو لم يبين النبي ﷺ علة الحكم لوقف السامع حائراً ولكن بذكر علة الحكم زالت حيرته ورسخت المعلومة في الذهن[2].

ومنه كذلك حديث أبى قتادة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : في الهرة إنها ليست بنجس إنما هي من الطوافين عليكم "[3] فقد علل النبي ﷺ عدم نجاسة الهرة لأنها مخالطة لأهل البيت ويصعب الاحتراز منها ذلك خفف الله تعالى على عباده بجعلها غير نجسه رفعاً للحرج ، فالنبي صلى الله عليه وسلم قرن ذكر الحكم بعدم نجاسة الهرة بذكر علته وهو كونها مخالطة لأهل المنزل ويشق الاحتراز منها ،وقرن النبي صلى الله عليه وسلم الحكم بعلته في حديث ثَابِتُ بْنُ الضَّحَّاكِ قَالَ : نَذَرَ رَجُلٌ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ -ﷺ- أَنْ يَنْحَرَ إِبِلاً بِبُوَانَةَ[4]، فَأَتَى النبي ﷺ فَقَالَ : إِنِي نَذَرْتُ أَنْ أَنْحَرَ إِبِلاً بِبُوَانَةَ

---

[1]- أخرجه البخاري في كتاب الطب ،باب إذا وقع الذباب في الإناء ٧/١٤٠ح٥٧٨٢ .

[2]- ينظر إعلام الموقعين ١/١٥٢ ط دار الكتب العلمية .

[3]- أخرجه أبو داود في كتاب الطهارة باب سؤر الهرة ، قال الشيخ الألباني : حسن صحيح ١/٢٨ح٧٥ ، والترمذى في كتاب الطهارة باب ما جاء في سؤر الهرة ، وقال : حين صحيح ١/١٥٣ح٩٢ ،والنسائي في كتاب الطهارة باب سؤر الهمزة ١/٥٥ ح٦٨ ، وابن ماجه في كتاب الطهارة باب الوضوء بسؤر الهمزة والرخصة في ذلك ١/١٣١ح٣٦٧ ، وأحمد ٣٧/٢١١ .

[4]- بوانة بالضم وتخفيف الواو قال أبو القاسم محمود ابن عمر قال السيد علي بوانة هضبة وراء ينبع قريبة من ساحل البحر وقريب منها ماءة تسمى القصيبة وماء آخر يقال له المجاز قال الشماخ ابن ضرار نظرت وسهب من بوانة دوننا وأفيح من روض الرباب عميق وهذا يريك أنه جبل وقال آخر لقد لقيت شول بجنب بوانة نصيا كأعراف الكوادن أسحما وفي حديث ميمونة بنت كردم أن أباها قال للنبي صلى الله عليه و سلم إني نذرت أن أذبح خمسين شاة على بوانة فقال صلى الله عليه و سلم هناك

. فَقَالَ النبي ﷺ: « هَلْ كَانَ فِيهَا وَثَنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ ». قَالُوا : لاَ. قَالَ : « هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ ». قَالُوا : لاَ. قَالَ ﷺ : « أَوْفِ بِنَذْرِكَ فَإِنَّهُ لاَ وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلاَ فِيمَا لاَ يَمْلِكُ ابْنُ آدَمَ » [1] "

ألا ترى النبي ﷺ قد استفسر من الصحابة هل هذا المكان كان فيه صنم يعبد في الجاهلية أو كان فيه عيد في الجاهلية ، ثم بين أنه ما دام لم يكن هناك صنم ، ولم يكن عيداً لهم فالذبح في هذا المكان جائز ،وذكر علة الجواز أن لا يكون النذر في معصية الله فإذا انتفت معصية الله جاز النذر ، أو يكون النذر فيما لا يملك الإنسان .

ومن الأحاديث التي ذكرها النبي ﷺ وذكر فيها الشئ مقروناً بذكر علته حديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :" اعْتَدِلُوا فِي السُّجُودِ وَلَا يَبْسُطْ أَحَدُكُمْ ذِرَاعَيْهِ انْبِسَاطَ الْكَلْبِ"[2].

فقوله ﷺ " ولا يبسط أحدكم ذراعيه انبساط الكلب كالتتمة لقوله " اعتدلوا في السجود " وأن الأول كالعلة له فيكون الاعتدال الذي هو فعل الشئ على وفق الشرع ولترك الانبساط انبساط الكلب فإنه مناف لوضع الشرع .

وقد ذكر في هذا الحديث الحكم مقروناً بعلته فإن التشبيه بالأشياء الخسيسة مما يناسب تركه في الصلاة[3] "

شيء من هذه النصب فقال لا قال فأوف بنذرك فذبح تسعا وأربعين وبقيت واحدة فجعل يعدو خلفها ويقول اللهم أوفي بنذري حتى أمسكها فذبحها وهذا معنى الحديث (ينظر معجم البلدان – (١ / ٥٠٥).

[1]- أخرجه أبو داود في كتاب الإيمان والنذور ، باب.ما يؤمر به من الوفاء بالنذر ،وقال الشيخ الألباني حديث صحيح ٣/٢٣٦ح ٣٣١٥ ، وابن ماجه في كتاب الكفارات ، باب الوفاء بالنذر ١/٦٨٨ح٢١٣٠ ، وأحمد ٤٤/٦٢٣ح٢٧٠٦٦ .

[2]- أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ، باب لا يفترش ذراعية في السجود ١/١٦٤ح٨٢٢ ،ومسلم في كتاب الصلاة ، باب الاعتدال في السجود ووضع الكفين على الأرض ١/٣٥٥ح٤٩٣ .

[3]- ينظر إحكام الأحكام في شرح عمدة الأحكام ١/١٦٥ .

المطلب الرابع

استخدام اللف والنشر

استخدام اللف،والنشر[1] سواء كان مرتباً ،أو غير مرتب من الأساليب التعليمية ،ولقد جاء في القرآن الكريم هذا الأسلوب في قوله تعالى ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[2] ، فهذا أسلوب لف ونشر مرتب فما بدأ بذكره أولا ذكره أولا في ذكر جزائه ،وما ذكره ثانيا ذكره ثانيا عند ذكر جزائه .

وأما أسلوب اللف والنشر غير المرتب كما في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[3] . يقول الفخر الرازي رحمه الله : أنه تعالى ذكر القسمين أولاً فقال : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ فقدم البياض على السواد في اللفظ ، ثم لما شرع في حكم هذين القسمين قدم حكم السواد ، وكان حق الترتيب أن يقدم حكم البياض والجواب عنه من وجوه :-

أحدها : أن الواو للجمع المطلق لا للترتيب .

---

[1]- اللف والنشر أن تذكر شيئين ثم تأتي بتفسيرهما جملة ثقة بأن السامع يرد كل منهما ما له (ينظر كتاب التعريفات ٢٤٧/١) .

[2]- سورة فصلت آية رقم ١٣-١٧ .

[3]- سورة آل عمران آية رقم ١٠٦ ، ١٠٧ .

وثانيها : أن المقصود من الخلق إيصال الرحمة لا إيصال العذاب قال عليه الصلاة والسلام حاكياً عن رب العزة سبحانه : "خلقتهم ليربحوا علي لا لأربح عليهم [1] " وإذا كان كذلك فهو تعالى ابتدأ بذكر أهل الثواب وهم أهل البياض ، لأن تقديم الأشرف على الأخس في الذكر أحسن ، ثم ختم بذكرهم أيضاً تنبيهاً على أن إرادة الرحمة أكثر من إرادة

الغضب كما قال : "سبقت رحمتي غضبي" [2]

وثالثها : أن الفصحاء والشعراء قالوا : يجب أن يكون مطلع الكلام ،ومقطعه شيئاً يسر الطبع ويشرح الصدر ولا شك أن ذكر رحمة الله هو الذي يكون كذلك فلا جرم وقع الابتداء بذكر أهل الثواب والاختتام بذكره [3]

ولقد استخدم النبي ﷺ اللف والنشر المرتب في حديث أبي سعيد قال : - قال- ﷺ: (من نام عن الوتر أو نسيه فليصل إذا أصبح أو ذكره [4] " فمقابل إذا نام إذا أصبح ومقابل إذا نسى قوله أو ذكر ". وهذا من قبيل اللف والنشر المرتب .

---

[1]- ذكره الإمام الغزالي في إحياء علوم الدين ، وقال الحافظ العراقي : لم أقف له على أصل (٥٤/٦ ، وذكره الشيخ أبو عبد الرحمن عصام الدين الصابطي وقال : رواه الغزالي في الإحياء. (ضعيف جداً) وقال الحافظ العراقي في تخريجه: لم أقف له على أصل. (ينظر جامع الأحاديث القدسية- قسم الضعيف والموضوع - (١ / ٣٧) .

[2]- أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى { بلْ هو قُرْآنٌ مجيدٌ في لَوْحٍ مَحفُوظٍ } (٩ / ١٦٠ ح ٧٥٥٣) ، ومسلم في كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه (٤ / ٢١٠٨ ح ٢٧٥١)

[3]- ينظر تفسير الفخر الرازي - (١ / ١٢٢٠ ــ ١٢٢١)

[4]- أخرجه أبو داود في كتاب الوتر ، باب في الدعاء بعد الوتر ٥٣٨/١ح ١٤٣٣ ،وقال الشيخ الألباني : حديث صحيح ، والترمذي في كتاب الصلاة ، باب ما جاء في الرجل ينام عن وتره أو ينساه قال الشيخ الألباني : حديث صحيح ٣٣٠/٢ح٤٦٥ ، وابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب من نام عن وتر أو نسيه ، قال الشيخ الألباني : صحيح (١ / ٣٧٥ ح ١١٨٨) ، وأحمد (١٧ / ٣٦٦ ح ١١٢٦٤) ، وأخرجه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه .وخرجه الترمذي - أيضا - من رواية عبد الله بن زيد بن اسلم ، عن أبيه ، أن رسول الله (، قال : (من نام عن وتره فيصله إذا أصبح) وقال : هذا أصح .وذكر : أن عبد الله بن زيد ثقة ، وأخاه عبد الرحمن ضعيف ولكن خرجه أبو داود والحاكم من حديث أبي غسان محمد بن مطرف ، عن زيد بن أسلم ، عن عطاء ، عن أبي سعيد - مرفوعاً .وقال

واستخدم أسلوب اللف والنشر غير المرتب في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : نَهَى ﷺ : عَنْ لِبْسَتَيْنِ ، وَعَنْ بَيْعَتَيْنِ عَنِ الْمُلَامَسَةِ [1]، وَعَنِ الْمُنَابَذَةِ [2]، وَعَنْ أَنْ يحتبي [3] الرَّجُلُ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ لَيْسَ عَلَى فَرْجِهِ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَعَنْ أَنْ يَشْتَمِلَ [4] الرَّجُلُ بِالثَّوْبِ الْوَاحِدِ عَلَى أَحَدِ شِقَّيْهِ " فقد ذكر نهي عن لبستين وبيعتين ثم ذكر البيعتين قبل اللبستين من أجل التنويع في الأساليب ،ولأجل أن النهي عن البيعتين أهم من اللبستين لترتب تنازع ،وشقاق بين المسلمين وكلما كان الفعل المنهي عنه يتعدى فاعله إلى غيره كان في الوزر أعظم ،كما أنه كلما كانت الطاعة متعدية من الشخص لغيره كانت في الثواب أعظم ، بخلاف اللبستين فإن فعلها لا يتعدى الشخص إلى غيره والله أعلم.

ومن أساليب اللف والنشر المشوش عن عمرو بن شعيب عن جده عبد الله بن عمرو قال : سمعت ﷺ : يقول خصلتان من كانتا فيه كتبه الله شاكرا صابرا، ومن لم تكونا فيه لم يكتبه الله شاكرا ، ولا صابرا ، من نظر في دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به ، ونظر في دنياه إلى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به عليه كتبه الله شاكرا

الحاكم : صحيح على شرطهما ،وخرجه الدارقطني من وجه آخر ، عن زيد – كذلك .لكنه إسناد ضعيف .. (ينظر فتح الباري – لابن رجب – (٦ / ٢٤٥) .

[1]– والملامسة لمس الرجل ثوب الآخر بيده بالليل والنهار ولا يقلبه إلا بذلك (ينظر التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد – (١٣ / ١٠)

[2]– والمنابذة أن ينبذ الرجل إلى الرجل بثوبه وينبذ الآخر ثوبه ويكون ذالك بيعهما عن غير نظر ولا تراض (ينظر تحفة الأحوذي ٤/٤٧٤) .

[3]– احتباؤه بثوبه وهو جالس ليس على فرجه منه شيء الاحتباء أن يقعد على إليتيه وينصب ساقيه ويلف عليه ثوبا ويقال له الحبوة وكانت من شأن العرب (ينظر عمدة القاري ٣١/ ٤٧٠ ، تحفة الأحوذي – (٥ / ٣٦٨) .

[4]– اشتمال الصماء فقال عبد الغافر الفارسي في مجمعه تفسير الفقهاء: أنه يشتمل بثوب ويرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبيه فالنهي عنه لأنه يؤدي إلى التكشف وظهور العورة قال: وهذا التفسير لا يشعر به لفظ الصماء وقال الأصمعي: هو أن يشتمل بالثوب فيستر به جميع جسده بحيث لا يترك فرجة يخرج منها يده واللفظ مطابق لهذا المعنى.والنهي عنه: يحتمل وجهين:أحدهما: أنه يخاف معه أن يدفع إلى حالة سادة لمتنفسه فيهلك عما تحته إذا لم تكن فيه فرجة والآخر: أنه إذا تخلل به فلا يتمكن من الاحتراس والاحتراز إن أصابه شيء أو نابه مؤذ ولا يمكنه أن يتقيه بيديه لإدخاله إياهما تحت الثوب الذي اشتمل به والله أعلم. (ينظر إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام – (١ / ٢٨٩) .

صابرا ،ومن نظر في دينه إلى من هو دونه ،ونظر في دنياه إلى من هو فوقه فأسف على ما فاته منه لم يكتبه الله شاكرا ولا صابرا "[1] ، فقوله ﷺ " كتبه الله شاكراً لمن ينظر في دنياه لمن هو دونه وقوله " صابراً " لمن ينظر في دينه لمن هو فوقه " فجعل الأولى للثانية والثانية للأولى[2] وهو لف ونشر غير مرتب ، ويجئ باللف والنشر غير المرتب حتى

لا يسير الكلام على وتيرة واحدة ، ومن باب التنويع في الأساليب كما أنه ذكر وصف الثانية أولاً لقربها منها ، وذكر وصف الأولى ثانياً لبعدها عنه ، ومنه كذلك حديث عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَجُلاً مِنْ مُزَيْنَةَ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تَرَى فِي حَرِيسَةِ الْجَبَلِ؟ [3] قَالَ :« هِيَ وَمِثْلُهَا وَالنَّكَالُ [4] لَيْسَ فِي شَىْءٍ مِنَ الْمَاشِيَةِ قَطْعٌ إِلاَّ فِيمَا آوَاهُ الْمُرَاحُ [5] وَبَلَغَ ثَمَنَ الْمِجَنِّ [6] فَفِيهِ قَطْعُ الْيَدِ ، وَمَا لَمْ يَبْلُغْ ثَمَنَ الْمِجَنِّ فَفِيهِ غَرَامَةُ مِثْلَيْهِ وَجَلَدَاتُ نَكَالٍ ». قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكَيْفَ تَرَى فِي الثَّمَرِ الْمُعَلَّقِ؟ [7] قَالَ :« هُوَ

---

[1]- أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة والرقائق والورع باب ٥٨ ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن غريب ، وقال الشيخ الألباني : حديث ضعيف (٦٦٥/٤ ح ٢٥١٢) .

[2]- ينظر تحفة الأحوذى ١٨١/٧.

[3]- حريسة الجبل : قال ابن الأثير أي ليس فيما يحرس بالجبل إذا سرق قطع لأنه ليس بحرز ، وحريسه فعليه بمعنى مفعولة أي أن لها من يحرسها ويحفظها ومنهم من يجعل الحريسة السرقة نفسها أي ليس فيما يسرق من الماشية بالجبل قطع (ينظر الفائق ٢٧١/١ – ٢٧٢ – النهاية في غريب الأثر ٩٣٣/١)

[4]- النَّكَال أيْ الْعُقُوبَة وَفِيهِ جَمْع بَيْن التَّعْزِير بِالْمَالِ وَالْعُقُوبَة (ينظر حاشية السندي على ابن ماجه – (٥ / ٢٥٧) .

[5]- المُراح : بضم الميم وجاء مهلة موضع مبيت الغنم (ينظر النهاية ٦٥٨/٢) .

[6]- (المجن) بكسر الميم وفتح الجيم هُو التُرس لأنه يُوَارِي حَامِلَه : أي يستُره والميم زائدة وكان ثمنه إذ ذاك ثلاثة دَرَاهِم وهي تساوي ربع دينار فلا قطع إلا في ربع دينار(ينظر التيسير بشرح الجامع الصغير ــ للمناوى – (١ / ١٠٨) ، النهاية في غريب الأثر – (١ / ٨٢٨) .

[7]- في الثمر فإنه يعني به التمر المعلق في النخل الذي لم يجذذ ولم يحرز في الجرين ؛ وهو معنى حديث عمر رضي الله عنه : لا قطع في عام سنة ولا في عزق معلق (ينظر غريب الحديث لابن سلام – (١ / ٢٨٧).

وَمِثْلُهُ مَعَهُ وَالنَّكَالُ وَلَيْسَ فِي شَيْءٍ مِنَ الثَّمَرِ الْمُعَلَّقِ قَطْعٌ إِلاَّ مَا آوَاهُ الْجَرِينُ [1] فَمَا أُخِذَ مِنَ الْجَرِينِ فَبَلَغَ ثَمَنَ الْمِجَنِّ فَفِيهِ الْقَطْعُ ، وَمَا لَمْ يَبْلُغْ ثَمَنَ الْمِجَنِّ فَفِيهِ غَرَامَةُ مِثْلَيْهِ وَجَلَدَاتُ نَكَالٍ ». قَالَ فَكَيْفَ تَرَى فِيمَا يُؤْخَذُ فِي الطَّرِيقِ الْمِيتَاءِ [2]، أَوِ الْقَرْيَةِ الْمَسْكُونَةِ؟ قَالَ :« عَرِّفْهُ سَنَةً فَإِنْ جَاءَ بَاغِيهِ فَادْفَعْهُ إِلَيْهِ وَإِلاَّ فَشَأْنَكَ بِهِ ، فَإِنْ جَاءَ طَالِبُهُ وَمَا مِنَ الدَّهْرِ فَأَدِّهِ إِلَيْهِ فَمَا كَانَ فِي الطَّرِيقِ غَيْرِ الْمِيتَاءِ وَفِي الْقَرْيَةِ غَيْرِ الْمَسْكُونَةِ فَفِيهِ وَفِي الرِّكَازِ الْخُمُسُ ». قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكَيْفَ تَرَى فِي ضَالَّةِ الْغَنَمِ؟ قَالَ :« طَعَامٌ مَأْكُولٌ لَكَ أَوْ لأَخِيكَ أَوْ لِلذِّئْبِ احْبِسْ عَلَى أَخِيكَ ضَالَّتَهُ ». قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ فَكَيْفَ تَرَى فِي ضَالَّةِ الإِبِلِ؟ فَقَالَ : مَا لَكَ وَلَهَا مَعَهَا سِقَاؤُهَا وَحِذَاؤُهَا [3] وَلاَ يُخَافُ عَلَيْهَا الذِّئْبُ تَأْكُلُ الْكَلأَ وَتَرِدُ الْمَاءَ دَعْهَا حَتَّى يَأْتِيَ طَالِبُهَا » [4] فالحديث فيه لف ونشر غير مرتب ، فقد ذكر ضابط القطع في سرقة الماشية كونها يضمها المراح وهو موضع المبيت قبل ذكر ضابط القطع في سرقة الثمر وهو كونها يضمها جرين مع أنها ذكرت متأخرة عنها ، وذلك كما قلت سابقاً من أجل التنويع في الأساليب أو لأنه لما ذكر الماشية . ثانياً أردفها بذكر ضابط القطع في سرقتها ثم ذكر ضابط القطع في سرقة الثمر[5]. والله أعلم .

---

[1]- الجَرِين : بفتح الجيم وكسر الراء لموضع يجفف فيه الثمار والجمع جرن يجبر يد و يرد (ينظر النهاية في غريب الأثر ١/٧٣٨) .

[2]- قوله الميتاء بكسر الميم الطريق المسلوك على وزن مفعال من الإتيان والميم زائدة وبابه الهمزة (ينظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري - (١٩ / ١٨٢) .

[3]- (معها سقاؤها) فمعناه أنها تقوي على ورود المياه وتشرب في اليوم الواحد وتملأ كرشها بحيث يكفيها الأيام وأما حذاؤها فبالمد وهو اخفافها لأنها تقوى بها على السير وقطع المفاوز (ينظر شرح النووي على مسلم - (١٢ / ٢١ ، ٢٢) .

[4]- أخرجه النسائي في كتاب تعظيم السرقة ، باب الثمر يسرق بعد أن يؤويه الجرين ، وقال الشيخ الألباني : حديث حسن ٨/٨٥ح٤٩٥٩ ، ومالك في كتاب الحدود ، باب ما يجب فيه القطع (٢ / ٨٣١ ح ١٥١٨) ، و أحمد (١١ / ٢٧٣ ح ٦٦٨٣) ، وأخرجه بهذا اللفظ البيهقي في كتاب الزكاة ، باب مَنْ قَالَ الْمَعْدِنُ رِكَازٌ فِيهِ الْخُمُسُ (٤ / ١٥٢ ح ٧٨٩١) .

[5]- ينظر شرح الزرقانى ٤/١٨٩.

وقوله ﷺ " عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال : إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير [1] ، فحامل المسك إما أن يحذيك [2] وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحا خبيثة " [3]

فهذا الحديث من قبيل اللف والنشر المرتب ،فحامل المسك مقابل الجليس الصالح وهو له نفعه من حيث إما أن يعطيك من مسكه بدون مقابل ، أو بمقابل ، أو تشم منه رائحة طيبة ، ونافخ الكير إما أن يحرق ثوبك ، أو تشم منه رائحة منتنة .

---

[1]- نافخ الكير بكسر الكاف زق ينفخ فيه الحداد وأما المبنى من الطين فكور (ينظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١٤ / ٣٠٦) .

[2]- يحذيك بجيم وذال معجمة أي يعطيك (ينظر التيسير بشرح الجامع الصغير ــ للمناوى - (١ / ٧٣٨) .

[3]- أخرجه البخاري في كتاب البيوع ،باب في العطار وبيع المسك ٣/٦٣ح ٢١٠١ ،ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب ،باب استحباب مجالسة الصالحين مجانبة قرناء السوء ٤/٢٠٢٦ح٢٦٢٨ .

المطلب الخامس

استخدام أسلوب الحوار في التعليم

يكون الحوار بين المعلم والمتعلم للوصول إلى الحق والإقناع التام له بذكر الدليل ،والبرهان وعلة الشئ ويوجد في الأحاديث استخدام هذا الأسلوب الحواري بين النبي ﷺ ،وبين شخص آخر كما في حديث أبي أمامة قال: إن فتى شابًا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا. فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مَهْ مَهْ. فقال: "ادن". فدنا منه قريبًا فقال اجلس". فجلس، قال: "أتحبه لأمك؟" قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: "ولا الناس يحبونه لأمهاتهم" . قال: "أفتحبه لابنتك"؟ قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداك. قال: "ولا الناس يحبونه لبناتهم" ، قال: "أتحبه لأختك"؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: "ولا الناس يحبونه لأخواتهم"، قال: "أفتحبه لعمتك"؟ قال: لا والله جعلني الله فداك. قال: "ولا الناس يحبونه لعماتهم" قال: "أفتحبه لخالتك"؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: "ولا الناس يحبونه لخالاتهم" قال: فوضع يده عليه وقال: "اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه" قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء .[1]"

استخدم النبي ﷺ أسلوب الحوار بينه ،وبين الشاب مستخدماً أسلوب الإقناع المنطقي بأنه كما أنك لا ترضي الزنا في أمك ،أو بنتك ،وأختك ،أو عمتك ،أو خالتك كذلك الناس لا يرضونه في أمهاتهم ،وبناتهم ،وأخواتهم ،وعماتهم ،وخالاتهم ، وهذا الأسلوب أقوى من أن ينهاه أو يذكر له مضار الزنا أو حكمه فهذا الأسلوب أشد إقناعا كما إنه فيه تفاعل بين المتكلم والسامع فيجعله لا يشرد بذهنه عنه.

ومن الأحاديث التي استخدم فيها النبي ﷺ الحوار مع الصحابة حديث عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ مُرَّةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ :« مَا تَقُولُونَ فِي الشَّارِبِ ،والزاني ،وَالسَّارِقِ؟ ». وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ الْحُدُودُ فَقَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم :« هُنَّ فَوَاحِشُ وَفِيهِنَّ عُقُوبَةٌ وَأَسْوَأُ السَّرِقَةِ الذي

---

[1]- أخرجه أحمد ٣٦/٥٤٥ح٢٢٢١١ ، وقال محققا الكتاب : إسناده صحيح ، رجاله رجال الصحيح .

يَسْرِقُ صَلاَتَهُ ». قَالَ ابْنُ بُكَيْرٍ فِي رِوَايَتِهِ قَالُوا : وَكَيْفَ يَسْرِقُ صَلاَتَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ :« لاَ يُتِمُّ رُكُوعَهَا وَلاَ سُجُودَهَا ».[1]"

قال الباجي : فيه إخبار بمسائل العلم على حسب ما يختبر به العالم أصحابه يحتمل أن يريد تقريب التعليم عليهم فقصد أن يعلمهم على أن الإخلال بإتمام الركوع والسجود كبيرة وهو أسوأ مما تقرر عندهم من حرمة السرقة، وسؤاله صلى الله عليه وسلم أَصْحَابَهُ عَنْ حُكْمِ الشَّارِبِ ،وَالسَّارِقِ ،وَالزَّانِي قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ فِيهِمْ دليل صَرِيحٌ فِي جَوَازِ الْحُكْمِ بِالرَّأْيِ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ حُكْمٌ مَا سَأَلَهُمْ عَنْهُ فَإِنَّهُ لَا يَسَعُهُمْ أَنْ يَقُولُوا بِآرَائِهِمْ ،وقوله :" قالوا الله ورسوله أعلم " فيه حسن أدب الصحابة رضي الله عنهم حيث لم يبدوا رأيا عنده بل ردوا العلم إلى الله ورسوله .[2]

واستخدم النبي ﷺ أسلوب الحوار والإقناع المنطقي في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي اللَّهُ عَنْهُ : أَنَّ أَعْرَابِيًّا مِنْ بَنِي فَزَارَةَ أَتَى النبي ﷺ فَقَالَ : إِنَّ امرأتي وَلَدَتْ غُلاَمًا أَسْوَدَ. فَقَالَ لَهُ النبي -ﷺ- :« هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟ ». قَالَ : نَعَمْ. قَالَ :« فَمَا أَلْوَانُهَا؟ ». قَالَ : حُمْرٌ. قَالَ :« هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟ [3]». قَالَ : إِنَّ فِيهَا لَوُرْقًا. قَالَ :« فَأَنَّى أَصَابَهَا ذَلِكَ؟ ». قَالَ : لَعَلَّهُ عِرْقٌ نَزَعَهُ [4]،فَقَالَ النبي ﷺ- :« وَهَذَا لَعَلَّهُ نَزَعَهُ عِرْقٌ »[5]"الرجل

---

[1]- أخرجه الدارمي في كتاب الصلاة ،باب في الذي لا يتم الركوع والسجود بلفظ أسوأ الناس سرقة .... الحديث قال حسين سليم أسد : إسناده ضعيف فيه عنعنة الوليد بن مسلم (١ / ٣٥٠ ح ١٣٢٨)، ومالك في كتاب الصلاة ، باب العمل في جامع الصلاة ١٦٧/١ ح٤٠١ ، وأحمد وقال محققا الكتاب : حديث حسن، وهذا إسناد ضعيف لضعف علي بن زيد: وهو ابن جُدْعان، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح. عفان: هو ابن مسلم الصفار، وحماد: هو ابن سلمة. (١٨ / ٩٠ ح ١١٥٣٢) .

[2]- ينظر شرح الزرقاني – (١ / ٤٨٢) ، المنتقى – شرح الموطأ – (١ / ٤١٣) .

[3]- أورق هو الذي فيه سواد ليس بصاف فالأوراق هو الجمل الأسمر والورقة السمرة يقال جمل أورق وناقة ورقاء (ينظر النهاية في غريب الأثر ٣٨٦/٥ .

[4]- والمراد بالعرق هنا الأصل من النسب تشبيها بعرق الشجرة ومنه قولهم فلان معرق في النسب والحسب وفي اللؤم والكرم ومعنى نزعه أشبهه واجتذبه إليه وأظهر لونه عليه وأصل النزع الجذب فكأنه جذبه إليه لشبهه يقال منه نزع الولد لأبيه وإلى أبيه ونزعه أبوه ونزعه إليه وفي هذا الحديث أن الولد يلحق الزوج وإن خالف لونه لونه حتى لو كان الأب أبيض والولد أسود أو عكسه لحقة ولا يحل له نفيه بمجرد المخالفة في اللون وكذا لو كان الزوجان أبيضين فجاء الولد أسود أو عكسه لاحتمال أنه نزعه عرق من أسلافه (ينظر شرح النووي على مسلم – (١٠ / ١٣٣ ح ١٣٤) .

[5]- أخرجه البخاري في كتاب الطلاق باب إذا عرض بنفي الولد ٣٥/٧ح٥٣٠٥ ومسلم في كتاب اللعان ١١٣٧/٢ح١٥٠٠ .

شكى إلى النبي ﷺ أن امرأته ولدت ولدا أسود دون سائر أبنائه ، فأقنعه النبي صلى الله عليه وسلم بأسلوب بليغ عن طريق الحوار بسؤاله هل له إبل ؟ فقال الرجل : نعم وسأله عن لونها ،وهل فيها من هو مخالف للونها ؟ فأجاب الرجل : نعم فسأله عن علة ذلك فأخبره بأنه ربما يكون أحد أجداده كان لونه كذلك ،فأجابه النبي ﷺ بأن ابنه هذا اختلف لونه عن سائر ولده لوجود أحد أجداده بهذا اللون ، ولقد أقنع رسول الله ﷺ الرجل مستخدما المثل من بيئته ، و بما يملكه ويعاينه ولا شك أن هذا أقوى في الإقناع من أن يذكر له العلة ابتداء .

وقد استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب الحواري مع المرأة التي جاءته تسأله عن حجها عن أمها لنذر نذرته كما في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ جَاءَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ :إِنَّ أُمِّي نَذَرَتْ أَنْ تَحُجَّ فَلَمْ تَحُجَّ حَتَّى مَاتَتْ أَفَأَحُجُّ عَنْهَا ؟ قَالَ :نَعَمْ حُجِّي عَنْهَا أَرَأَيْتِ لَوْ كَانَ عَلَى أُمِّكِ دَيْنٌ أَكُنْتِ قَاضِيَةً اقْضُوا اللَّهَ فَاللَّهُ أَحَقُّ بِالْوَفَاءِ [1] فالنبي ﷺ أراد أن يخبر المرأة بوجوب وفاء النذر كما يجب قضاء الدين عنها ، فالنذر دين عليها لله تعالى وهو أولى بالقضاء ، فهذا أسلوب غاية في الإقناع والوضوح في نفس الوقت.

ولقد استخدم السلف الصالح طريقة الحوار في توصيل المعلومة إلى التلاميذ فعن مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب أنه قال : ما صلاة يجلس في كل ركعة منها ؟ فقال سعيد : هي المغرب إذا فاتتك منها ركعة ، قال: وكذلك سنة الصلاة كلها [2] ،ولا شك أن الأسلوب الحواري بين المعلم والتلميذ فيه تفاعل بينهما ، كما أنه فيه إنماء وإثراء للعلاقة بين المعلم وتلميذه ، ولقد سبقت السنة المطهرة كل النظم التربوية في استخدام هذا الأسلوب التربوي الهام ،لا شك أن المتعلم إذا شارك في إجابة السؤال بالتنصيص عليها ، أو استنباطها فإنه يكون أرسخ في ذهنه ،وأقوى عنده لأنه شارك في صنع هذه الإجابة ،وقد استخدم النبي ﷺ هذه الطريقة في حديث أبى ذر الغفاري

---

[1]- أخرجه البخاري في كتاب الحج ، باب الحج والنذور عن الميت والرجل يحج عن المرأة ٣/١٨ح١٨٥٢ .

[2]- رواه مالك في كتاب الصلاة ،باب العمل في جامع الصلاة ١/١٦٩ح٤٠٩ .

رضي الله عنه قال النبي ﷺ " يصبح على كل سلامى[1] من ابن آدم صدقة تسليمه على من لقي صدقة ، وأمره بالمعروف صدقة ، ونهيه عن المنكر صدقة ، وإماطة الأذى عن الطريق صدقة ، وبحبه أهله صدقة ، ويجزى من ذلك كله ركعتان من الضحى قالوا : يا رسول الله أحدنا يقضى شهوته وتكون له صدقة ؟ قال : أرأيت لو وضعها في غير حلها ألم يكن يأثم "[2] هم سألوه كيف يكون له أجر على شهوته التي قضاها مع أهله ،واستفاد منها فبين لهم النبي ﷺ بكونه يأثم إذا وضعها في الحرام ، يقابل ذلك أنه يؤجر إذا وضعها في الحلال وقد ترك رسول الله ﷺ تلك الإجابة للمستمع حتى يشاركه في الإجابة فيتفاعل معه فترسخ الإجابة عنده .

وحديث أبي هريرة : أن رسول صلى الله عليه و سلم قال : أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات هل يبقى من درنه شيء؟قالوا لا يبقى من درنه شيء قال : فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا " .[3] استخدم النبي ﷺ أسلوب ذكر الشئ المحسوس المرئي لدلالة على المعقول فكما أن الماء يذهب الوسخ خاصة إذا تكرر الغسل فكذلك الصلوات تذهب المعاصي خاصة وهي متكررة .

ونلاحظ أن في الحديث تفاعل بين الرسول ﷺ والسامعين عن طريق حوار دافئ .

وكذلك حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ جَاءَ رَجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مالي؟ قَالَ :« فَلاَ تُعْطِهِ مَالَكَ ». قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قاتلني؟ قَالَ :« قَاتِلْهُ ». قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قتلني؟ قَالَ :« فَأَنْتَ شَهِيدٌ ». قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ :« فَهُوَ فِي النَّارِ ». "[4]

---

[1]- سلامى : جمع سلاميه وهي الأنملة ومن أنامل الأصابع وقيل واحده وجمعه سواء ويجمع على سلاميات وهي التى بين كل مفصلين من أصابع الإنسان ، وقيل السلامى كل عظم مجوف من صغار العظام والمعنى كل عظم من عظام ابن آدم صدقة (ينظر النهاية في غريب الأثر ٢/٩٨٥) .

[2]- أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة باب صلاة الضحى ، قال الشيخ الألباني : حديث صحيح ١/٤٩٥ح١٢٨٧ .

[3]- أخرجه البخاري في كتاب مواقيت الصلاة ،باب الصلوات الخمس كفارة (١ / ١١٢ ح ٥٢٨) ، ومسلم في كتاب الصلاة ، باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات (١ / ٤٦٢ ح ٦٦٧).

[4]- أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ،باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق كان القاصد مهدر الدم في حقه ،وإن من قتل كان في النار ،وأن من قتل دون ماله فهو شهيد ١/١٢٤ح١٤٠

وقد شارك النبي ﷺ المستمعين في إجابة السؤال لبيان حرمة الزنا ، والسرقة ، وأنهما أشد حرمة في الزنا بزوجة الجار ، وسرقة الجار ، وذلك كما في حديث الْمِقْدَادَ بْنَ الْأَسْوَدِ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: " مَا تَقُولُونَ فِي الزِّنَا ؟ " قَالُوا: حَرَّمَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، فَهُوَ حَرَامٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: " لَأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بِعَشْرَةِ نِسْوَةٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةِ جَارِهِ "، قَالَ: فَقَالَ: " مَا تَقُولُونَ فِي السَّرِقَةِ ؟ " قَالُوا: حَرَّمَهَا اللهُ وَرَسُولُهُ فَهِيَ حَرَامٌ، قَالَ: " لَأَنْ يَسْرِقَ الرَّجُلُ مِنْ عَشْرَةِ أَبْيَاتٍ، أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ مِنْ جَارِهِ "[1]

المطلب السادس

التعليم عن طريق سرد القصص

إن عرض المعلومات في أسلوب قصصي أبلغ في توصيلها ورسوخها في ذهن السامع خاصة ،وأن النفوس تميل إلى سرد القصص ولذلك كثر في القرآن الكريم ذكر قصص السابقين ، ولقد اقتدى النبي ﷺ بالقرآن الكريم في ذكر بعض القصص التي تحوى العبر والعظات ، وهذه هي الغاية الأسمى لسرد القصص ، فليس سرد القصص للتسلية أو لاستهلاك الوقت ولكنا للتدبر والعظة من أخبار السابقين فنقتدي بهم في الخير ،ولا نقتدي بهم في الشر، ولقد جاء في السنة الكثير من القصص التي تحوي العبر والعظات مثل قصة الثلاثة الذين آووا إلى الغار فانسد عليهم باب الغار "ورد ذكرهم في حديث عَبْدَ اللَّه بْنَ عُمَرَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّه - ﷺ- :« بَيْنَمَا ثَلاَثَةُ رَهْطٍ يَتَمَشَّوْنَ أَخَذَهُمُ الْمَطَرُ فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ فَبَيْنَا هُمْ فِيهِ حَطَّتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ انْظُرُوا أَفْضَلَ أَعْمَالٍ عَمِلْتُمُوهَا لِلَّه تَعَالَى فَسَلُوهُ بِهَا لَعَلَّهُ يُفَرِّجُ بِهَا عَنْكُمْ فَقَالَ أَحَدُهُمُ اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ لِي وَالِدَانِ كَبِيرَانِ وَكَانَتْ لِي امْرَأَةٌ وَوَلَدٌ صِغَارٌ وَكُنْتُ أَرْعَى عَلَيْهِمْ فَإِذَا رُحْتُ عَلَيْهِمْ بَدَأْتُ بِأَبَوَيَّ فَسَقَيْتُهُمَا فَنَأَى بِي يَوْمًا الشَّجَرُ فَلَمْ آتِ حَتَّى نَامَ أَبَوَايَ فَطَيَّبْتُ الإِنَاءَ ثُمَّ حَلَبْتُ فِيهِ ثُمَّ قُمْتُ بِحِلاَبِي عِنْدَ رَأْسِ أَبَوَيَّ

---

[1]- أخرجه أحمد (٣٩ / ٢٧٧ ح ٢٣٨٥٤، وقال محققا الكتاب : إسناده جيد ، وقال الشيخ الألباني : حديث صحيح (ينظر السلسلة الصحيحة ١/١٣٦)

وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ [1] عِنْدَ رِجْلِي أَكْرَهُ أَنْ أَبْدَأَ بِهِمْ قَبْلَ أبوي وَأَكْرَهُ أَنْ أُوقِظَهُمَا مِنْ نَوْمِهِمَا فَلَمْ أَزَلْ كَذَلِكَ قَائِمًا حَتَّى أَضَاءَ الْفَجْرُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرِجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ فَفَرَجَ لَهُمْ فُرْجَةً رَأَوْا مِنْهَا السَّمَاءَ وَقَالَ الآخَرُ اللَّهُمَّ إِنَّهَا كَانَتْ لِي ابْنَةُ عَمٍّ فَأَحْبَبْتُهَا حَتَّى كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ فَسَأَلْتُهَا نَفْسَهَا فَقَالَتْ لاَ حَتَّى تَأْتِيَنِي بِمِائَةِ دِينَارٍ فَسَعَيْتُ حَتَّى جَمَعْتُ مِائَةَ دِينَارٍ فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَلَمَّا كُنْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ : اتَّقِ اللَّهَ لاَ تَفْتَحِ الْخَاتَمَ إِلاَّ بِحَقِّهِ فَقُمْتُ عَنْهَا اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ لَنَا مِنْهَا فُرْجَةً فَفَرَجَ لَهُمْ مِنْهَا فُرْجَةً وَقَالَ الثَّالِثُ :اللَّهُمَّ إِنِّي كُنْتُ اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقِ ذُرَةٍ [2] فَلَمَّا قَضَى عَمَلَهُ عَرَضْتُهُ عَلَيْهِ فَأَبَى أَنْ يَأْخُذَهُ فَرَغِبَ عَنْهُ فَلَمْ أَزَلْ اعتمل بِهِ حَتَّى جَمَعْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرِعَاءَهَا فجاءني فَقَالَ : اتَّقِ اللَّهَ وأعطني حقي وَلاَ تظلمني فَقُلْتُ لَهُ : اذْهَبْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرِعَائِهَا فَخُذْهَا فَقَالَ : اتَّقِ اللَّهَ وَلاَ تَهْزَأْ بِي فَقُلْتُ : إِنِّي لاَ أَهْزَأُ بِكَ اذْهَبْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ وَرِعَائِهَا فَخُذْهَا فَذَهَبَ فَاسْتَاقَهَا اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَأَفْرِجْ عَنَّا مَا بَقِيَ مِنْهَا فَفَرَجَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا يَتَمَاشَوْنَ » [3]

وقصة الثلاثة الأقرع ، والأعمى ، والأبرص " الذين ورد ذكرهم في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَدَّثَهُ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّ ثَلاَثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَقْرَعَ وَأَعْمَى بَدَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا فَأَتَى الأَبْرَصَ فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ لَوْنٌ حَسَنٌ وَجِلْدٌ حَسَنٌ قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ قَالَ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ فَأُعْطِيَ لَوْنًا حَسَنًا وَجِلْدًا حَسَنًا فَقَالَ أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الإِبِلُ أَوْ قَالَ الْبَقَرُ هُوَ شَكَّ فِي ذَلِكَ إِنَّ الأَبْرَصَ وَالأَقْرَعَ قَالَ أَحَدُهُمَا الإِبِلُ وَقَالَ الآخَرُ الْبَقَرُ فَأُعْطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ

---

[1]- وَصِبْيَتِي يَتَضَاغَوْنَ حَوْلِي أي يُصَوِّتُون بَاكِين (ينظر غريب الحديث لابن الجوزي - (٢ / ١٣) .

[2]- الفرق : بكسر الراء ويسكن قال الطيبي : الفرق بفتح الراء مكيال يسع ستة عشر رطلا وفي القاموس الفرق مكيال بالمدينة يسع ثلاثة آصع ويحرك أو هو أفصح أو يسع ستة عشر رطلا أو أربعة أرباع وفي النهاية الفرق بالتحريك مكيال يسع ستة عشر رطلا وبالسكون مائة وعشرون رطلا في رواية بفرق أرز وفي رواية بفرق ذرة فيجمع بأن الفرق كان من صنفين (ينظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - (١٤ / ٢٢١) .

[3]- أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ،باب حديث الغار ١٧٢/٤ح ٣٤٦٥ ،ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة ،باب قصة أصحاب الغار الثلاثة (٢٠٩٩/٤ح٢٧٤٣) .

فَقَالَ يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا وَأَتَى الْأَقْرَعَ فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ شَعَرٌ حَسَنٌ وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ قَالَ فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ وَأُعْطِيَ شَعَرًا حَسَنًا قَالَ فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ الْبَقَرُ قَالَ-فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا وَقَالَ يُبَارَكُ لَكَ فِيهَا وَأَتَى الْأَعْمَى فَقَالَ أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ قَالَ يَرُدُّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ قال فمسحه فرد الله إليه بصره قال فأي المال أحب إليك قال الغنم فأعطى شاة والدا فأنتج هذان وولد هذا قال فكان لهذا واد من الإبل ولهذا واد من البقر ولهذا واد من الغنم قال ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال رَجُلٌ مِسْكِينٌ تَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ عَلَيْهِ فِي سَفَرِي فَقَالَ إِنَّ الْحُقُوقَ كَثِيرَةٌ فَقَالَ لَهُ كَأَنِّي أَعْرِفُكَ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ فَقِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ فَقَالَ لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ فَقَالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ وَأَتَى الْأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذَا فَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا فَقَالَ إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتَ وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ فَقَالَ رَجُلٌ مِسْكِينٌ وَابْنُ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بِيَ الْحِبَالُ فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بِكَ أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي فَقَالَ قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَرَدَّ اللَّهُ بَصَرِي وَفَقِيرًا فَقَدْ أَغْنَانِي فَخُذْ مَا شِئْتَ فَوَاللَّهِ لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتَهُ لِلَّهِ فَقَالَ أَمْسِكْ مَالَكَ فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ [1] .

وقصة أصحاب الأخدود الذين ورد ذكرهم في حديث عن صُهَيب: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر الساحر قال للملك: إني قد كبرت سِنِّي وحضر أجلي، فادفع إلي غلاما لأعلمه السحر. فدفع إليه غلاما فكان يعلمه السحر، وكان بين الساحر وبين الملك راهب، فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه، فأعجبه نحوه وكلامه، وكان إذا أتى الساحر ضربه وقال: ما حبسك؟ وإذا أتى أهله ضربوه وقالوا: ما حبسك؟ فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا أراد الساحر أن يضربك فقل: حبسني أهلي. وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل: حبسني الساحر.قال: فبينما هو ذات يوم إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة، قد حبست الناس فلا يستطيعون أن

---

[1]- أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ،باب حديث الأبرص والأعمى والأقرع في بني إسرائيل (٤/١٧١ح٣٤٦٤) ،ومسلم في كتاب الزهد والرقائق ٤/٢٢٧٥ح٢٩٦٤

يجوزوا، فقال: اليوم أعلم أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر. قال: فأخذ حجرًا فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحبّ إليك وأرضى من أمر الساحر، فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس. ورماها فقتلها، ومضى الناس. فأخبر الراهب بذلك فقال: أيْ بُنَيّ، أنت أفضل مني، وإنك ستُبتلى، فإن ابتليت فلا تدل علي. فكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم، وكان جليس للملك فعمي، فسمع به، فأتاه بهدايا كثيرة فقال: اشفني ولك ما هاهنا أجمعُ. فقال: ما أنا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله، عز وجل، فإن آمنت به دعوت الله فشفاك. فآمن فدعا الله فشفاه. ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس، فقال له الملك: يا فلان، من رَدّ عليك بصرك؟ فقال: ربي؟ فقال: أنا؟ قال: لا ربي وربك الله. قال: ولك ربّ غيري؟ قال: نعم، ربي وربك الله. فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فبعث إليه فقال: أيْ بُنَيّ، بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمه والأبرص وهذه الأدواء؟ قال: ما أشفي أنا أحدًا، إنما يشفي الله، عز وجل. قال: أنا؟ قال: لا. قال: أولك ربّ غيري؟ قال: ربي وربك الله. فأخذه أيضا بالعذاب، فلم يزل به حتى دل على الراهب، فأتى بالراهب فقال: ارجع عن دينك، فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه، وقال للأعمى: ارجع عن دينك، فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه إلى الأرض. وقال للغلام: ارجع عن دينك، فأبى، فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا، وقال: إذا بلغتم ذروته، فإن رجع عن دينه وإلا فدَهدهوه [1] [من فوقه] فذهبوا به، فلما علوا به الجبل قال: اللهم، أكفينهم بما شئت. فرجف بهم الجبل فدهدهوا أجمعون. وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله. فبعث به مع نفر في قُرقُور [2] فقال: إذا لججتم به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فغرّقوه في البحر. فلججوا به البحر فقال الغلام. اللهم، اكفينهم بما شئت ،فغرقوا أجمعون، وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله. ثم قال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، فإن أنت فعلت ما آمرك به قتلتني، وإلا فإنك لا تستطيع قتلي. قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد ثم تصلبني على جذع، وتأخذ سهمًا من كنانتي ثم قل: "بسم الله رب الغلام"،

---

[1]- فدَهدهوه : فأسقطوه من فوقه .

[2]- قُرقُور : هو السفينة العظيمة وجَمْعُها : قَراقير (ينظر النهاية في غريب الأثر - (٤ / ٧٤) .

فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني. ففعل، ووضع السهم في كبد قوسه ثم رماه، وقال: "باسم الله رب الغلام". فوقع السهم في صدغه، فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات، فقال الناس: آمنا برب الغلام . فقيل للملك: أرأيت ما كنت تحذر؟ فقد -والله-نزل بك، قد آمن الناس كلهم. فأمر بأفواه السكك فخدت فيها الأخاديد، وأضرمت فيها النيران، وقال: من رجع عن دينه فدعوه وإلا فأقحموه فيها. قال: فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون، فجاءت امرأة بابن لها ترضعه، فكأنها تقاعست أن تقع في النار، فقال الصبي: اصبري يا أماه، فإنك على الحق".[1] وغيرها من القصص التي حكها النبي ﷺ في أسلوب قصصي رائع شيق يقتنص السامع منه العبرة والعظة ويسهل عليه استيعاب المعلومات التي اشتملت عليها القصة .

ومنها حديث خباب رضي الله عنه أنه جاء إلى رسول الله ﷺ يشكو قريشاً وكان ذلك في أول الدعوة بمكة، عن خَبَّاب بن الأرَتّ قال: قلنا: يا رسول الله، ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ فقال: "إنّ من كان قبلكم كان أحدهم يوضع المنشار على مفرَق رأسه فيخلص إلى قدميه، لا يَصرْفه ذلك عن دينه، ويُمْشَطُ بأمشاط الحديد ما بين لحمه وعظمه، لا يصرفه ذلك عن دينه". ثم قال: "والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم قوم تستعجلون". "[2]

يريد النبي ﷺ أن يخبرهم بأن الأمم المؤمنة السابقة قد عانت من العنت والعذاب أكثر منهم بأسلوب قصصي جميل مؤثر يهون عليهم ما يلاقونه من كفار قريش.

يستخدم النبي ﷺ الأسلوب القصصي لتوصيل بعض المعلومات إلى المستمعين بأسلوب مشوق خاصة إذا كان أبطال تلك القصص من غير المعتاد منهم الكلام أو كانت القصة لتشتمل على أشياء غريبة ومن ذلك ما جاء عن رسول الله ﷺ من حديث أبى هريرة رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله ﷺ الصبح ، ثم أقبل على الناس بوجهه فقال :

---

[1]- أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق ، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام (٤/٢٢٩٩) .

[2]- أخرجه البخاري في كتاب الإكراه ، باب عَلَامَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الْإِسْلَامِ (٤/ ٢٠١ ح ٣٦١٢)

بيننا رجل يسوق بقرة إذا أعيا فركبها فضربها فقالت : إنا لم نخلق لهذا ، إنما خلقنا لحراثة الأرض فقال الناس : سبحان الله بقرة تكلم فقال رسول الله ﷺ " فإني أومن به أنا وأبو بكر وعمر وما هما ثم[1] ، وقال : بينما رجل في غنم له إذا عدا الذئب على شاة منها فأدركها صاحبها فأستنقذها فقال الذئب : فمن لها يوم السبع[2] يوم لا راعى لها غيري فقال الناس : سبحان الله ذئب يتكلم فقال : أومن به أنا وأبو بكر وعمر وما هنا ثم[3].

فبطلا هذه القصة البقرة والذئب وكلاهما لا يتكلم فلما أخبر النبي ﷺ أنهما تكلما استغرب الناس وقالوا : سبحان الله ، ولا شك أن هذا الأسلوب القصصي مشوق وأكثر استثارة لعقل السامع وأرسخ في ذهنه ، هذا وقد استخدم النبي ﷺ مؤثرات خارجية تساعد رسوخها في ذهن السامع فالوقت وقت صلاة الصبح وهو وقت صفاء للذهن ، كما أنه توجه إليهم بوجهه بعد الصلاة مباشرة فهو أبلغ في توجهم إليه أن قدرة الله لا يعجزها شئ ، وأن الله تعالى خلق كل مخلوق له مهمة خاصة به فإذا استخدم لغيرها يكون حاد عن فطرتها التي فطرها الله عليها فيحدث الخلل .

كما أنه أخبر عن كمال إيمان أبى بكر ،وعمر رضي الله عنهما فقد أخبر بظاهر غيبها بأنهما لا يستبعدان هذا ويؤمنان به دون طلب دليل ، كما أن تكلم الذئب بأنه المتفرد برعاية الغنم يوم الفتن والشدائد مما يدل على وقوعها ، وقيل يوم السبع عيد في الجاهلية يجتمعون فيه على اللهو ويهملون مواشيهم فيأكلها السبع ، وقيل يوم السبع الموضع الذي يكون عنده المحشر يريد بيومه يوم القيامة ، وهو قول ضعيف لا يناسب ما بعده من قوله : يوم لا راعى لها غيري[4] .

---

[1]- قوله : وما هما ثم أي ليس أبو بكر وعمر رضي الله عنهما حاضرين هناك

[2]- يوم السبع : بسكون الباء يعنى يوم القيامة السبع الموضع الذي عنده المحشر والسبع الذعر يقال : أسبعت الأسد إذا ذعرته وهو على هذا التفسير يوم الفزع (ينظر الفائق في غريب الحديث والأثر ١٤٩/٢ ، النهاية في غريب الأثر ٨٤٢/٢

[3]- ينظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ٣٧٩/١٧

[4]- ينظر تحفة الأحوذي ١٢٧/١٠.

ومن ذلك حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: جَاءَ ذِئْبٌ إِلَى رَاعِي غَنَمٍ فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً، فَطَلَبَهُ الرَّاعِي حَتَّى انْتَزَعَهَا مِنْهُ، قَالَ: فَصَعِدَ الذِّئْبُ عَلَى تَلٍّ، فَأَقْعَى وَاسْتَذْفَرَ ، فَقَالَ: عَمَدْتَ إِلَى رِزْقٍ رَزَقَنِيهِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ انْتَزَعْتَهُ مِنِّي . فَقَالَ الرَّجُلُ: تَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ ذِئْبًا يَتَكَلَّمُ قَالَ الذِّئْبُ: أَعْجَبُ مِنْ هَذَا رَجُلٌ فِي النَّخْلَاتِ بَيْنَ الْحَرَّتَيْنِ[1]، يُخْبِرُكُمْ بِمَا مَضَى وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكُمْ . وَكَانَ الرَّجُلُ يَهُودِيًّا، فَجَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْلَمَ وَخَبَّرَهُ، وَصَدَّقَهُ النَّبِيُّ ﷺ ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : " إِنَّهَا أَمَارَةٌ مِنْ أَمَارَاتِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، قَدْ أَوْشَكَ الرَّجُلُ أَنْ يَخْرُجَ فَلَا يَرْجِع حَتَّى تُحَدِّثَهُ نَعْلَاهُ وَسَوْطُهُ مَا أَحْدَثَ أَهْلُهُ بَعْدَهُ "[2].

لقد اشتمل هذا الحديث على أسلوب قصصي مشوق جميل تتوق إليه النفوس خاصة إذا كان أبطال تلك القصة ممن لم يعهد عليهم الكلام ، أضف إلى ذلك أن الحديث وصف حتى هيئة الذئب عندما كان يتكلم وهذا يدل على دقة السنة المطهرة ودقة ناقليها ، كما أنه اشتمل على دليل على نبوة النبي ﷺ من غير الإنسان وهذا أبلغ في التدليل على ذلك .

و النبي ﷺ إذ يستخدم الأسلوب القصصي يقصد بهذا توصيل المعلومات الكثيرة بالكلمات القليلة ، وخاطب الناس بما يميلون إليه ، وكل ما سبق يدل على كمال فصاحة النبي ﷺ وبلاغته .

---

[1]- الحرتين : قال الأصمعي : هي الأرض التي قد ألبستها حجارة سود وجمعها لابات ما بين الثلاث إلى العشر فإذا كثرت فهي اللاب أو اللوب (ينظر لسان العرب ١/٧٤٥) .

[2]- أخرجه أحمد – ١٣/٤٢٥ح٨٠٦٢ وقالا محققا الكتاب : إسناده ضعيف لضعف شهر بن حوشب .

المطلب السابع

التعقيب على إجابة المتعلم

لقد كان النبي ﷺ يعقب على إجابة الصحابة بالتصويب أو التخطئة ،أو بيان أن بعضها صواب وبعضها خطأ ، ويقدم النبي ﷺ ذكر الصواب قبل الخطأ تشجيعاً للمتعلم ثم بعد ذلك بين له الخطأ ، وفي كل ذلك يستخدم النبي ﷺ أسلوب راق رائق رقراق لا يجرح المتعلم ، وهكذا ينبغي على الأستاذ أن يقوم تلاميذه بأسلوب هين لين حتى لا يصاب الطالب بالإحباط فلا يقدم على المحاولة خوفاً من الوقوع في الخطأ أو تخطئه أستاذه ، وينبغي على المعلم أن تكون عينه على تلاميذه يلاحظهم ويتابعهم ويعطيهم الثقة في أنفسهم بأن يسمح لهم بالتعبير عن آرائهم وبيان بعض الأشياء ثم يقوم المعلم بالتعقيب على التلميذ بالتصويب أو التخطئة ،أما إذا كانت إجابة المتعلم تشتمل على الصواب والخطأ بدأ بذكر الصواب أولاً قبل الخطأ جبراً لخاطر التلميذ ،وإعطاء الثقة له في النفس ، أما إذا بدأ بالخطأ قبل الصواب أصيب التلميذ بالإحباط فلا يقدم مستقبلا على التجربة خوفاً من الوقوع من الخطأ ،أو خوفاً من التخطئة من المعلم ولقد ضرب النبي ﷺ المثل الأعلى في رعاية الصحابة والتعقيب على إجابتهم بأسلوب راق رقراق ، ومن هذا حديث عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَانَ يُحَدِّثُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ :إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ فِي الْمَنَامِ ظُلَّةً تَنْطُفُ السَّمْنَ [1] وَالْعَسَلَ فَأَرَى النَّاسَ يَتَكَفَّفُونَ مِنْهَا فَالْمُسْتَكْثِرُ وَالْمُسْتَقِلُّ وَإِذَا سَبَبٌ [2] وَاصِلٌ مِنْ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ فَأَرَاكَ أَخَذْتَ بِهِ فَعَلَوْتَ ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلَا بِهِ ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلَا بِهِ ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَانْقَطَعَ ثُمَّ وُصِلَ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَاللَّهِ لَتَدَعَنِّي فَأَعْبُرَهَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أعبرها قَالَ أَمَّا الظُّلَّةُ فَالْإِسْلَامُ وَأَمَّا الَّذِي يَنْطُفُ مِنْ الْعَسَلِ وَالسَّمْنِ فَالْقُرْآنُ حَلَاوَتُهُ تَنْطُفُ فَالْمُسْتَكْثِرُ مِنْ الْقُرْآنِ وَالْمُسْتَقِلُّ ،وَأَمَّا السَّبَبُ الْوَاصِلُ مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ فَالْحَقُّ الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ تَأْخُذُ بِهِ فَيُعْلِيكَ اللَّهُ ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَعْدِكَ فَيَعْلُو بِهِ ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَيَعْلُو بِهِ ثُمَّ يَأْخُذُهُ رَجُلٌ آخَرُ

---

[1]- ينطف منها السمن والعسل : أي يقطر منها السمن والعسل ، والنطف : القطر ويقال للماء الكثير : نطفة ، وللقليل نطفة ، وينطف الشئ إذا قطر قليلاً قليلاً (ينظر النهاية ٥/١٦٥) .

[2]- السبب : الحبل وسمى الحبل سبيلاً لأنه يوصله إلى الماء (ينظر النهاية ٢/٨٣٠) .

فَيَنْقَطِعُ بِهِ ثُمَّ يُوَصَّلُ لَهُ فَيَعْلُو بِهِ فَأَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ أَصَبْتُ أَمْ أَخْطَأْتُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَبْتَ بَعْضًا ،وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا قَالَ : فَوَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ لَتُحَدِّثَنِّي بِالَّذِي أَخْطَأْتُ قَالَ لَا تُقْسِمْ "[1] فالنبي ﷺ بين لأبى بكر رضي الله عنه ما أصاب فيه قبل ما أخطأ فيه وذلك من قبيل براعة الاستهلال ومن قبيل جبر خاطر أبى بكر رضي الله عنه ، كما أن في الحديث فائدة وهي أنه لا يعنى وقوع المتعلم في الخطأ في بعض الإجابة أن لا نذكر له ما أصاب فيه ونهبه له.

واختلف العلماء في بيان ذلك فقال ابن قتيبة وآخرون معناه : أصبت في بيان تفسيرها وصادفت حقيقة تأويلها ، وأخطأت في مبادرتك بتفسيرها من غير أن آمرك به ، وقال آخرون : هذا الذي قاله ابن قتيبة وموافقوه فاسد لأنه ﷺ قد أذن له في ذلك وقال أعبرها وإنما أخطأ في تركه تفسير بعضها فإن الرائي قال : رأيت ظلة تنطف السمن والعسل ، ففسر الصديق العسل بأنه القرآن لحلاوته ولينه وهذا إنما هو تفسير العسل وترك تفسير السمن وتفسيره السنة فكان حقه أن يقول القرآن والسنة وإلى هذا أشار الطحاوى .

وقال آخرون : الخطأ وقع في خلع عثمان لأنه ذكر في المنام أنه أخذ بالسبب فانقطع به ، وذلك يدل على انخلاعه بنفسه ، وفسره الصديق بأنه يأخذ به رجل فينقطع به ثم يوصل له فيعلو به ، وعثمان قد خلع قهراً وقتل وولى غيره فالصواب في تفسيره أن يحمل وصله على ولاية غيره من قومه .

وقال آخرون : لم يعبر النبي ﷺ بقسم أبى بكر بأن يخبره بما أخطأ فيه ، فيه دليل على أنه يجوز عدم الأبرار بالقسم إذا كان في ذلك مفسدة ، ولعل المفسدة ما علمه من سبب انقطاع السبب مع عثمان وهو قتله ، وتلك الحروب والفتن المترتبة عليه فكره ذكرها مخافة من شيوعها ، أو أن المفسدة لو أنكر عليه مبادرته ووبخه بين الناس أو

---

[1]- أخرجه البخاري في كتاب التعبير ، باب من لم ير الرؤيا لأول عابر إذا لم يصب ٩/٤٣ح٧٠٤ ،وسلم في كتاب الرؤيا ، باب في تأويل الرؤيا ٤/١٧٧٧ ح٢٦٩ .

أنه أخطأ في ترك تعيين الرجال الذين يأخذون بالسبب بعد النبي ﷺ وكان في بيانه ﷺ أعيانهم مفسدة[1] والله أعلم

وفي المثال السابق لم يذكر النبي ﷺ الخطأ ولم يوضحه لما يترتب على ذكره من مفاسد كان الأولى ترك تعبيره[2]

والنبي ﷺ إذ يعقب على إجابة المتعلم يثني على المصيب بألفاظ تسره وتشجعه على طلب العلم والحرص عليه ، ومن ذلك حديث أُبَيّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ : قَرَأْتُ آيَةً ،وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ قِرَاءَةً خِلاَفَهَا ، فَأَتَيْنَا النبي صلى الله عليه وسلم- فَقُلْتُ : أَلَمْ تقرئني آيَةَ كَذَا وكَذَا؟ قَالَ :« بَلَى ». قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : أَلَمْ تُقْرِئْنِيهَا كَذَا وكَذَا؟ قَالَ :« بَلَى - قَالَ - كِلاَكُمَا مُحْسِنٌ مُجْمِلٌ ». قُلْتُ : مَا كِلاَنَا أَحْسَنَ وَلاَ أَجْمَلَ. قَالَ : فَضَرَبَ صدري وَقَالَ :« يَا أُبَىُّ أُقْرِئْتُ الْقُرْآنَ فَقِيلَ لي أَعَلَى حَرْفٍ أَمْ عَلَى حَرْفَيْنِ؟ فَقَالَ الْمَلَكُ الذي معي : عَلَى حَرْفَيْنِ. فَقُلْتُ : عَلَى حَرْفَيْنِ. فَقِيلَ لي : عَلَى حَرْفَيْنِ أَمْ ثَلاَثَةٍ؟ فَقَالَ الْمَلَكُ الذي معي : عَلَى ثَلاَثَةٍ. فَقُلْتُ : ثَلاَثَةٍ حَتَّى بَلَغَ سَبْعَةَ أَحْرُفٍ. قَالَ : لَيْسَ فِيهَا إِلاَّ شَافٍ كَافٍ. قُلْتُ غَفُورٌ رَحِيمٌ عَلِيمٌ حَلِيمٌ سَمِيعٌ عَلِيمٌ عَزِيزٌ حَكِيمٌ نَحْوَ هَذَا ، مَا لَمْ تَخْتِمْ آيَةَ عَذَابٍ بِرَحْمَةٍ أَوْ رَحْمَةٍ بِعَذَابٍ »"[3] .

فالنبي ﷺ عقب على قراءة الصحابيين بأن كلاهما أحسن القراءة ،وأصاب ،وهذا يدل على جواز ذكر لفظ يدل على الإصابة ،وإن لم يكن بنفس اللفظ كان يقول أحسنت ، أصبت ، ممتاز ، جيد ، غير ذلك المهم أن يدل اللفظ على المقصود وهو ما يدل على أن الإجابة صواب .

وكذلك يكون التشجيع على الأساتذة من العلم بالدعاء ،والمدح للمتعلم فلا شك أن الكلمة الطيبة لها وقع السحر في نفوس المتعلمين فانظر إلى فعل النبي ﷺ مع أبى بن كعب رضي الله عنه تجده كنى أبيا بن كعب بأبي المنذر ومدحه وذلك فيما رواه أبي بن كعب

---

[1]- ينظر شرح النووي على مسلم ٢٩/١٥ ، تحفة الأحوذي ٤٧٣/٤.

[2]- ينظر المعلم الأول صـــ١٧٦ .

[3]- هذا اللفظ أخرجه للبيهقي في السنن الكبرى في كتاب الصلاة ، باب وُجُوبِ الْقِرَاءَةِ عَلَى مَا نَزَلَ مِنَ الأَحْرُفِ السَّبْعَةِ دُونَ غَيْرِهِنَّ مِنَ اللُّغَاتِ. (٢ / ٣٨٤ ح ٤١٥٩) ، وبألفاظ أخرى أخرجه البخاري في كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ ، بَاب أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ (٦ / ١٨٤ ح ٤٩٩٢) ، وأخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيانه معناه ٥٦١/١ح٨٢٠

أن النبي ﷺ سأله: "أي آية في كتاب الله أعظم"؟ قال: الله ورسوله أعلم. فرددها مرارًا ثم قال أبي: آية الكرسي. قال: "ليهنك العلم أبا المنذر، والذي نفسي بيده إن لها لسانًا وشفتين تقدس الملك عند ساق العرش" "[1] .قال النووي : فيه منقبة عظيمة لأبي ، ودليل على كثرة علمه، وفيه بتبجيل العالم فضلاء أصحابه وتكنيتهم وجواز مدح الإنسان في وجهه إذا كان فيه مصلحة ولم يخف عليه إعجاب لكمال نفسه ورسوخه في التقوى[2] ،ولا مانع أن يثني المعلم على تلميذه إذا أصاب بقوله له أحسنت مكافأة له ودفعاً لزملائه أن يقتدوا به فعن أبي مُوسَى الأشعري رضي اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَهُوَ مُنِيخٌ بِالْبَطْحَاءِ فَقَالَ لِي :« بِمَا أَهْلَلْتَ ». قَالَ قُلْتُ : لَبَّيْكَ بِإِهْلاَلٍ كَإِهْلاَلِ النبي -صلى الله عليه وسلم- قَالَ :« أَحْسَنْتَ ». فأمرني فَطُفْتُ بِالْبَيْتِ وَبِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ "[3] وتشجيع المتعلم على الاستزادة من العلم قد يكون بالمكافآت المادية أو المعنوية كالدعاء له ،وقد كان النبي ﷺ كما يكافئ بالدعاء والثناء يكافئ بالمال فعن عبد الله بن الحارث قال : كان رسول الله ﷺ يصف عبد الله ،وعبيد الله ،وكثيراً من بني العباس ثم يقول : من سبق إلى قله كذا وكذا قال : فيستبقون إليه فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلزمهم[4] .

---

[1]- أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي ٥٥٦/١ح٨١٠ .

[2]- ينظر مسلم بشرح النووي ٩٣/٦ ، والمعلم الأول صـــ٨٤ .

[3]- أخرجه البخاري في كتاب الحج ، باب الذبح قبل الحلق ١٧٣/٢ح١٧٢٤ ، ومسلم في كتاب الحج ، باب في نسخ التحليل من الإحرام والأمر بالدعاء ٨٩٤/٢ح١٢٢١ .

[4]- أخرجه أحمد ٣٣٥/٣ح١٨٣٦ وقال محققا الكتاب : إسناده ضعيف، يزيد بن أبي زياد- وهو الهاشمي مولاهم الكوفي- ضعيف، وعبد الله بن الحارث بن نوفل تابعي ولد في حياة النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وروايته عنه مرسلة، وأورده الحافظ ابن حجر في "تهذيب التهذيب" ٤٢١/٨، ونسبه للبغوي عن داود بن عمر، عن جرير، ثم قال: وهو مرسل جيد الإسناد! وقد رواه أحمد بن حنبل في"مسنده" عن جرير مثله.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد وفيه يزيد بن أبي زياد وفيه ضعف لين وقال أبو داود : لا أعلم أحدا ترك حديثه وغيره أحب إلي منه وروى له مسلم مقرونا والبخاري تعليقا وبقية رجاله ثقات (ينظر مجمع الزوائد - (٥ / ٤٧٩)

ويكافئ بالدعاء للمصيب ،ولا شك أن هذا أعظم مكافأة عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ الْخَلَاءَ فَوَضَعْتُ لَهُ وَضُوءًا قَالَ : منْ وَضَعَ هذا فَأُخبر فقال : اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ "[1].

قال الحافظ ابن حجر رحمة الله : قال التيمى : فيه استحباب المكافأة بالدعاء قال ابن المنير : مناسبة الدعاء لابن عباس رضي الله عنهما بالتفقه على وضعه الماء من جهة أنه تردد بين ثلاثة أمور : -

إما أن يدخل إليه بالماء إلى الخلاء ،أو يضعه على الباب ليتناوله من قرب ، أو لا يفعل شيئاً ، فرأى الثاني أوفق لأن في الأول تعرضاً للاطلاع ، والثالث يستدعى مشقة في طلب الماء ، والثاني أسهلها ، فعله يدل على ذكائه فناسب أن يدعو له بالتفقه في الدين ليحصل به النفع [2]

---

[1]- أخرجه البخاري في: كتاب الوضوء: باب وضع الماء عند الخلاء (١ / ٤١ ح ١٤٣) ، ومسلم في كتاب الفضائل ، باب فضائل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (٤ / ١٩٢٧ ح ٢٤٧٧) .

[2]- ينظر فتح الباري ١/٢٤٤، ٢٤٥ .

المطلب الثامن

من الأساليب التعليمية أن يقول المعلم ،والطالب فيما لا يعلم الله أعلم ، أو لا أدرى

لما كان العلم بحر واسع الشطآن لا يحيط به أحد فقد قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ "[1] وقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[2] " وقد طلب النبي ﷺ الاستزادة من العلم في قوله تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾[3] " ولما كان الأمر كذلك فإذا سئل العالم عن شئ وهو لا يعلمه فليقل لا أدرى ،أو الله أعلم .فقد قال ذلك رسول الله ﷺ ،وذلك في الحديث الذي رواه ابْنِ عُمَرَ قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النبي – ﷺ– فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أي الْبِقَاعِ خَيْرٌ؟ قَالَ :« لاَ أدْرِى ». فَقَالَ : أي الْبِقَاعِ شَرٌّ؟ قَالَ :« لاَ أدْرِى ». قَالَ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فَقَالَ لَهُ النبي – ﷺ– :« يَا جِبْرِيلُ أي الْبِقَاعِ خَيْرٌ؟ ». قَالَ : لاَ أدْرِى قَالَ :« أي الْبِقَاعِ شَرٌّ؟ ». قَالَ : لاَ أدْرِى قَالَ :« سَلْ رَبَّكَ ». قَالَ : فَانْتَقَضَ جِبْرِيلُ انْتِفَاضَةً كَادَ يُصْعَقُ مِنْهَا مُحَمَّدٌ ﷺ . فَقَالَ : مَا أَسْأَلُهُ عَنْ شَىْءٍ، فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ : سَأَلَكَ مُحَمَّدٌ أي الْبِقَاعِ خَيْرٌ؟ فَقُلْتَ لاَ أدْرِى ، وَسَأَلَكَ أي الْبِقَاعِ شَرٌّ؟ فَقُلْتَ : لاَ أدْرِى. فَأَخْبِرْهُ أَنَّ خَيْرَ الْبِقَاعِ الْمَسَاجِدُ ، وَأَنَّ شَرَّ الْبِقَاعِ الأَسْوَاقُ .[4] .كان النبي ﷺ يسأل مما لم ينزل عليه الوحي فيقول :لا أدري أو لم يجب حتى ينزل عليه الوحي لقوله تعالى: "﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ

---

[1]- سورة يوسف جزء من آية رقم ٧٦ .

[2]- سورة الإسراء آية رقم ٨٥ .

[3]- سورة طه آية رقم ١١٤ .

[4]- أخرجه أحمد ٣٠٨/٢٧ح ١٦٧٤٤ وقال محقق الكتاب : إسناده ضعيف لضعف عبد الله بن محمد بن عقيل.

اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾[1] ،وكذلك الصحابة فقد كانوا لا يتكلمون إلا فيما يعلمون أما ما يعلمونه فيقولون فيه الله أعلم .عنْ مسْرُوقٍ قَالَ بَيْنَمَا رَجُلٌ يُحَدِّثُ فِي كِنْدَةَ فَقَالَ يَجِيءُ دُخَانٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَأْخُذُ بِأَسْمَاعِ الْمُنَافِقِينَ ،وَأَبْصَارِهِمْ يَأْخُذُ الْمُؤْمِنَ كَهَيْئَةِ الزُّكَامِ فَفَزِعْنَا فَأَتَيْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ وَكَانَ مُتَّكِئًا فَغَضِبَ فَجَلَسَ فَقَالَ مَنْ عَلِمَ فَلْيَقُلْ وَمَنْ لَمْ يَعْلَمْ فَلْيَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ فَإِنَّ مِنْ الْعِلْمِ أَنْ يَقُولَ لِمَا لَا يَعْلَمُ لَا أَعْلَمُ فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾[2] وَإِنَّ قُرَيْشًا أَبْطَئُوا عَنْ الْإِسْلَامِ فَدَعَا عَلَيْهِمْ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ : اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَيْهِمْ بِسَبْعٍ كَسَبْعِ يُوسُفَ فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ حَتَّى هَلَكُوا فِيهَا وَأَكَلُوا الْمَيْتَةَ وَالْعِظَامَ وَيَرَى الرَّجُلُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كَهَيْئَةِ الدُّخَانِ فَجَاءَهُ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ جِئْتَ تَأْمُرُنَا بِصِلَةِ الرَّحِمِ وَإِنَّ قَوْمَكَ قَدْ هَلَكُوا فَادْعُ اللَّهَ فَقَرَأَ ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾[3] أَفَيُكْشَفُ عَنْهُمْ عَذَابُ الْآخِرَةِ إِذَا جَاءَ ثُمَّ عَادُوا إِلَى كُفْرِهِمْ فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى "﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۚ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾[4] يَوْمَ بَدْرٍ وَ { لِزَامًا } يَوْمَ بَدْرٍ ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴾[5] وَالرُّومُ قَدْ مَضَى }[6] ويقول على رضي الله عنه " ما أبردها على الكبد ؟ فقيل له : وما ذلك ؟ قال : أن تقول للشئ لا تعلمه الله أعلم[7] .

---

[1]- سورة النساء آية رقم ١٠٥ .

[2]- سورة ص آية رقم ٨٦ .

[3]- سورة الدخان : آية رقم١٠ – ١٥ .

[4]- سورة الدخان آية رقم ١٦ .

[5]- سورة الروم آية رقم ١– ٣ .

[6]- أخرجه البخاري في كتاب التفسير سُورَةُ الرُّومِ بَاب { فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ (٦ / ١١٤ ح ٤٧٧٤) ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب الدخان (٤ / ٢١٥٥ ح ٢٧٩٨) .

[7]- ذكره ابن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم وفضله ١١٦/٢ .

وكان يصعب عليهم ويشتد أن يتكلموا فيما لا يعلمون بقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه : أي سماء تظلني ؟ وأي أرض تقلني ؟ إذا قلت في كتاب الله بغير علم[1] ،وقول العالم لا أدرى خير من أن يتكلم خطأ ليخرج من الموقف فإنه سيكشف عاجلاً ،أو آجلاً عندئذ تسقط ثقة المتعلمين فيه فلا يثقون في أي معلومة يعطيها لهم ، وهذا أثره سيئ على المتعلمين ،ولقد كان الأئمة الكبار يقولون : الله أعلم فيما لا يعلمون ،ولم يقل هذا من مقامهم المنيف ولم ينزلهم من علیائهم بل زادهم قيمة وقامة ، ومكانا ومكانة ، وزاد احترام الناس لهم ،يقول القاسم : يا أهل العراق إنا والله لا نعلم كثيراً مما تسألونا عنه ولئن يعش المرء جاهلاً لا يعلم ما افترض عليه خير له من أن يقول على الله ورسوله ما لا يعلم[2] ،وعن ابن عون، قال: كنت عند القاسم بن محمد إذ جاءه رجل فسأله عن شيء، فقال القاسم: لا أحسنه، فجعل الرجل يقول: إني رفعت إليك لا أعرف غيرك ،فقال القاسم: لا تنظر إلى طول لحيتي وكثرة الناس حولي، والله ما أحسنه ،فقال شيخ من قريش جالس إلى جنبه: يا ابن أخي ألزمها، والله ما رأيتك في مجلس أنبل منك اليوم ،فقال القاسم: والله لأن يقطع لساني أحبّ إليّ من أن أتكلم بما لا علم لي به. [3].،وكان العالم من السلف الصالح لا تحمله مكانته العلمية على أن يقول ما لا يعلم بل كان يصرح بعدم العلم فيما لا يعلمه ولا يستحى من ذلك يقول عبد الرحمن بن مهدي : كنا عند مالك بن أنس فجاءه رجل فقال له : يا أبا عبد الله جئتك من مسيرة ستة أشهر حملني أهل بلدي مسألة أسألك عنها قال : فسل فسأله الرجل مسألة فقال : لا أحسنها قال : فبهت الرجل كأنه قد جاء إلى من يعلم كل شئ فقال أي شئ أقول لأهل بلدي إذا رجعت إليهم قال تقول لهم : قال مالك : لا أحسن[4] .

---

[1]- جامع بيان العلم وفضلة لابن عبد البر ١١٣/٢ .

[2]- أخرجه ابن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم وفضله ١١٦/٢ .

[3]- أخرجه ابن عبد البر في كتابه جامع بيان العلم وفضله ١١٦/٢ .

[4]- أخرجه ابن أبى حاتم في مقدمة الجرح ص ١٨ ، والخطيب في الفقيه ١٧٤/٢ بنحوه ،والبيهقى في المدخل وأبو نعيم في الحلية ٣٢٣/٦ .

المبحث الثالث

استخدام عوامل مساعدة على الفهم

المطلب الأول :الإشارة بالأصابع ،والعقد عليها ، و العد عليها ، وتشبيكها.

المطلب الثاني :الخط على الأرض .

المطلب الثالث :الاستشهاد بالأمثلة .

المطلب الرابع :الأسلوب العملي في التعليم من المعلم ،والمتعلم .

المطلب الأول

الإشارة بالأصابع ،والعقد عليها ، و العد عليها ، وتشبيكها

كان النبي ﷺ يستخدم الإشارة أثناء الكلام ، والإشارة ملفته للنظر طاردة للشرود ، فالناظر يرى الإشارة ،ويسمع العبارة ، وكلما أشركت المستمعين بحواسهم معك ،كلما كان حضور فهمهم ،واستيعابهم أكثر ،وقد ورد في السنة أن النبي ﷺ قد أشار بأصابعه في مناسبات ، وكان ذلك للدلالة على شئ معين ، دائماً تكون الإشارة مناسبة مع ما أشير بالأصابع عليه ومن ذلك حديث عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعًا يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِهِ الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ قَالَ نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ "[1]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ ﷺ قَالَ : فَتَحَ اللَّهُ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلَ هَذَا وَعَقَدَ بِيَدِهِ تِسْعِينَ [2] ،وعَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ أَنَّهَا قَالَتْ : اسْتَيْقَظَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ النَّوْمِ مُحْمَرًّا وَجْهُهُ يَقُولُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِهِ وَعَقَدَ سُفْيَانُ تِسْعِينَ أَوْ مِائَةً قِيلَ أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ قَالَ نَعَمْ إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ

---

[1]- أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ،باب قصة يأجوج ومأجوج (٤ / ١٣٨ ح ٣٣٤٦) ، ، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج (٤ / ٢٢٠٧ ح ٢٨٨٠) .

[2]- أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ،باب قصة يأجوج ومأجوج (٤ / ١٣٨ ح ٣٣٤٧) ، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج (٤/٢٢٠٨ ح ٢٨٨١) .

[1] ،وفي رواية مسلم " وعقد سفيان بيده عشرة " فالنبي ﷺ يبين قدر ما فتح من سد يأجوج ومأجوج ، أشار بأصبعيه السبابة والإبهام بالتحليق أي وضع السبابة في أصل الإبهام وضمها حتى لم يبق بينهما إلا خلل يسير أي صار الأصبعان كالحلقة لبيان ما فتح من ردم يأجوج ومأجوج من ثقب واستخدم[2] الحلقة يناسب الثقب كما أنها تناسب الردم وفي رواية أبى هريرة رضي الله عنه قال : فتح الله من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا وعقد بيده تسعين " هذا وقد اختلف في العاقد بيده هل هو الرسول ﷺ أم غيره في رواية أنه سفيان وأنه عقد بيده عشر ، وفي رواية أخرى أن وهيب هو الذي عقد بيده تسعين ، وذكر العلماء أن في هذه الراويات إشكالات ثلاث :-

الأول : الاختلاف في العاقد .

الثاني : الاختلاف في العدد .

الثالث :أن الحديث يعارضه قوله ﷺ " نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب[3]"

بما أشار إليه كلام ابن العربي أن نفس العقد مدرج وليس من قوله وإنما الرواة عبروا عن الإشارة التي في قوله مثل هذه في حديث الباب وغيره وذلك لأنهم شاهدوا تلك الإشارات .

أما الجواب عن الثاني : ما قاله القاضي عياض : أن المراد التقريب بالتمثيل لا حقيقة التحديد [4].

والجواب الثالث قال ابن العربي : الإشارة المذكورة تدل على أن المصطفي ﷺ كان يعلم عدد الحساب وليس فيه ما يعارض حديث " إنا أمة أمية لا نحسب ولا نكتب " فإن هذا إنما جاء لبيان صورة معينة "

---

[1]- أخرجه البخاري- في كِتَاب الْفِتَنِ ، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ ٩ / ٤٨ ح ٧٠٥٩) .

[2]- ينظر عمدة القارئ ١٩١/٢٣ ، شرح ابن بطال لصحيح البخاري ١١/١٠ ، شرح النووي لصحيح مسلم ٣/١٨ .

[3]- والفطر لرؤية الهلال ٧٦١/٢ح١٠٨٠ .

[4]- ينظر عمدة القارئ ١٩٠/٢٣ – ١٩١ – فتح الباري ١٠٧/١٣ .

قال ابن حجر : والأولى أن يقال أراد بنفي الحساب ما يتعاطاه أهل صناعته من الجمع والضرب والتكعيب وغير ذلك وأما عقد الحساب فاصطلاح تواضعه العرب بينهم استغناء به عن اللفظ وأكثر استعمالهم له عند المساومة سترا عمن حضر مشبها المصطفي ﷺ قدر ما فتح بصفة معروفة بينهم "[1] .وردت روايات فيها العقد للسبابة مع الإبهام حتى تصير حلقة ،ورواية فيها عقد تسعين ،وصورتها : أن يجعل طرف السبابة اليمنى في أصلها ويضمها ضماً محكماً بحيث تنطوي عقدتاها حتى تصير مثل الحية المطوقة ، وعقد المائة مثل عقد التسعين لكن بخنصر اليسرى فعلى هذا فالتسعون والمائة متقاربان ولذلك وقع فيهما الشك ، أما العشرة فمغايرة لهما ،ووردت رواية عقد العشرة : وهي بأن يجعل طرف السبابة اليمنى في باطن طي عقدة الإبهام العليا[2] ، وفي كل هذه الروايات دلالة أن للعرب اصطلاحات في الإشارة والتحليق بالأعداد قد تعارفوا عليها وقد استخدمها النبي ﷺ لتوضيح المعنى وتأكيده وتقريبه للمشاهد والسامع ولا شك أن للإشارة وقع في استدعاء انتباه المشاهد خاصة إذا كان المعنى المراد بعيد عن رؤية المشاهد أو كونه أمر غيبي ،وأسلوب النبي ﷺ في الإشارة عن الأشياء من الأساليب التي توصل العلم الحديث قريباً إلى أهميتها في استدعاء الانتباه وتوصيل المعلومة ،ومن الأساليب النبوية في الإشارة : - الإشارة بأصبعين متجاورين للدلالة على القرب مثل حديث عَنْ سَهْلٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ هَكَذَا وَيُشِيرُ بِإِصْبَعَيْهِ فَيَمُدُّ بِهِمَا "[3]

والنبي ﷺ حين أشار بالسبابة والوسطى إما للدلالة على أن الوقت يسير بين بعثته وقيام الساعة كما بين الإصبعين في الطول وقيل كما بين الأصبعين من المجاورة[4] وعدل النبي ﷺ عن الإشارة بالإبهام مع السبابة لطول الفصل بينه وبين السبابة ، والمراد بيان قلة المدة بينه وبين الساعة والتفاوت إما في المجاورة وأما في قد رما بينهما ويعضده قوله كفصل إحداهما على الأخرى وقال بعضهم : هذا الذي يتجه أن يقال

---

[1]- ينظر فيض القدير ٥٥٦/٤ .

[2]- ينظر فتح الباري ١٠٨/١٣ .

[3]- أخرجه البخاري في كتاب الرقاق باب قول النبي ﷺ بعثت أنا والساعة كهاتين (٨ / ١٠٥ ح ٦٥٠٣) ، ومسلم في كتاب الفتن باب قرب الساعة ٢٢٦٨/٤ح ٢٩٥٠ .

[4]- ينظر شرح النووي على مسلم ٨٩/١٨ .

ولو كان المراد الأول لقامت الساعة لاتصال الأصبعين أحدهما بالآخر " ،قال ابن التين : اختلف في معنى قوله كهاتين فقيل كما بين السبابة والوسطى في الطول ، وقيل المعنى أنه أراد أنه ليس بينه وبينها نبي " .

وقال البيضاوي : معناه أن نسبة تقدم البعثة النبوية على قيام الساعة كنسبة فصل إحدى الأصبعين عن الأخر ،وقيل المراد استمرار دعوته لا تفترق أحدهما على الأخرى كما أن الأصبعين لا تفترق إحداهما عن الأخرى .

وذكر القرطبي أنه : لا تعارض بين هذا الحديث : وقوله ما المسئول عنها بأعلم من السائل أن في هذا الحديث أشار بالسبابة والوسطى لا لتعيين وقتها ،ولكن للدلالة على قربها أما قوله ما المسئول عنها بأعلم من السائل أراد تعيين وقتها[1] .

وكذلك أشار النبي ﷺ بالسبابة والوسطى للدلالة على قرب منزلة كافل اليتيم منه يوم القيامة فقال في الحديث رواه سهل بْن سعْد عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ :أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَقَالَ بِإِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى " وَفي رواية أحمد " وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا قَلِيلًا "[2]

في هذا الحديث أشار النبي ﷺ بالسبابة والوسطى ليدل على قرب منزلة مربى اليتيم والقائم بأمره ومصالحه بأن يكون جداً أو عماً أو أخاً أو نحو ذلك من الأقارب أو يكون الأب مات فقامت الأم مكانه أو ماتت أمه فقام الأب مقامها في التربية من رسول الله ﷺ أي درجته قريبة من رسول الله ﷺ إلا أن درجته لا تبلغ درجه النبي ﷺ بل تقاربها لذلك أشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما كما في رواية البخاري[3] .

ويكفي في إثبات القرب من منزلة النبي ﷺ أنه ليس بين الوسطى والسبابة أصبع آخر ، ويحتمل أن يكون المراد قرب المنزلة حالة دخول الجنة ويحتمل الأمرين وهما سرعة الدخول وعلو المنزلة.

---

[1]- ينظر تحفة الأحوذى ٣٨١/٦ – شرح النووي على مسلم ١٥٥/٦ .

[2]- أخرجه البخاري في كتاب الطَّلَاقِ ، باب اللعان (٧ / ٣٥ ح ٥٣٠٤) وفي كِتَاب الْأَدَبِ ،بَاب فَضْلِ مَنْ يَعُولُ يَتِيمًا (٨ / ٩ ح ٦٠٠٥)، وأحمد (٣٧ / ٤٧٦ح ٢٢٨٢٠).

[3]- شرح الزرقانى ٤٢٩/٤ – فتح الباري ٤٣٦/١٠ .

قالوا كما كان رسول الله ﷺ قد بعث إلى قوم لا يعقلون أمر دينهم فيكون كافلاً لهم ومعلماً ومرشداً وكذلك كافل اليتيم يقوم بكافلة من لا يعقل أمر دينه بل ولا دنياه فيرشده ويعلمه ويحسن أدبه فظهرت مناسبة ذلك .

وزعم بعض العلماء أنه ﷺ لما قال ذلك استوت أصبعاه في تلك الساعة ثم عادتا إلى حالهما الطبيعية الأصلية تأكيداً لأمر كفاية اليتيم قال الحافظ ابن حجر مثل هذا لا يثبت بالاحتمال ويكفي في إثبات قرب المنزلة من المنزلة أنه ليس بين الوسطى والسبابة أصبع[1] .

وقد يشير النبي ﷺ بأصبعه أو يده ليدل على جزء معين أو قدر معين استغناء بالإشارة عن الكلام وتأكيداً له وأسرع في نوال المراد كما في حديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ عَنْ كَعْبٍ أَنَّهُ تَقَاضَى ابْنَ أَبِي حَدْرَدٍ [2] دَيْنًا كَانَ لَهُ عَلَيْهِ فِي الْمَسْجِدِ فَارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا حَتَّى سَمِعَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي بَيْتِهِ فَخَرَجَ إِلَيْهِمَا حَتَّى كَشَفَ سِجْفَ حُجْرَتِهِ [3] فَنَادَى يَا كَعْبُ قَالَ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ ضَعْ مِنْ دَيْنِكَ هَذَا وَأَوْمَأَ إِلَيْهِ أَيْ الشَّطْرَ قَالَ لَقَدْ فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ قُمْ فَاقْضِهِ "[4] .

---

[1]- ينظر تحفة الأحوذى ٦/٤٠ -٤٣٧ ، عون المعبود - (١٤ / ٤١ ، ٤٢)

[2]- عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي واسم أبي حدرد سلامة بن عمير بن أبي سلامة بن سعد بن مساب بن الحارث بن عبس بن هوازن بن أسلم وقيل عبد بن عمير بن عامر . له صحبة يكنى أبا محمد وأول مشاهده الحديبية وخيبر وما بعدهما ، مات في زمن مصعب بن الزبير هذا قول خليفة، وقال الواقدي: مات عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي سنة إحدى وسبعين وهو يومئذ ابن إحدى وثمانين (ينظر أسد الغابة - (١ / ٥٩٥) ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب - (١ / ٢٦٨) .

[3]- سجف حجرته بكسر السين المهملة وفتحها بعدها جيم ساكنة وقال ابن سيده هو الستر وقيل هو الستران المقرونان بينهما فرجة وكل باب ستر بسترين مقرونين فكل شق منه سجف والجمع أسجاف وسجوف وربما قالوا السجاف والسجف والسجيف إرخاء السجف زاد وبيت مسجف أسجف الستر أي أرسلته وقال عياض وغيره لا يسمى سجفا إلا أن يكون مشقوق الوسط كالمصراعين قلت الذي قاله ابن سيده (ينظر عمدة القاري ١٠١/٧ .

[4]- أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ،باب التقاضي والملازمة في المسجد ٩٩/١ح٤٥٧ ومسلم في كتاب المساقاة ، باب استحباب الوضع من الدين ١١٩١/٣ح١٥٥٦ .

وفي إشارة النبي ﷺ بالنصف دلالة على أن الإشارة بيد تقوم مقام الإفصاح باللسان إذا فهم المراد بها [1].

وقوله قم خطاب لابن أبي حدرد قوله فاقضه أمر على جهة الوجوب لأن رب الدين لما أطاع بوضع ما أمر به تعين على المدين أن يقوم بما بقي عليه لئلا يجتمع على رب الدين وضيعة ،ومطل .

وقصة الحديث أن كعب بن مالك كان له دينا على ابن أبي حدرد واسمه عبد الله بن أبي سلامة فطالبه في المسجد فارتفعت أصواتهما فخرج عليهم النبي ﷺ وأشار إلى كعب أن حط من الدين النصف ثم طلب منه أن يتقاضى النصف من المدين[2] .

وقد تقرن الإشارة بالنطق مثل حديث عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ دُورِ الْأَنْصَارِ قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ : بَنُو النَّجَّارِ ،ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ بَنُو عَبْدِ الْأَشْهَلِ ،ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ بَنُو الْحَارِثِ بْنِ الْخَزْرَجِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ بَنُو سَاعِدَةَ ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ فَقَبَضَ أَصَابِعَهُ ثُمَّ بَسَطَهُنَّ كَالرَّامِي بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ وَفِي كُلِّ دُورِ الْأَنْصَارِ خَيْرٌ [3] ، والمقصود من الحديث هنا قوله " ثم قال بيده فقبض أصابعه ثم بسطهم كالرامي بيده "[4] .

في هذا الحديث استعمل الإشارة : وهي ضم الأصابع كلها ثم بسطها كأنه يرمى بشئ ، ومع الإشارة تكلم وذكر بأن كل دور الأنصار فيها خير ولا شك أن هذا أكمل دلالة على مقصود النبي ﷺ تعميم الحكم بالخيرية بعد تخصيصه بعض دور الأنصار .

ومن الأحاديث التي اقترنت فيها الإشارة مع النطق ، أن رسول الله ﷺ أمر أصحابة ، أن لمن لم يسق الهدى أن يحل إحرامه بعد طوافه بين الصفا والمروة ويجعلها عمرة وقال : لو أني استقبلت من أمري ما استدبرت لم أسق الهدى وجعلتها عمرة ، فمن كان منكم

---

[1]- ينظر شرح صحيح البخاري لابن بطال ١٠٦/٢ .

[2]- ينظر عمدة القارئ ٩٩/٧ بتصرف ، ٧/ ١٠١ .

[3]- أخرجه البخاري في كتاب الطلاق باب اللعان ٥٢/٧ح٥٣٠٠ ، ومسلم في كتاب الفضائل ، باب في خير دور الأنصار رضي الله عنهم ، وليس فيه " ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ فَقَبَضَ أَصَابِعَهُ ثُمَّ بَسَطَهُنَّ كَالرَّامِي بِيَدِهِ (٤ / ١٩٥١ ح ٢٥١٢) .

[4]- ينظر المعلم الأول ﷺ ١٣٥/١ .

ليس معه هدى فليحل ، وليجعلها عمرة فقام سراقة بن مالك بن جشعم [1] فقال : يا رسول ألعامنا هذا أم للأبد ؟ فشبك رسول الله ﷺ أصابعه واحدة في الأخرى وقال : دخلت العمرة في الحج مرتين " لا بل لأبد الأبد[2] .

وجه الدلالة هنا أن رسول الله ﷺ شبك بين أصابعه ليبين ،ويؤكد على أن هذا الحكم مستمر للأبد ، ولا يخفي ما في هذه الحركة من معان قوية ، تزيد الكلام تأكيداً وقوة إلى قوة وفي قوله " فشبك رسول الله ﷺ أصابعه واحدة في الأخرى وقال : دخلت العمرة في الحج يقول النووي : واختلف العلماء في معناه على أقوال أصحها قال جمهور العلماء : معناه العمرة يجوز فعلها في أشهر الحج إلى يوم القيامة، والمقصود به بيان إبطال ما كانت عليه الجاهلية تزعمه من امتناع العمرة في أشهر الحج ،وقال بعض العلماء : قوله " دخلت العمرة في الحج مرتين "ومعنى هذا الحديث أن لا بأس بالعمرة في أشهر الحج وهكذا قال الشافعي وأحمد وإسحاق .

قال الجزري في النهاية :دخلت العمرة في الحج معناه أنها سقط فرضها بوجوب الحج ودخلت فيه وهذا تأويل من لم يرها وإجبة فأما من أوجبها فقال معناه أن عمل العمرة قد دخل في عمل الحج فلا يرى على القارن أكثر من إحرام واحد ،وطواف ،وسعي .

وقيل معناه أنها قد دخلت في وقت الحج ،وشهوره ؛لأنهم كانوا لا يعتمرون في أشهر الحج فأبطل الإسلام ذلك وأجازه انتهى

قلت هذا المعنى الأخير هو الذي اختاره الترمذي وبه قال الشافعي ،وأحمد ،وإسحاق ،وهو الظاهر والله تعالى أعلم [3]

ومن الأحاديث التي قرن النبي ﷺ فيها بين الإشارة والنطق حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم ذَكَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَقَالَ: فِيهِ سَاعَةٌ لاَ يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ

---

[1]- سراقة بن مالك بن جعشم بن مالك الكناني المدلجي يكنى أبا سفيان كان ينزل قديدا بعد في أهل المدينة ويقال : سكن مكة ، روى عنه الصحابة : ابن عباس وجابر ومن التابعين : سعيد بن المسيب وابنه محمد بن سراقة مات سراقة بن مالك سنة أربع وعشرين أول خلافة عثمان رضي الله عنه وقيل : إنه مات بعد عثمان والله أعلم (ينظر أسد الغابة - (١ / ٤٢٢ ــ٤٢١)

[2]- أخرجه مسلم في كتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ (٢/٨٨٨ح١٢١٨)

[3]- ينظر مسلم بشرح النووي ١٤٥/٨ ، تحفة الأحوذي ٥٨٥/٣

وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، يَسْأَلُ اللهَ تَعَالَى شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا " يزهدها[1] لا شك أن إشارة النبي ﷺ لدلالة على قلة وقت تلك الساعة أفادت معناً زائداً على الكلام وهو قلة وقت تلك الساعة وعظم مغنم من يدركها ويدعو فيها كما أن الإشارة جذبت انتباه السامعين ورسخت المعلومة في ذهن السامعين .

والنبي ﷺ يستخدم الإشارة ليؤكد معناً معيناً فيجمع بين القول والإشارة ومن ذلك ما ثبت في صحيح مسلم، عن جابر بن عبد الله " وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون قالوا :نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات ". "[2]

وفي رواية " ثُمَّ قَالَ بِأُصْبُعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُبُهَا إِلَى النَّاسِ "[3]

وفي رواية " فقال بأصبعه السبابة فرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس اللهم أشهد اللهم أشهد اللهم أشهد "[4]

قال العلامة الشيخ ولي الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الخطيب العمري التبريزي: (فقال بإصبعه) أي أشار بها (السبابة) بالجر (يرفعها إلى السماء) (قال) أي رافعًا إياها أو من السبابة أي مرفوعة (وينكتها إلى الناس) أي يشير بها إليهم كالذي يضرب بها الأرض ، والنكت ضرب رأس الأنامل إلى الأرض .

قيل : صوابه (ينكبها) بموحدة ، وكذا رويناه عن شيخنا أبي الوليد هشام بن أحمد في مسلم ومن طريق ابن الأعرابي عن أبي داود في سننه بموحدة ، ومن طريق أبي بكر التمار عنه بفوقية ، ومعناه يرددها ويقلبها إلى الناس مشيرًا لهم ، وهو من نكب كنانته إذا قلبها وقال القرطبي : روايتي في هذه اللفظة وتقييدي على من أعتمده من الأئمة المقتدين بضم الياء وفتح النون وكسر الكاف مشددة وضم الباء بواحدة أي يعدلها إلى

---

[1]- أخرجه البخاري في كتاب الجمعة ، باب الساعة التي في يوم الجمعة ١٣/٢ ح ٩٣٥ ،ومسلم في كتاب الجمعة ، باب في الساعة التي في يوم الجمعة ٥٨٣/٢ح٨٥٢ .

[2]- أخرجه مسلم في كتاب الحج ، باب حجة النبي ﷺ ٨٩٠/٢ح١٢١٨ .

[3]- أخرجه أبو داود في كتاب الحج ، باب صِفَةِ حَجَّةِ النبي -صلى الله عليه وسلم قال الشيخ الألباني : حديث صحيح (٢ / ١٢٢ ح ١٩٠٧) ، وابن ماجة في كتاب الحج ، باب حجة رسول الله صلى الله عليه و سلم سنن ابن ماجه - (٢ / ١٠٢٢ ح ٣٠٧٤) .

[4]- أخرجه الدار مي في كتاب المناسك ، باب في سنة الحاج (٢ / ٦٧ ح ١٨٥٠) .

الناس ، وروي ينكبها مخففة الباء والنون وضم الكاف ومعناه يقلبها ، وهو قريب من الأول وروي ينكتها بفوقية وهي أبعدها – انتهى .

وقال الجزري في النهاية : في حديث حجة الوداع (وينكبها إلى الناس) أي يميلها إليهم ، يريد بذلك أن يشهد الله عليهم ، يقال : نكبت الإناء نكبًا ونكبته تنكيبًا إذ أماله وكبه "[1]

لا شك أن استخدام الإشارة إلى السماء بالأصبع ثم الإشارة إلى المستمعين أبلغ في تأكيد الكلام عليهم وترسيخا للمعنى المراد إيصاله .

وربما تقع الإشارة موقع الكلام وتسد عنه كما في حديث ابْنِ عَبَّاسٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم– قَالَ :« أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ عَلَى الْجَبْهَةِ ». وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى أَنْفِهِ ،وَالْيَدَيْنِ ،وَالرُّكْبَتَيْنِ ،وَأَطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ :« وَلاَ نَكُفَّ الثِّيَابَ وَلاَ الشَّعْرَ ». "[2] ذكر النبي ﷺ الجبهة وأشار إلى الأنف ولم يذكرها ليدلل على أن الأنف من الجبهة ،وتابعة لها ولو أنه لم يشر إلى الأنف لاحتاج لذكره مع الجبهة .

واستدل أبو حنيفة برواية بن عباس التي رواها الشيخان بلفظ أمرت أن أسجد على سبعة أعظم على الجبهة وأشار على أنفه الخ وجه الاستدلال أنه صلى الله عليه و سلم ذكر الجبهة وأشار إلى الأنف فدل على أنه المراد ورده ابن دقيق العيد فقال : إن الإشارة لا تعارض التصريح بالجبهة لأنها قد تعين المشار إليه بخلاف العبارة فإنها معينة .

قال الإمام النووي رحمه الله: هذه الأحاديث فيها فوائد منها : –

أن أعضاء السجود سبعة وأنه ينبغي للساجد أن يسجد عليها كلها ،وأن يسجد على الجبهة والأنف جميعا ،فأما الجبهة فيجب وضعها مكشوفة على الأرض ويكفي بعضها ،والأنف مستحب فلو تركه جاز ،ولو اقتصر عليه وترك الجبهة لم يجز هذا مذهب الشافعي ومالك رحمهما الله تعالى والأكثرين .

---

[1]– ينظر مشكاة المصابيح مع شرحه مرقاة المفاتيح – (٩ / ٥٣ ، ٥٤)

[2]– أخرجه البخاري في: كتاب الأذان: باب السجود على الأنف (١ / ١٦٢ ح ٨١٢) ، ومسلم في كتاب الصلاة ، باب أعضاء السجود والنهي عن كف الشعر والثوب وعقص الرأس في الصلاة (١ / ٣٥٤ ح ٤٩٠)

وقال أبو حنيفة رضي الله عنه ،وابن القاسم من أصحاب مالك : له أن يقتصر على أيهما شاء .

وقال أحمد رحمه الله تعالى وابن حبيب من أصحاب مالك رضي الله عنهما : يجب أن يسجد على الجبهة والأنف جميعا لظاهر الحديث .

قال الأكثرون : بل ظاهر الحديث أنهما في حكم عضو واحد لأنه قال في الحديث سبعة فإن جعلا عضوين صارت ثمانية وذكر الأنف استحبابا .

وأما اليدان والركبتان والقدمان فهل يجب السجود عليهما فيه قولان للشافعي رحمه الله تعالى

أحدهما : لا يجب لكن يستحب استحبابا متأكدا

والثاني : يجب وهو الأصح وهو الذي رجحه الشافعي رحمه الله تعالى فلو أخل بعضو منها لم تصح صلاته وإذا أوجبناه لم يجب كشف القدمين والركبتين وفي الكفين قولان للشافعي رحمه الله تعالى أحدهما يجب كشفهما كالجبهة وأصحهما لا يجب قوله صلى الله عليه و سلم سبعة أعظم أي أعضاء فسمى كل عضو عظما وإن كان فيه عظام كثيرة .[1]

وقد يستخدم النبي ﷺ الإيماء لتوصيل المعلومة إلى السامعين بدون كثرة الكلام ، كما أنها لها أثرها البالغ في حفظ السامع لهذا الحديث ،وذلك لربطه بين ما يقال وما يفعل من إيماء ،ولا شك أنه أفضل من الاقتصار على أحدهما القول والإيماء .

ومن الأحاديث التي استخدم فيها النبي ﷺ الإيماء حديث ابْنِ عَبَّاسٍ : أَنَّ النبي -صلى الله عليه وسلم- سُئِلَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ فَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ذَبَحْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ وَقَالَ :« لاَ حَرَجَ ». وَقَالَ رَجُلٌ : حَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَذْبَحَ فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ وَقَالَ :« لاَ حَرَجَ ». فَمَا سُئِلَ يَوْمَئِذٍ عَنْ شَىْءٍ مِنَ التَّقْدِيمِ وَلاَ التَّأْخِيرِ إِلاَّ أَوْمَأَ بِيَدِهِ وَقَالَ :« وَلاَ حَرَجَ » "[2] ، إيماء النبي ﷺ ليدل على جواز الفعل مع التصريح برفع الحرج أبلغ في الدلالة على التوسعة في هذا اليوم الميمون المبارك . وفيه بيان جواز الفتيا بالإشارة إذا كانت مفهومة واضحة والنبي ﷺ إذ يستخدم الإشارة والإيماءات يستخدمها بقدر معين لا يزيد منها فتزعج السامعين ،وتشوش عليهم ولا يقللها فتنقص من دلالة الكلام على المعنى

---

[1]- ينظر شرح النووي على مسلم - (٤ / ٢٠٨) ، تحفة الأحوذي - (٢ / ١٢٥) .

[2]- أخرجه البخاري في كتاب العلم باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس ١/٢٨ح٨٤

،ولكنه يستخدمها بحكمة كما أنه يستخدم الإشارة ،أو الإيماءة التي تناسب المقام ،وتدل دلالة واضحة على المراد كما أنها تكون مزامنة للكلام لا تتقدمه ولا تتأخر فعن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : يقبض العلم ،ويظهر الجهل ،والفتن ،ويكثر الهرج قيل : يا رسول الله وما الهرج ؟ فقال : هكذا بيده فحرفها كأنه يريد القتل "[1] .

قال أبو الزناد فيه من الفقه : أن الرجل إذا أشار بيده ،أو برأسه ،أو بشئ يفهم به إشارته أنه جائز عليه[2]

وعَنْ أَبِي تَمِيمَةَ الْهُجَيْمِيِّ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سُلَيْمٍ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُحْتَبٍ بِشَمْلَةٍ لَهُ (٣) وَقَدْ وَقَعَ هُدْبُهَا عَلَى قَدَمَيْهِ، فَقُلْتُ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ ؟، أَوْ رَسُولُ اللهِ فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى نَفْسِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، وَفِيَّ جَفَاؤُهُمْ فَأَوْصِنِي، فَقَالَ: " لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ وَوَجْهُكَ مُنْبَسِطٌ ، وَلَوْ أَنْ تُفْرِغَ مِنْ دَلْوِكَ فِي إِنَاءِ الْمُسْتَسْقِي، وَإِنْ امْرُؤٌ شَتَمَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ فَلَا تَشْتُمْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ، فَإِنَّهُ يَكُونُ لَكَ أَجْرُهُ، وَعَلَيْهِ وِزْرُهُ ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِزَارِ ، فَإِنَّ إِسْبَالَ الْإِزَارِ مِنَ الْمَخِيلَةِ، وَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ ، وَلَا تَسُبَّنَّ أَحَدًا "، " فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ أَحَدًا، وَلَا شَاةً، وَلَا بَعِيرًا " [4] .

وكذلك من الأساليب التعليمية في السنة النبوية العد على الأصابع سواء كان العد من رسول الله ﷺ من أصابع نفسه مثل قوله :" نحن أمة أمية لا نقرأ ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا وهكذا وعقد الإبهام في الثالثة "[5] فقد أشار النبي ﷺ بأصابع نفسه لدلالة على عدد أيام الشهر العربي وأنها قد تكون ثلاثين ،أو تسعا وعشرين .

---

[1]- أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس ١/٢٨ح٨٥ .

[2]- ينظر شرح صحيح البخاري لابن بطال ١/١٦٦ .

[3]- وهو محتب بشملة : بفتح المعجمة وسكون الميم ما يشتمل به من الأكسية أي يلتحف ومحتب اسم فاعل من الاحتباء والمعنى أنه كان جالسا على هيئة الاحتباء وألقى شملته خلف ركبتيه وأخذ بكل يد طرفا من تلك الشملة ليكون كالمتكىء على شيء وهذا عادة العرب إذا لم يتكئوا على شيء (ينظر عون المعبود – (١١ / ٨٦) .

[4]- أخرجه أحمد (٣٤ / ٢٣٧ ح ٢٠٦٣٥) .

[5]- أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب قول النبي ﷺ لا نكتب ولا نحسب ٣/٢٨ح١٩١٤ ،ومسلم في كتاب الصيام ،باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال ٢/٧٦١ ح١٠٨٠ .

وفي استخدامه الإشارة بالأصابع تأكيداً للمعنى ،واستدعاء لانتباه الصحابة ،وترسيخا للمعلومة في أذهانهم وتأكيد القول بالفعل فمن لم يسمع القول رأى الأصابع تشير إلى أن عدد أيام الشهر ثلاثون ،أو تسع وعشرون يوماً .

أو قد يكون العد بأصابع أحد الصحابة مثل حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ – ﷺ – بيدي :« فَقَالَ خَلَقَ اللَّهُ التُّرْبَةَ يَوْمَ السَّبْتِ ،وَخَلَقَ فِيهَا الْجِبَالَ يَوْمَ الأَحَدِ ،وَخَلَقَ الشَّجَرَ يَوْمَ الاِثْنَيْنِ ،وَخَلَقَ الْمَكْرُوهَ يَوْمَ الثُّلاَثَاءِ ،وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ ،وَبَثَّ فِيهَا الدَّوَابَّ يَوْمَ الْخَمِيسِ ،وَخَلَقَ آدَمَ بَعْدَ الْعَصْرِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ آخِرَ الْخَلْقِ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنْ سَاعَاتِ الْجُمُعَةِ فِيمَا بَيْنَ الْعَصْرِ إِلَى اللَّيْلِ » "[1] .

وأخذ النبي ﷺ بيدي أبى هريرة رضي الله عنه ،والعدد عليها لتأكيد ما يقوله ،وترسيخه في عقل ،وحافظة أبى هريرة رضي الله عنه ،وفي ذلك دلالة على كمال قرب أبى هريرة من رسول الله ﷺ وفيه كذلك دلالة على تمام حفظه "[2]

قد يستخدم النبي ﷺ الأصابع في الدلالة على معنى معين ،أو تأكيد معنى معين كتشبيكه بين أصابعه لتأكيد معنى الحث على الإتحاد ، وذلك في حديث أَبِي بُرْدَةَ عَنْ أَبِي مُوسَى رضي اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النبي – ﷺ– قَالَ :« إِنَّ الْمُؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا ». وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ."[3]

أراد النبي ﷺ أن يغرس في أمته خلق التعاون ،والتكافل ،والاتحاد فقال المؤمن للمؤمن كالبنيان ،ثم زاد في التأكيد على هذا المعنى بالتشبيك بين أصابعه تأكيداً لقوله ،وتمثيلاً لهم كيف يكونون فيما خولهم من ذلك وفي الحديث كذلك أن العالم إذا أراد المبالغة في البيان أنه يمثل لهم معنى أقواله بحركاته[4] ليكون أوقع في النفس والنبي ﷺ بين أن المؤمن لأخيه المؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً وهو وجه الشبه ،ثم شبك بين أصابعه

---

[1]– أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ،باب ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام ٤/٢١٤٩ح٢٧٨٩ .

[2]– ينظر مرقاة المفاتيح ١٦/٣٩٤ .

[3]– أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب تعاون المؤمنين بعضهم بعضاً ٨/١٢٦٠٢٦ ، ومسلم في كتاب الأدب ،باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ٤/١٩٩٩ح٢٥٨٥ .

[4]– ينظر شرح صحيح البخاري لابن بطال ٩/٢٢٧ – فتح الباري ١٠/٤٥٠ .

كالبنيان لوجه الشبه أي شداً مثل هذا الشد[1] .وفي هذا التشبيه البليغ يوضح النبي ﷺ أن تعاضد المؤمنين بعضهم البعض كما أن البنيان متماسك يشد بعضه بعضاً وذلك لأن أقواهم لهم ركن ،وضعيفهم مستند لذلك الركن القوى ،وفي الحديث كذلك تفضيل الاجتماع على الانفراد ، ومدح الاتصال على الانفصال فإن البنيان إذا تفاصل بطل وإذا اتصل ثبت الانتفاع به بكل ما يراد منه .

قال الراغب : إنه لما صعب على كل أحد أن يحصل لنفسه أدنى ما يحتاج إليه إلا بمعاونة عدة له فلقمة طعام لوعددنا تعب تحصيلها من زرع ،وطحن ،وخبز ،وصناع آلاتها لصعب حصره ،فلذلك قيل الإنسان مدني بالطبع ولا يمكنه التفرد عن الجماعة بعيشه بل يفتقر بعضهم لبعض في مصالح الدارين وعلى ذلك نبه بهذا الحديث [2].

---

[1]- ينظر عمدة القارئ ٣٢/٢١٠ .

[2]- ينظر فيض القدير ٦/٣٢٨ .

المطلب الثاني

الخـــط على الأرض

من الأساليب البيانية النبوية الخط على الأرض ومن ذلك حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال " خَطَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَطًّا مُرَبَّعًا ،وَخَطَّ خَطًّا فِي الْوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ ،وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسَطِ وَقَالَ : هَذَا الْإِنْسَانُ وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ وَهَذِهِ الْخُطَطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا "[1] .

في هذا الحديث اتبع النبي ﷺ أسلوباً جديداً في البيان ألا وهو الرسم على الأرض ، والظاهر أنه كان بيده المباركة على الأرض قال الطيبي رحمه الله : المراد بالخط الرسم والشكل ليقرب المعلومة ويوضحها بالرسم البياني والمربع هو شكل مستوى الزوايا ، فقال هذا ابن آدم أي هذا الخط المصور مجموعة مثال ابن آدم ، ثم خط خطاً في وسط المربع خارجاً منه ، والخط الخارج أي عن المربع الأمل) أي مأموله ،ومرجوه الذي يظن أنه يدركه قبل حلول أجله هذا خطا منه لأن أمله طويل لا يفرغ منه وأجله أقرب إليه منه وفي الحديث إشارة إلى الحض على قصر الأمل ،والاستعداد للأجل لأنه يأتي بغتة ، وخط خططا صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط ،والخطوط التي وسط المربع على جنب الخط الخارج الأعراض جمع عرض وهو ما ينتفع به في الدنيا في الخير والشر ،و الآفات العارضة أي الآفات ،والعاهات من المرض ،والجوع ،والعطش ،وغيره ،ويطلق العرض بالسكون ضد الطول ، ويطلق على ما يقابل النقدين ، قوله (إن نجا منه ينهشه هذا) أي إن تجاوز عنه العرض يلدغه هذا العرض الآخر وعبر عن عروض الآفة بالنهش والنهش هو الأخذ بمقدم الأسنان ، ويروى بالسين المهملة وهو من العض تقول نهشت الحية أي عضته ، وعبر بالنهش وهو لدغ ذات السم مبالغة في الإصابة والإهلاك ، فإن سلم من هذا لم يسلم من هذا وإن سلم من

---

[1]- أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ،باب في الأمل وطوله ٨/٨٩ح٦٤١٧ .

الجميع ولم تصبه آفة من مرض أو فقد مال أو غير ذلك باغته الأجل والحاصل أن من لم يمت بالسبب مات بالأجل ،أما الإشارة بقوله هذا الإنسان إلى النقطة الداخلة ، أي الخط المربع (أجله) أي مدة أجله (محيط به) أي من كل جوانبه بحيث لا يمكنه الخروج والفرار منه وهذا الذي هو خارج أمله إلى الخط المستطيل المنفرد واستشكل أن الخطوط ثلاثة والإشارات أربعة أجاب الكرماني : بأن للخط الداخل اعتبارين فالمقدار الداخل منه هو الإنسان ،والخارج منه أمله . [1]

رسم تقريبي لهذا الشكل الذي ورد في الحديث :-

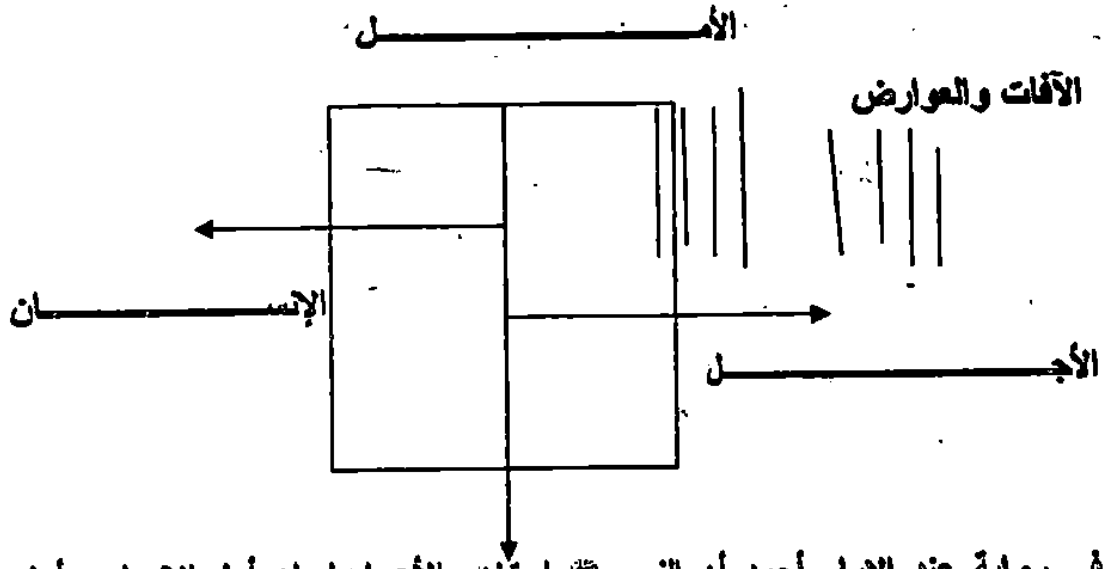

وفي رواية عند الإمام أحمد أن النبي ﷺ استخدم الأعواد لبيان أمل الإنسان وأجله ولفظ هذا الحديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ غَرَزَ بَيْنَ يَدَيْهِ غَرْزًا، ثُمَّ غَرَزَ إِلَى جَنْبِهِ آخَرَ، ثُمَّ غَرَزَ الثَّالِثَ فَأَبْعَدَهُ، ثُمَّ قَالَ: " هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا ؟ " قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: " هَذَا الْإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ، وَهَذَا أَمَلُهُ يَتَعَاطَى الْأَمَلَ وَالْأَجَلُ ، يَخْتَلِجُهُ دُونَ ذَلِكَ " [2] وهذا أمله والأحاديث متوافقة على أن الأجل أقرب من الأمل

---

[1]- ينظر عمدة القارى ١٧٨/٣٣ بتصرف- فتح الباري ٢٣٧/١١ – ٢٣٨ ، تحفة الأحوذي- (٧ / ١٢٧ – ١٢٨).

[2]- أخرجه أحمد في مسنده ٢١٢/١٧ح١١١٣٢ ، قال محققا الكتاب :إسناده جيد، علي بن علي: هو ابن نجاد بن رفاعة الرفاعي، وثقه ابن معين، وأبو زرعة، ووكيع، والنسائي، وابن عمار، وقال أحمد: لم يكن به بأس، حديثه صالح، وقال أبو حاتم: ليس بحديثه بأس، ولا يحتج به، وقال الحافظ في "التقريب" : لا بأس به، رُمي بالقدر، وكان عابداً، وأفرط فيه ابن حبان فقال في "المجروحين" ١١٢/٢: كان ممن يخطىء كثيراً على قلة روايته، وينفرد عن الإثبات بما لا يشبه حديث الثقات، لا يعجبني الاحتجاج به

"[1] ،وما ورد في الحديث تمثيل الأمل الآدمي وأنه بين يديه ،وعينيه الأمل ،والأجل محيط به ،وقد ألهاه أمله عن أجله ،والعوارض أي الآفات تحيط به كذلك فإن لم تنهشه ومات بها مات بالأجل الذي هو أقرب إليه[2] ،ومن غيب عنه أجله فهو حرى بتوقعه وانتظاره خشية هجومه عليه في حال غرة ،وغفلة ونعوذ بالله من ذلك فليرض المؤمن نفسه على استشعار ما نبه عليه ويجاهد أمله وهواه ويستعين بالله على ذلك [3]،ورسم النبي ﷺ أمل الإنسان بخط خارج عن المربع وهو لا نهاية له فهو شعاع لأن أمل الإنسان طويل لا يفرغ منه وأجله أقرب إليه منه [4].

وكذلك خط النبي ﷺ لبيان الصراط المستقيم والطريق القويم ورسم الطرق الأخرى من شواغل النفس وشهواتها وما يعرض لها من فتن ومن خطوات الشيطان وذلك في حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: " هَذَا سَبِيلُ اللهِ "، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: " هَذِهِ سُبُلٌ - قَالَ يَزِيدُ: مُتَفَرِّقَةٌ - عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ "، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾" الآية [5] [6]، وفي هذا الحديث خط النبي ﷺ لأجل تعليمنا وتفهيمنا لأن التمثيل يجعل المقصود من المعنى كالمحسوس من المشاهد والخط لما كان مثالاً سماه سبيل الله والتقدير هذا مثل سبيل الله أو هذا سبيل الله مثلاً وقيل هو تشبيه بليغ معكوس أي سبيل الله الذي هو عليه وأصحابه مثل الخط في كونه على غاية الاستقامة ،ثم خط خطوطاً أي صغاراً

إذا انفرد. روى له البخاري في "الأدب المفرد" ، و"أصحاب السنن" . وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين. عبد الملك بن عمرو: هو أبو عامر العقدي، وأبو المتوكل: هو علي بن داود -ويقال: ابن دؤاد- الناجي.

[1]- ينظر فتح الباري ٢٣٨/١١ .

[2]- ينظر كشف المشكل من حديث الصحيحين ٢١١/١ بتصرف .

[3]- ينظر شرح البخاري لابن بطال ١٥٠/١٠ .

[4]- تحفة الأحوذى ١٢٨/٧ .

[5]- سورة الأنعام آية رقم ١٥٣ .

[6] أخرجه أحمد في مسنده ٢٠٨/٧ح٤١٤٢ ،وقال الهيثمى في مجمع الزوائد: أخرجه أحمد ،والبزار وفيه عاصم بن بهدلة وهو ثقة وفيه ضعف (٩٠/٧) .

منحرفة عن يمنيه أي عن يمين الخط المستوى ،وعن شماله كذلك وقال هذه سبل غير سبيل الله أو سبل الشيطان يدعون الناس إليها ، وفي الحديث إشارة إلى أن سبيل الله وسط ليس فيه إفراط ولا تفريط بل فيه التوحيد والاستقامة ومراعاة الجانبين في الجادة أما سبل أهل البدع مائلة إلى الجوانب وفيها تقصير وغلو وميل وانحراف وتعدد واختلاف [1].

رسم تقريبي يوضح كيف رسم النبي ﷺ بيده الشريفة سبيل الله تعالى وهو الصراط المستقيم ، والسبل غير سبيل الله تعالى : -

الصـــــراط

المستقيـــم

ســبيل الله

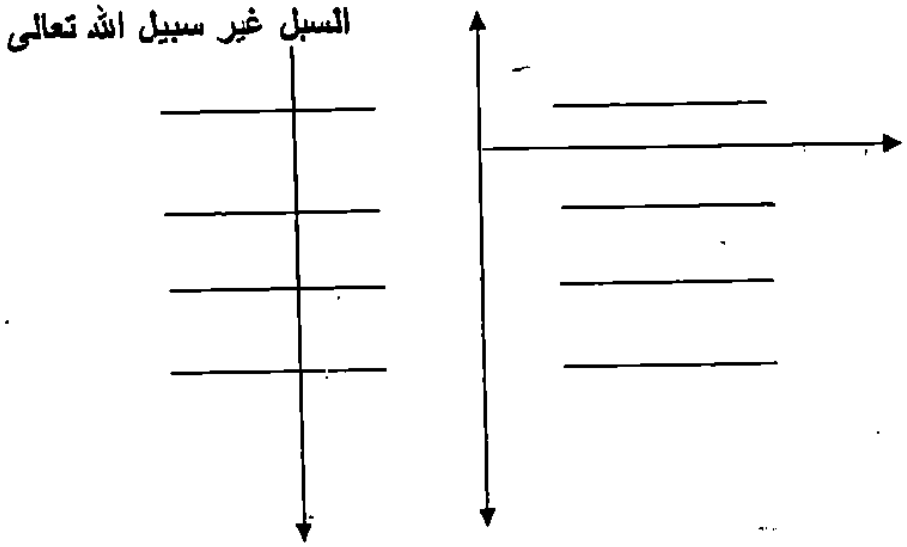

[1]- ينظر مرقاة المفاتيح ٢/٥٠ - مشكاة المصابيح ١/٦٢٧ .

المطلب الثالث

الاستشهاد بالأمثلة

يرغب النبي ﷺ بالاستشهاد بالأمثلة تصوير الأمر المعقول في صورة المحسوس تقريباً للمعنى ،ولإيصال المعلومة للسامع ،واستدعاء انتباهه ،وكذلك يقصد به ترسيخ المعلومة في عقلة ،لأنه يربط بين المعقول ،والمحسوس فيسهل عليه استرجاع المعلومة.

والمثل لغة : صيغة المثل وما يشتق منها تفيد التصوير ،والتوضيح ،والظهور ،والحضور ،والتأثير ، فالمثل هو الشئ المضروب الممثل به الذي تتضح به المعاني وهو صفة الشئ أيضاً[1] .

وضرب المثل عبارة عن إيقاعه وبيانه لإيضاح حال من الأحوال بذكر ما يناسبه ويشابهه ويظهر حسنه أو قبحه ما كان خفيا واختير له لفظ الضرب لأنه يأتي عند إرادة التأثير وتهيج الانفعال ، كأن الضارب للمثل يقرع به أذن السامع قرعاً ينفذ أثره إلى قلبه ،وينتهي إلى أعماق نفسه [2].

والأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص ،لأنها أثبتت في الأذهان لاستعانة الذهن فيها بالحواس ،ومن ثم كان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي ،والغائب بالمشاهد.

أما النبي ﷺ فإنه كان يضرب المثل أثناء عرضه للمواضيع المختلفة ،أمثلة مختلفة تناسب الأفكار التي يريد إيصالها للناس ، فقد ضرب لنا مثل بحامل المسك ونافخ الكير في موضوع الجليس الصالح والجليس السوء [3]، وضرب المثل بالنخلة في بيان أن المؤمن ينتفع في نفسه وينفع غيره [4] ، وضرب لنا مثل بالمرآة في النصيحة من

---

[1]- ينظر الأمثال في القرآن الكريم لابن القيم الجوزية ص ٢٨ ، تحقيق سعيد محمد نمر الخطيب ط دار المعرفة والكلام من قول المحقق .

[2]- ينظر تفسير القرآن الحكيم ١٦٧ط المنار .

[3]- أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد ،باب المسك ٩٦/٧ح٥٥٣٤ ،ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب ،باب استحباب مجال الصالحين ومجانبة قرناء السوء ٢٠٢٦/٤ ح٢٦٢٨ .

[4]- سبق تخريجه صـــ ٣ .

المؤمن لأخيه " المؤمن مرآة أخيه "[1] وغير ذلك في مناسبات متعددة ، والنبي ﷺ يضرب المثل لتقريب المعلومة ،وتسهيل إدراكها من المستمع ،ومن ذلك حديث عَنْ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ الْأَنْصَارِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: " ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَتَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ، فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ، وعَلَى الْأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ يَقُولُ: أَيُّهَا النَّاسُ، ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا، وَلَا تَتَعَرَّجُوا ، وَدَاعٍ يَدْعُو مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ يَفْتَحُ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ، فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ ، وَالصِّرَاطُ الْإِسْلَامُ، وَالسُّورَانِ: حُدُودُ اللهِ، وَالْأَبْوَابُ الْمُفَتَّحَةُ: مَحَارِمُ اللهِ، وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ: كِتَابُ اللهِ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقَ الصِّرَاطِ: وَاعِظُ اللهِ فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ " "[2] ، ففي هذا الحديث مثل الإسلام بالصراط ، وحدود الله بالسورين ، والأبواب المفتحة محارم الله تعالى ،والداعي على رأس الصراط كتاب الله عز وجل ،والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم .

فالإسلام وحدود الله ، ومحارم الله ، وكتاب الله ، وواعظ الله في كل مسلم كلها أمور معنوية مثلها النبي ﷺ في صورة المحسوس تقريباً للمعنى .

ومثل النبي ﷺ نفسه بلبنة تمام بيت جميل يعجب به المارون عليه ،ويتمنون أن يتم بوضع هذه اللبنة التي فيها كمال هذا البيت الجميل ، حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، قَالَ: إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هذِهِ اللَّبِنَةُ ؟ فَأَنَا اللَّبِنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ "[3] ، فالرسول ﷺ أجمل الأنبياء كلاماً ،وأعلى الأنبياء مقاماً فهو مسك ختامهم ،ولبنة تمامهم ،وهذا التمثيل الجميل الدقيق من النبي ﷺ يوصل المعلومة : بسهوله ويسر ،وبدون عناء ،وبكلمات قليلة .

---

[1]- أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب في النصيحة والخياطة قال الشيخ الألباني : حديث حسن ٤/٤٣٢ح٤٩٢٠

[2]- أخرجه الترمذي في كتاب الأمثال ،باب ما جاء في مثل الله لعباده ، وقال أبو عيسى : هذا حديث غريب قال الشيخ الألباني : حديث صحيح ٥/١٤٤ح٢٨٥٩ ،وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٩/١٨١ح١٧٦٣٣.

[3]- أخرجه البخاري في كتاب المناقب ،باب خاتم النبيين ﷺ ٤/١٨٦ح٣٥٣٤ ،ومسلم في كتاب الفضائل ، باب ذكر كونه ﷺ خاتم النبيين ٤/١٧٩٠ ح٢٢٨٦ ...

ومن الأحاديث التي اشتملت على ضرب الأمثال حديث أَبِي مُوسَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : مَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا ،فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ ،وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا،وَسَقَوْا،وَزَرَعُوا وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ "[1] .

وفي هذا الحديث مثل النبي ﷺ الهدى والعلم الذي أرسل به بالغيث الكثير ،وهو المطر الذي يأتي عند شدة الحاجة إليه ، ومثل المتلقين بهذا العلم بثلاثة أنواع من الأرض .

فالنوع الأول من الأرض : ينتفع بالمطر فيحي بعد أن كان ميتاً وينبت الكلأ فينتفع به الناس والدواب ، وكذلك النوع الأول من الناس يبلغه الهدى والعلم فيحفظه فيحيا قبله ، ويحي غيره ، ويعمل به ،ويعلمه غيره فينتفع وينفع .

والنوع الثاني من الأرض : مالا تقبل الانتفاع في نفسها لكن فيها فائدة وهي إمساك الماء لغيرها فينتفع بها الناس والدواب وكذلك النوع الثاني من الناس لهم قلوب حافظة لكن ليست لهم أفهام ثاقبة ،ولا عقول راسخة ولا اجتهاد في العمل ،ولكنهم أوعية للعلم لغيرهم وبهم يستفيد الناس ولم يستفيدوا هم .

والنوع الثالث من الأرض : هي الأرض السباخ التي لا تنبت كلأً ولا تحتفظ بالماء لينتفع به ، وكذلك النوع الثالث من الناس ليس لهم قلوب حافظة ولا عقول فاهمة ولا ينتفعون بالعلم ولا يحفظونه لنفع غيرهم [2] ، وفي هذا الحديث يظهر أسلوب ضرب الأمثال من واقع بيئة الصحابة ليقرب لهم المعنى ويوصل إليهم ما يريد توصيله من أقرب طريق وقد مثل لهم بما يعينون .

وقد استخدم النبي ﷺ مفردات معبرة منها استخدامه لفظ الغيث الكثير دون لفظ المطر ، لأن الغيث هو المطر الذي يأتي الناس وهم في أشد الحاجة إليه ،وهكذا رسالة النبي ﷺ أتت الناس في أشد الحاجة إلى الهداية ،والعلم .

---

[1]- أخرجه البخاري في كتاب العلم ،باب فضل من علم وعلم (١/٢٧ح٧٩)، ومسلم في كتاب الفضائل ،باب بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم ٤/١٧٨٧ح٢٢٨٢ .

[2]- ينظر شرح النووي على مسلم ١٥/٤٨ ، شرح ابن بطال على صحيح البخاري ١/١٦٤ .

وبعد هذا الحديث السابق من قبيل التمثيل الثلاثي بين أنواع الأرض الثلاثة أما أنواع الناس فهم ذكرهم اثنين إجمالا ، وهم ثلاث تفصيلاً وذلك في قوله ﷺ " فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني إليه به فعلم وعلم .

يرى الإمام الكرماني : أن تثليث المشبه ممكن بتقدير كلمة "من" قبل لفظ " نفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم " فيصير الكلام هكذا " ومن نفعه ما بعثني الله به ..... إلخ ، فكأنه قال : ومن نفعه ما بعثني الله به ..... إلخ بقرنية عطفه على من فقه ، وبذلك يكون الفقيه بمعنى العالم بالفقه الذي لم ينتفع به في خاصته نفسه الانتفاع الكامل في مقابل الأجادب من الأرض التي تمسك الماء فلا تنتفع به ولكن تنفع غيرها .

ويكون الفقيه الذي انتفع بالعلم في خاصته نفسه وعلم غيره في مقابل الأرض النقية على سبيل اللف والنشر غير المرتب على حد قول حسان بن ثابت :

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء أي ومن يمدحه .[1]

أما الصنف الثالث من الناس هو: الذي لم ينتفع في نفسه ولم ينفع غيره وهذا مقابل الأرض القيعان التي لا تمسك الماء ولا تنبت الكلأ وهو الذي عبر عنه رسول الله ﷺ " ومثل من لم يرفع بذلك رأساً .

وهناك تمثيل ثاني مثل حديث النُعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللهِ، وَالْوَاقِعِ فِيهَا، الْمُدَّهِنِ فِيهَا، مَثَلُ قَوْمٍ رَكِبُوا سَفِينَةً، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، وَأَوْعَرَهَا ، وَشَرَّهَا، وَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا الْمَاءَ، مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَآذَوْهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا ، فَاسْتَقَيْنَا مِنْهُ، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ تَرَكُوهُمْ وَأَمْرَهُمْ، هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ، نَجَوْا جَمِيعًا " "[2] .في هذا الحديث مثل النبي ﷺ القائم على حدود الله ، وهو الذي لا ينتهك حدود الله ،ولا يجاوز حدود الله بالمعاصي ،وهو يراعى الله تعالى في كل شئ ،والواقع فيها ،والمجاوز لها المقترف للمعاصي بقوم ركبوا سفينة فاقترعوا بينهم فأصاب بعضهم أعلى السفينة ،والبعض الأخر أصاب أسفل السفينة ،وكان الذين في أسفلها إذا طلبوا الماء مروا على من فوقهم فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً

---

[1]- ينظر عمدة القارى ٣/٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ بتصرف .

[2]- أخرجه البخاري في كتاب الشركة ، باب هل يقرع في القسمة والاستهام فيه ٣/١٣٩ح٢٤٩٣ .

فنأخذ الماء منه دون المرور على من فوقنا فلو تركهم الذين في أعلاها لغرقت السفينة ،وهلك الجميع ،ولو أخذوا على أيديهم ومنعوهم لنجى الجميع .

هكذا مثل الذي يراعي الله تعالى الواقف على حدود الله لا يجاوزها والواقع في حدود الله المجاوز للحد ، فلو لم يقم الصنف الأول بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لهلك الجميع ، ولأخذوا بذنب ومعاصي الواقعين في حدود الله لذلك يقول الله تعالى " ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [1]

وهذا التمثيل من النبي ﷺ تمثيل بديع يقرب المعقول في صورة المحسوس ويعد هذا من بديع البيان النبوي [2].

والمثل يدل على المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة فعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ "[3] ، كما أن ضرب المثل قد يأتي لتشبيه شئ بشئ في أمر معين مشترك بين هذين الشيئين كالتجانس مثلاً أو الترابط .

كان النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ يَخْطُبُ فيَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ شَيْءٌ، تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى " "[4]

فالترابط بين المؤمنين وتأثرهم بما يحدث لبعضهم خيراً أو شراً مثل الترابط بين أجزاء الجسد الواحد إذا أصيب عضو منه تأثرت سائر الأعضاء .

ويعدد النبي ﷺ الأمثال في هذا البيان النبوي الرائع كما في حديث أَنَسٍ، أَنَّ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ حَدَّثَهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ ،وَرِيحُهَا طَيِّبٌ . وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ طَعْمُهَا طَيِّبٌ ،وَلَا رِيحَ لَهَا ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الرَّيْحَانَةِ رِيحُهَا

---

[1]- سورة الأنفال آية رقم ٢٥ .

[2]- ينظر عمدة القارى ٤٠٣/١٩ .

[3]- أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ،باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره ١٠٣/١ح٤٨١ ،ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب ،باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ١٩٩٩/٤ح٢٥٨٥ .

[4]- أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم ١٠/٨ح٦٠١١ ،ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب ،باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم ١٩٩٩/٤ ح ٢٥٨٥ .

طَيِّبٌ ،وَطَعْمُهَا مُرٌّ ، وَمَثَلُ الْفَاجِرِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ طَعْمُهَا مُرٌّ ،وَلَا رِيحَ لَهَا" [1].

وفي هذا البيان النبوي يبرز النبي ﷺ المعقول الصرف في صورة المحسوس المشاهد ،لأنه لا يبرز مكنونه إلا التصوير الحسي ، فكلام الله المجيد له تأثير في باطن العبد وظاهره ، وإن العباد متفاوتون في ذلك ، فمنهم من له النصيب الأوفر من ذلك التأثير وهو المؤمن القارئ ، ومنهم من لا نصيب له البتة وهو المنافق الخالص ، ومنهم من تأثره ظاهراً دون الباطن وهو المرائي ، أو بالعكس وهو المؤمن الذي لم يقرأ القرآن .

إبراز هذه المعاني وتصويرها في صورة المحسوسات ،وما هو مذكور في الحديث ولم يجد ما يوافقها ويلائمها أقرب ،ولا أحسن ،ولا أجمل من ذلك ؛لأن المشبهات ،والمشبه به وارد على التقسيم الحاضر؛ لأن الناس إما مؤمن ،أو غير مؤمن ، والثاني إما منافق صرف ،أو ملحق به ، فعلى هذا من الأثمار المشبه بها ووجه الشبه في المذكورات مركب منتزع من أمرين محسوسين طعم وريح وقد ضرب المثل بما تنبته الأرض ويخرجه الشجر للمشابهة التي بينها وبين الأعمال فإنها من ثمرات النفوس ، فخص ما يخرجه الشجر من الأترجة ،والتمر بالمؤمن ،وبما تنبته الأرض من الريحانة ،والحنظلة بالمنافق تنبيها على علو شأن المؤمن واتقاء علمه ودوام ذلك ، وتوفيقاً على خدعة شأن المنافق وإحباط عمله وقلة جدواه .

ومثل الرسول ﷺ المؤمن القارئ للقرآن بالأترجة ؛ لأنها من أفضل الثمار في سائر البلدان وذلك لكبر حجمها ، وحسن منظرها ،وطيب طعمها ، ولين ملمسها ، تأخذ الأبصار صبغة ولوناً فاقع لونها تسر الناظرين تتوق النفوس إليها قبل أكلها طيبة النكهة وغير ذلك من صفات فيها [2]. وخص النبي ﷺ صفة الإيمان بالطعم وصفة التلاوة بالريح لأن الإيمان ألزم للمؤمن من القرآن إذ يمكن حصول الإيمان بدون القراءة وكذلك الطعم ألزم للجوهر من الريح فقد يذهب ريح الجوهر ويبقى طعمه[3] ، ومثل

---

[1]- أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة ،باب ذكر الطعام (٧/٧٧ح٥٤٢٧) ،ومسلم في كتاب صلاة المسافرين ،باب فضيلة حافظ القرآن ١/٥٤٩ح٧٩٧ .

[2]- ينظر عمدة القارئ ٢٩/١١٤ – فتح الباري ٩/٦٦، ٦٧ .

[3]- ينظر فتح الباري ٩/٦٦ .

المؤمن الذي لا يقرأ القرآن بالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، أي المؤمن فيه طعم الإيمان ولم يحصل رائحة القراءة ، أما المنافق فهو يقرأ القرآن ولا إيمان له فمثله بالريحانة لها ريح وليس لها طعم ، فالمنافق ليس فيه طعم الإيمان ، وقد حصلت له رائحة القراءة للقرآن ، أما الفاجر الذي لا يقرأ القرآن فهو مثل الحنظلة طعمها مر ، ولا رائحة لها ، وفي رواية وريحها مر " وقد استشكلت هذه الرواية أن المرارة من أوصاف الطعوم فكيف يوصف بها الريح

أجيب : بأن ريحها لما كان قريباً استعير له وصف المرارة[1] والله أعلم .

وهناك مثل أحادى مثل فيه تشبيه شئ بشئ وذلك في حديث ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّمَا مَثَلُ الْمُنَافِقِ مَثَلُ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً، وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً، لَا تَدْرِي أَيَّهُمَا تَتْبَعُ "[2] في هذا البيان النبوي مثل النبي ﷺ المنافق بالشاة العائرة المترددة المتحيرة بين قطيعين من الغنم تذهب إلى هذه مرة ،وإلى هذه مرة ولا تستقر في إحداهما ، وهي تطلب الفحل فتتردد بين القطيعين ، فكذلك المنافق متردد بين الإيمان والكفر ، فهو مع المؤمنين بظاهره ، ومع الكافرين بباطنه ، وقد وضح القرآن الكريم تذبذب المنافقين بين المؤمنين[3] والكافرين فقال الله تعالى " ﴿ مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴾[4]

وقال الأصبهاني : لضرب العرب الأمثال ،واستحضار العلماء النظائر شأن ليس بالخفي في إبراز خفيات الدقائق ،ورفع الأستار عن الحقائق تريك المتخيل في صورة المتحقق ،والمتوهم في معرض المتيقن ،والغائب كأنه مشاهد ،وفي ضرب الأمثال تبكيت للخصم الشديد الخصومة ،وقمع لسورة الجامح الأبي فإنه يؤثر في القلوب ما لا يؤثر في وصف الشيء في نفسه ،ولذلك أكثر الله تعالى في كتابه وفي سائر كتبه الأمثال ومن سور الإنجيل سورة تسمى سورة الأمثال ،وفشت في كلام النبي وكلام الأنبياء والحكماء[5].

---

[1]- ينظر فتح الباري ٦٧/٩ ، فيض القدير ٦٥٥/٥ .

[2]- أخرجه مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ٢١٤٦/٤ ح ٢٧٨٤

[3]- ينظر التيسير بشرح الجامع الصغير ٧٢٣/٢ بتصرف ، حاشية السندى على النسائي ١٢٤/٨ .

[4]- سورة النساء آية رقم١٤٣ .

[5]- ينظر الإتقان في علوم القرآن ٣٩/٤ .

ومن ذلك حديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: " إِنَّ مَثَلَ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ، لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَوْ آخِرُهُ ".[1]

ففي هذا الحديث شبه النبي ﷺ الأمة بالمطر بجامع النفع في كل ، مبيناً بأن النفع غير مقتصر على زمان دون زمان ،أو رجال دون رجال كما أن المطر لا يعرف خيره أوله أم آخره .

قال البيضاوي : نفي تعلق العلم بتفاوت طبقات الأمة في الخيرية وأراد به التفاوت لاختصاص كل منهم بخاصية توجب خيريتها كما أن كل نوبة من نوبات المطر لها فائدة في النماء لا يمكن إنكارها ،والحكم بعدم نفعها ، فإن الأولين آمنوا بما شاهدوا من المعجزات وتلقوا دعوة الرسول بالإجابة والإيمان ، والآخرين آمنوا بالغيب لما تواتر عندهم من الآيات ،واتبعوا الذين قبلهم بالإحسان وكما اجتهد الأولون في التأسيس والتمهيد اجتهد المتأخرون في التجريد والتلخيص ،وصرفوا عمرهم في التقدير والتأكيد فكل مغفور وسعيه مشكور وأجره موفور ،إنتهى إلى هنا كلام القاضي .[2]

وقد تمسك ابن عبد البر بهذا الحديث فيما رجحه من أن الأفضلية المذكورة في حديث خير الناس قرني إنما هي بالنسبة إلى المجموع لا الأفراد وأجاب عنه النووي : بما حاصله أن المراد من يشتبه عليه الحال في ذلك من أهل الزمان الذين يدركون عيسى بن مريم عليه السلام ،ويرون في زمانه من الخير والبركة وانتظام كلمة الإسلام ودحض كلمة الكفر فيشتبه الحال على من شاهد ذلك أي الزمانين خير وهذا الاشتباه مندفع بصريح قوله صلى الله عليه و سلم خير القرون قرني والله اعلم اه. [3]"

---

[1]- أخرجه الترمذي في كتاب الأمثال باب رقم ٦ ، وقال الترمذي : قال وفي الباب عن عمار و عبد الله بن عمرو و ابن عمر وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه قال وروي عن عبد الرحمن بن مهدي أنه كان يثبت حماد بن يحيى الأبح وكان يقول هو من شيوخنا قال الشيخ الألباني : حسن صحيح ١٥٢/٥ ح ٢٨٦٩ وأخرجه الإمام أحمد ٣٣٤/١٩ ح ١٢٣٢٧ ، وقال محققا الكتاب : حديث قوي بطرقه وشواهده، وهذا إسناد حسن، حماد بن يحيي -وهو الأبحُ- صدوق حسن الحديث، روى له الترمذي وأبو داود في "القدر" ، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين. حسن الأشيب: هو ابن موسى. وسيأتي .قال الحافظ ابن حجر في "الفتح" ٦/٧: وهو حديث حسن له طرق قد يرتقي بها إلى الصحة.

[2]- فيض القدير - (٥ / ٦٥٩) .

[3]- ينظر فتح الباري - ابن حجر - (٧ / ٦) .

المطلب الرابع

الأسلوب العملي في التعليم من المعلم ،والمتعلم

إذا جمع المعلم بين الأسلوب النظري ، والأسلوب العملي يكون أقوى في إيصال العلم لأن الطالب في هذه الحالة يجمع بين السماع ،والرؤية ،وهي أقوى في جذب الانتباه ،وأقوى في استيعاب ما يقال له ، ولقد فعل ذلك النبي ﷺ في مناسبات عدة مثل صلاته ﷺ أمام الصحابة ،وقوله لهم " صلوا كما رأيتموني أصلي" [1] ،وحجه ،وأدائه مناسك الحج وقوله " خذوا عني مناسككم "[2] ،ووضوئه كما في حديث حُمْرَانَ ابْنِ أَبَانَ ، قَالَ :رَأَيْتُ عُثْمَانَ بْنَ عفان توضّأ ، فَأَفْرَغَ عَلَى يَدَيْهِ ثَلاثًا فَغَسَلَهُمَا ، ثُمَّ مَضْمَضَ ،وَاسْتَنْثَرَ ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلاثًا ، ثُمَّ غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى إِلَى الْمِرْفَقِ ثَلاثًا ، ثُمَّ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ ، ثُمَّ غَسَلَ قَدَمَهُ الْيُمْنَى ثَلاثًا ، ثُمَّ الْيُسْرَى مِثْلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَوَضَّأَ نَحْوًا مِنْ وُضُوئِي هَذَا ، ثُمَّ قَالَ : " مَنْ تَوَضَّأَ وُضُوئِي هَذَا ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَا يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ "[3] وحديث سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّهُ: سُئِلَ عَنِ الْمِنْبَرِ مِنْ أَيِّ عُودٍ هُوَ ؟ قَالَ: أَمَا وَاللهِ إِنِّي لَأَعْرِفُ مِنْ أَيِّ عُودٍ هُوَ، وَأَعْرِفُ مَنْ عَمِلَهُ، وَأَيَّ يَوْمٍ صُنِعَ، وَأَيَّ يَوْمٍ وُضِعَ، وَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَوَّلَ يَوْمٍ جَلَسَ عَلَيْهِ أَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى امْرَأَةٍ لَهَا غُلَامٌ نَجَّارٌ فَقَالَ لَهَا: " مُرِي غُلَامَكِ النَّجَّارَ أَنْ يَعْمَلَ لِي أَعْوَادًا أَجْلِسُ عَلَيْهَا إِذَا كَلَّمْتُ النَّاسَ " . فَأَمَرَتْهُ فَذَهَبَ إِلَى الْغَابَةِ فَقَطَعَ طَرْفَاءَ [4] ، فَعَمِلَ الْمِنْبَرَ ثَلَاثَ دَرَجَاتٍ، فَأَرْسَلَتْ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَوُضِعَ فِي

---

[1]- أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ، بَاب الْأَذَانِ لِلْمُسَافِرِ إِذَا كَانُوا جَمَاعَةً وَالْإِقَامَةِ وَكَذَلِكَ بِعَرَفَةَ وَجَمْعٍ (١ / ١٢٨ ح ٦٣١) .

[2]- أخرجه مسلم في كتاب الحج ،باب استحباب رمي جمرة العقبة يوم النحر راكبا ،وبيان قوله ﷺ لتأخذوا مناسككم (٢ / ٩٤٣ ح ١٢٩٧) .

[3]- أخرجه البخاري في كتاب الوضوء ، باب الوضوء ثلاثاً ١/٤٣ح١٥٩ ، ومسلم في كتاب الطهارة ، باب صفة الوضوء وكماله ١/٢٠٤ح٢٢٦

[4]- الغابة الوطأة من الأرض التي دونها شرفة وهو الوهدة وقال أبو جابر الأسدي الغابة الجمع من الناس والغابة الشجر الملتف الذي ليس بمرتوب لاحتطاب الناس ومنافعهم وهو موضع قرب المدينة من ناحية الشام فيه أموال لأهل المدينة ،وقال الواقدي الغابة بريد من المدينة على طريق الشام وصنع منبر رسول الله صلى الله عليه و سلم من طرفاء الغابة طرفاء الغابة موضع قريب من المدينة والطرفاء نوع من الشجر الطرفاء "- بفتح الطاء، وسكون الراء المهملتين- وهي ممدودة: شجر من شجر

مَوْضِعِهِ هَذَا الَّذِي تَرَوْنَ، فَجَلَسَ عَلَيْهِ أَوَّلَ يَوْمٍ وُضِعَ فَكَبَّرَ هُوَ عَلَيْهِ، ثُمَّ رَكَعَ، ثُمَّ نَزَلَ الْقَهْقَرَى فَسَجَدَ وَسَجَدَ النَّاسُ مَعَهُ، ثُمَّ عَادَ حَتَّى فَرَغَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا فَعَلْتُ هَذَا لِتَأْتَمُّوا بِي، وَلِتَعَلَّمُوا صَلَاتِي " فَقِيلَ: لِسَهْلٍ هَلْ كَانَ مِنْ شَأْنِ الْجِذْعِ مَا يَقُولُ النَّاسُ ؟ قَالَ: قَدْ كَانَ مِنْهُ الَّذِي كَانَ [1] ،قوله : " ثم رفع فنزل القهقرى حتى سجد "هكذا هو رفع بالفاء أي رفع رأسه من الركوع ،والقهقرى هو المشي إلى خلف وإنما رجع القهقرى لئلا يستدبر القبلة قوله صلى الله عليه و سلم ولتعلموا صلاتي هو بفتح العين واللام المشددة أي تتعلموا فبين صلى الله عليه و سلم أن صعوده المنبر وصلاته عليه إنما كان للتعليم ليرى جميعهم أفعاله صلى الله عليه و سلم بخلاف ما إذا كان على الأرض فانه لا يراه إلا بعضهم ممن قرب منه ، وهذا أسلوب عملي لتعليم الأمة وكذلك في حديث عَنْ أَنَسٍ قَالَ: رَأَى نُخَامَةً فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ، فَشَقَّ عَلَيْهِ حَتَّى عَرَفْنَا ذَاكَ فِي وَجْهِهِ فَحَكَّهُ، وَقَالَ: " إِنَّ أَحَدَكُمْ أَوِ الْمَرْءَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ - أَوْ رَبَّهُ - بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ ، فَلْيَبْزُقْ إِذَا بَزَقَ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ " وَأَوْمَأَ هَكَذَا كَأَنَّهُ فِي ثَوْبِهِ، قَالَ: وَكُنَّا نَقُولُ لِحُمَيْدٍ فَيَقُولُ: " سُبْحَانَ اللهِ مَنْ هُوَ يَعْنِي النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا يَزِيدُنَا عَلَيْهِ "[2].

في كل هذه الأحاديث السابقة استخدم النبي ﷺ الأسلوب العلمي بجانب الأسلوب المقالي ترسيخاً للمعلومة في ذهن المتعلم ، وتنويعاً في استخدام الأساليب التعليمية ،وكما يكون استخدام الأسلوب العملي من المعلم قد يكون من المتعلم فإذا فعل الشئ بنفسه رسخ في

البادية، واحدها طرفة- بفتح الراء- مثل قصبة وقصباء. وقال سيبويه: الطرفاء واحد وجمع. وفي رواية: " من أثل الغابة". وقال أبو زياد: من العضاه أثل، وهو طوال في السماء سلب، ليس له ورق ينبت، مستقيم الخشب، وخشبه جيد، يحمل إلى القرى فتبنى عليه بيوت المدر، وورقه هدب دقاق، وليس له شوك، ومنه تصنع القصاع والأواني الصغار والكبار والمكاييل والأبواب (ينظر معجم البلدان - (٤ / ١٨٢) ، حاشية السندي على النسائي - (٢ / ٥٨) ، شرح أبي داود للعيني - (٤ / ٤١٦) .

[1]- أخرجه البخاري في كتاب الجمعة ، باب الخطبة على المنبر ٩/٢ح٩١٧ ، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب جواز الخطوة والخطوتين في الصلاة ٣٨٦/١ح٥٤٤ .

[2]- أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب حكّ المخاط بالحصى من المسجد (١ / ٩٠ ح ٤٠٥) ، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها صحيح مسلم - عبد الباقي - (١ / ٣٨٩ ح ٥٥٠) .

ذهنه أكثر من أن يخبر به ، ومن هذا حديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك : أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عَنْ وَقْتِ صَلاَةِ الْفَجْرِ ، فَأَمَرَ بِلاَلاً فَأَذَّنَ حِينَ طَلَعَ الْفَجْرُ ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ أَخَّرَ حَتَّى أَسْفَرَ ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يُقِيمَ فَأَقَامَ فَصَلَّى ، ثُمَّ دَعَا الرَّجُلَ فَقَالَ :« أَشَهِدْتَ الصَّلاَةَ أَمْسِ وَالْيَوْمَ؟ ». قَالَ : نَعَمْ. قَالَ :« مَا بَيْنَ هَذَا وَهَذَا وَقْتٌ» .[1]

فالنبي ﷺ جعل الرجل يصلي معه الفجر فصلاها في أول يوم أول لوقت ،وفي اليوم الثاني صلاها آخره ليعلم الرجل أن ما بينهما هو وقت أداء صلاة الفجر ،وهذا أقوى في ترسيخ المعلومة في ذهن السائل .واستخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب في حديث المسئ صلاته من رواية أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: دَخَلَ رَجُلٌ الْمَسْجِدَ فَصَلَّى، وَالنَّبِيُّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَلَّمَ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَقَالَ: " ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ "، فَرَجَعَ فَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَ: فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أُحْسِنُ غَيْرَ هَذَا، فَعَلِّمْنِي، قَالَ: " إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلَاتِكَ كُلِّهَا " [2] فالنبي ﷺ ترك الرجل يفعل الصلاة ثلاث مرات على الخطأ زجراً له ،وإرشادا له بأنه كان ينبغي له أن يسأل عن الذي لم يعرفه ، وكذلك لاعتماده على ما عنده من العلم واعتزازه به ، وتركه يفعل ذلك ثلاث مرات ليستكشف الخطأ بنفسه حتى إذا أبانه له رسخ في ذهنه ، لأنه يعمل مقارنة بين ما كان يفعل من الخطأ وما بينه له النبي ﷺ من الصواب ، ومن الأساليب التعليمية في الحديث أن النبي ﷺ رفق بالجاهل وعلمه بلين وبسهوله ويسر دون تعنيف أو تبكيت ،وكذلك

---

[1]- أخرجه النسائي في كتاب المواقيت ، باب أول وقت الصبح ١/٢٧١ح٥٤٤ قال الشيخ الألباني : صحيح الإسناد ، وقال البيهقي : ورُوِّينا مَعْنَاهُ في حَدِيثِ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ عَنِ النبي -صلى الله عليه وسلم- وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ. (ينظر السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي - (١ / ٣٧٧) ، وأخرجه مالك في باب وقوت الصلاة ١/٤ح٣ ، وأخرجه أحمد (١٩ / ١٧٣ ح ١٢١١٩) ، وقال محققا الكتاب : إسناده صحيح على شرط الشيخين..

[2]- أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها في الحضر والسفر ، وما يجهر فيها وما يخافت ١/١٥٢ح٧٥٧ ،ومسلم في كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة وأنا إذا لم يحسن الفاتحة ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها ١/٢٩٨ح٣٩٧ .

رفق به فلم يذكر له التفصيلات ولكن ذكر له الفرائض دون السنن إما لسبق علمه بها، أو لأن الفرائض لا تصح الصلاة إلا بها .

الأسلوب العملي في التعليم من أفضل الأساليب التعليمية في توصيل المعلومة وترسيخها في ذهن المتعلم خاصة ،وأن المتعلم يحصل على المعلومة بنفسه كما أنه يستكشف الخطأ بنفسه فيقوم بتصويبه .

استخدام وسائل الإيضاح لزيادة إيضاح المعنى كما أنها لها أبلغ تأثير في وضوح المعنى المراد ،وهو أسلوب عملي لتوصيل المعلومة ، وجذب انتباه السامع وربطه بين ما قيل ،ورؤية ما يستخدم من أداة إيضاحية ، ولقد فعل ذلك رسول الله ﷺ كما في حديث علي بن أبي طالب قال : أَخَذَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَهَبًا بِيَمِينِهِ، وَحَرِيرًا بِشِمَالِهِ، ثُمَّ رَفَعَ بِهِمَا يَدَيْهِ فَقَالَ: " هَذَانِ حَرَامٌ عَلَى ذُكُورِ أُمَّتِي "[1] .فالنبي ﷺ أراد أن يبين حرمة الذهب والحرير على ذكور الأمة فجمع بين القول ،والفعل برفع الذهب بيمينه والحرير بشماله حتى يراهما الناس ،ويسمعون منه أنهما حرام على ذكور الأمة دون الإناث .

ومن ذلك حديث النبي ﷺ كما كان في سفر فرفع الإناء حتى رآه الناس فشرب منه ليري الناس أنه فطر في السفر كما في حديث جَابِرٍ رضي الله عنه : أَنَّ النبي ﷺ خَرَجَ إِلَى مَكَّةَ عَامَ الْفَتْحِ فِي رَمَضَانَ فَصَامَ حَتَّى بَلَغَ كُرَاعَ الْغَمِيمِ [2] وَصَامَ النَّاسُ مَعَهُ فَقِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ النَّاسَ قَدْ شَقَّ عَلَيْهِمُ الصِّيَامُ فدعا بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ بَعْدَ الْعَصْرِ فَشَرِبَ وَالنَّاسُ يَنْظُرُونَ فَأَفْطَرَ بَعْضُ النَّاسِ وَصَامَ بَعْضٌ فَبَلَغَهُ أَنَّ أُنَاسًا صَامُوا فَقَالَ :« أُولَئِكَ الْعُصَاةُ »..[3]

---

[1] أخرجه أبو داود في كتاب اللباس باب في الحرير للنساء ، قال الشيخ الألباني : حديث صحيح ٤/٨٩ح٤٠٥٩ ،والترمذي في كتاب اللباس باب ما جاء في الحرير والذهب ، وقال الترمذي : حديث أبي موسى حديث حسن صحيح ، قال الشيخ الألباني : حديث صحيح ٤/٢١٧ ح١٧٢٠ ، والنسائي في كتاب الزينة باب تحريم الذهب على الرجال ، قال الشيخ الألباني : حديث صحيح ٨/١٦٠ .

[2] – كراع الغميم : موضع بين مكة والمدينة والغميم موضع له ذكر كثير في الحديث والمغازي وقال نصر الغميم موضع قرب المدينة بين رابغ والجحفة (ينظر معجم البلدان – (٤ / ٢١٤).

[3] – أخرجه مسلم في كتاب الصيام باب جواز الصوم والفطر في شهر رمضان للمسافر في غير معصية إذا كان سفره مرحلتين فأكثر ٢/٦٨٤ح١١١٤

فالنبي ﷺ استغنى عن أن يقول لهم أفطروا بأن أخذ القدح وأظهره لهم ثم شرب منه للدلالة على فطره لذلك شدد في القول للذين استمروا على الصيام لأنهم خالفوا أمر الرسول ﷺ .

إن النبي ﷺ يستخدم كل ما فيه جذب لانتباه الصحابة حرصاً على أمته بأن تستفيد من كل ما يقوله ﷺ ففي حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ، فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ، وَلَمَّا يُلْحَدْ ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ ، وفي يدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: " اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ مرتين، أَوْ ثَلَاثًا، "، ..... الحديث[1]

فالنبي ﷺ جعل ينكت في الأرض بالعود لينتبهوا له حتى إذا وعظ استوعبوا ما يقوله.

[1]- أخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب الجلوس عند القبر ٣/٢٠٦ح٤٧٥٣ قال الشيخ الألباني: حديث صحيح. ، وأحمد ٣٠/٤٩٩ح١٨٥٣٤ وقال محققاً الكتاب : إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح. أبو معاوية: هو محمد بن خازم الضرير، والأعمش: هو سليمان بن مهران ، وزاذان : هو أبو عبد الله، ويقال: أبو عمر الكندي، مولاهم.

المبحث الرابع

استخدام المؤثرات الخارجية لاستدعاء انتباه السامع ، ومراعاة الفروق الفردية للمستمعين ،ومراعاة حق المتكلم والمستمع .

المطلب الأول : النداء على المستمعين ، وحثهم على الاستماع .

المطلب الثاني : الإقبال على الناس بوجهه .

المطلب الثالث : تغيير نبرات الصوت ،و تعبيرات الوجه .

المطلب الرابع : تغيير الحالة ،أو الهيئة .

المطلب الخامس : تكرار بعض الجمل ،ووضوح الكلام .

المطلب السادس : عدم التكلف في الكلام .

المطلب السابع : مراعاة الفروق الفردية .

المطلب الثامن : عدم قطع الكلام لإجابة السائل ،والسكوت قبل الإجابة .

المطلب التاسع : الوعظ مرة بعد مرة.

المطلب الأول

﴿ النداء على المستمعين ،وحثهم على الاستماع ﴾

لقد كان النبي ﷺ يستخدم أسلوب النداء على الصحابة ،وذلك جذباً لانتباههم ،وحثاً لهم للاستماع إليه ، ولبيان أهمية ما يقال بعد النداء ،وفي هذا يقتدي النبي ﷺ بالقرآن الكريم الذي كان مرة ينادى على الناس كافة فيقول الله تعالى " ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [1].

ومرة ينادهم بصفة الإيمان كما في قوله تعالى " ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [2] .

---

[1]- سورة النساء آية رقم ١ .

[2]- سورة آل عمران آية رقم ١٠٢ .

والرسول ﷺ يستخدم أسلوب النداء في مناسبات عدة ، والغاية من النداء فيها هو جذب انتباه المستمعين إليه ، فعن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِنْبَرَ وَكَانَ آخِرَ مَجْلِسٍ جَلَسَهُ مُتَعَطِّفًا مُلْحَفَةً عَلَى مَنْكِبَيْهِ قَدْ عَصَبَ رَأْسَهُ بِعِصَابَةٍ دَسِمَةٍ[1]، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَيُّهَا النَّاسُ إِلَيَّ فَثَابُوا إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ : فَإِنَّ هَذَا الْحَيَّ مِنْ الْأَنْصَارِ يَقِلُّونَ وَيَكْثُرُ النَّاسُ فَمَنْ وَلِيَ شَيْئًا مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَاسْتَطَاعَ أَنْ يَضُرَّ فِيهِ أَحَدًا أَوْ يَنْفَعَ فِيهِ أَحَدًا فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ[2] "

فالرسول ﷺ جمع في هذا الحديث بين أسلوبين الأول النداء ، والثاني طلب الاجتماع إليه ،والإنصات له ، ولذلك اجتمع الناس عليه ،وأنصتوا له فبلغهم بما أراد تبليغهم إياه ،والنبي ﷺ عندما يطلب من الصحابة الإنصات له رعاية لحق المستمع حتى ينتفع بكل ما يقوله ﷺ وتعم الفائدة .

أما أن يتكلم بدون إنصات الحاضرين له فلا ينتفع الحاضرون بشئ ،ويكون كلامه قد ذهب سدى دون أن ينتفع به أحد ، وقد طلب النبي ﷺ استنصات الناس في خطبة الوداع كما في حديث جَرِيرٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ لِجَرِيرٍ: " اسْتَنْصِتِ النَّاسَ"، وَقَالَ: قَالَ: " لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ " "[3] والنبي ﷺ يطلب استنصات الناس في حجه الوداع لكثرة الناس وكونهم منهمكين في أداء مناسك الحج طلب من أحد الصحابة أن يسكت له الناس ليتحدث فيسمعه الجميع وتعم الفائدة خاصة إذا كان ما يقوله بعد طلب الاستنصات من الأمور المهمة جداً ما أحوج المعلم أن يقوم بمنع الكلام أثناء الدرس حتى لا يشوش من يتكلم على من يريد

---

[1]- دسماء : يعنى سوداء ، قوله بعصابة دسمة وفي رواية دسما نكرها في اللباس وضبط صاحب (المطالع) دسمة بكسر السين وقال الدسماء السوداء وقيل لونه لون الدسم كالزيت وشبهه من غير أن يخالطها شيء من الدسم وقيل متغيرة اللون من الطيب والغالية وزعم الداودي أنها على ظاهرها من عرقه في المرض وقال ابن دريد الدسمة غبرة فيها سواد والعصابة العمامة سميت عصابة لأنها تعصب الرأس أي تربطه (ينظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري – (١٠ / ١٤٩) .

[2]- أخرجه البخاري في كتاب المناقب ،باب قول النبي ﷺ أقبلوا من محسنهم وتجاوز عن مسيئهم ٣٥/٥ح٢٨٠٠ ي (ينظر غريب الحديث للخطابي ١٣٩/٢) .

[3]- أخرجه البخاري في: ٣ كتاب العلم: ٤٣ باب الإنصات للعلماء (١ / ٣٥ ح ١٢١) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض (١ / ٨١ ح٦٥) .

الاستفادة ، فحق الطالب الذي يريد الفائدة العلمية أن يسمع معلمه دون تشويش عليه ، ويمكن للمعلم أن يمنع الكلام دون طلب منع الكلام وذلك إذا ملأ وقت الحصة أو المحاضرة بالعلم المفيد فإن الطالب إذا لم يجد فراغاً بشوش فيه أنصت لا محالة .وكان النبي ﷺ يحث الحاضرين إلى استماع ما يقوله ويكرر طلب الاستماع ليبين أهمية ما يقول بعد طلب الاستماع .

قال أبو الزناد : الإنصات للعلماء ، والتوقير لهم ، لازم للمتعلمين ، لأن العلماء ورثة الأنبياء ، وقد أمر الله عباده المؤمنين ألا يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي ﷺ ، ولا يجهروا له بالقول خوف حبوط أعمالهم ، وكان عبد الرحمن بن مهدي إذا قرأ حديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) أمر الناس بالسكوت ، وقرأ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [1] ، ويتأول أنه يجب من الإنصات ،والتوقير عند قراءة حديث الرسول (ﷺ) مثل ما يجب له (ﷺ) ، فكذلك يجب توقير العلماء والإنصات لهم ، لأنهم الذين يحيون سنته ، ويقومون بشريعته . وقال شريك : كان الأعمش لا يتجاوز صوته مجلسهُ إجلالاً للعلم " [2]

و عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " خُذُوا عَنِّي . خُذُوا عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللهُ لَهُنَّ سَبِيلًا الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدُ مِائَةٍ وَنَفْيُ سَنَةٍ، وَالثَّيِّبُ بِالثَّيِّبِ جَلْدُ مِائَةٍ وَالرَّجْمُ " [3] ، فقوله " خذوا عنى خذوا عنى " وما فيه من عنصر الجذب ،وحث الناس وترغيبهم في الاستماع إلى هذا الشئ الذي يريد تبليغه كما أن النبي ﷺ كرر طلب الأخذ عنه لبيان أهمية ما يقوله .

---

[1]- سورة الحجرات آية رقم ٢ .

[2]- شرح صحيح البخارى ــ لابن بطال - (١ / ١٩٦ ، ١٩٧) .

[3]- أخرجه مسلم في كتاب الحدود ، باب حد الزنا ١٣١٦/٣ح١٦٩٠ وفي الحديث إشارة إلى قوله تعالى { وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا (١٥) }، سورة النساء آية رقم ١٥

المطلب الثاني

﴿ إقبال المعلم على الناس بوجهه ﴾

إقبال المعلم على تلاميذه بوجهه له تأثير بالغ في جذب انتباههم إليه ،وتأثرهم بما يقول خاصة إذا أضيف إلى هذا تنوع تعبيرات الوجه على حسب أغراض الكلام ،ولقد كان النبي ﷺ يواجه الصحابة بوجهه كما أنه كان يوزع نظراته على كل أصحابه حتى يظن كل واحد منهم أنه يخصه دون غيره بالنظر .

جاء في حديث عَنْ عِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رضي الله عنه، قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الْفَجْرَ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، فَوَعظنا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ لَهَا الْأَعْيُنُ ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قُلْنَا أَوْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ، فَأَوْصِنَا . قَالَ: " أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ ،وَالسَّمْعِ ،وَالطَّاعَةِ ،وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى بَعْدِي اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي ،وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ "(١)

فالنظر في وجوه المستمعين ،والناس الحاضرين لا شك أنه يوحد صلة مهمة بين المتكلم ،والسامع فهو عامل ربط قوى بين الإرسال من المتكلم ،والاستقبال من السامع ، أما إذا شرد المتكلم بنظراته بعيداً عن السامع فالسامع أكثر شروداً عنه ،لا شك أن إقبال العالم على المتعلمين بوجهه له تأثير كبير في تلقيهم العلم ،وجذب انتباههم ولقد كان النبي ﷺ يقبل على الصحابة بوجهه عند الموعظة ومن ذلك حديث زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ الْجُهَنِيِّ، قَالَ: صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَةِ عَلَى أَثَرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ قَالَ: " هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ " قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ . قَالَ: " أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي ، وكافر ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا

---

(١)- أخرجه أبو داود في كتاب السنة باب في لزوم السنة ، قال الشيخ الألباني : حديث صحيح ٤/٣٢٩ح٤٦٠٩ ، والترمذي في كتاب العلم باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع قال الترمذي : حديث صحيح ٥/٤٤ح٢٦٧٦ وابن ماجه في المقدمة باب إتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين ١/١٥ح٤٢ ، وأحمد في مسنده ٢٨/٣٧٣ح١٧١٤٤

وكَذَا، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ " "[1] .لقد راعى النبي ﷺ في هذا الحديث أشياء من أهمها :

أولاً : النبي ﷺ راعى مقتضى الحال وهو نزول المطر بالليل فأراد أن يبين أن الناس في اعتقادهم فيمن أنزل المطر وتسبب فيه صنفان :

الصنف الأول قال : هذا من فضل الله ورحمته فالله هو المتسبب فيه ،والمنزل له ،والخالق للسحاب ، وهذا الصنف مؤمن بالله كافر بالأنواء .

والصنف الثاني : يعتقد أن المتسبب في المطر ،والمدبر له والمنشئ للسحاب هو الأنواء فهذا الصنف كافر بالله مؤمن بالأنواء[2] .

ثانياً : استخدم النبي ﷺ المؤثرات الخارجية في جذب انتباههم بالإقبال عليهم بعد الصلاة مباشرة حتى يقبلوا عليه فيستوعبوا ما يقول .

ثالثاً : استخدام أسلوب الاستفهام في قوله : هل تدرون ماذا قال ربكم وهم من حسن أدبهم ردوا العلم لله ورسوله .

وهكذا فإن إقبال المعلم عل المتعلمين وتفاعله معهم له تأثير السحر فيهم .

ومنه حديث الْبَرَاءِ رضي الله عنه قَالَ : خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ أَضْحَى إِلَى الْبَقِيعِ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ وَقَالَ : إِنَّ أَوَّلَ نُسُكِنَا فِي يَوْمِنَا هَذَا أَنْ نَبْدَأَ بِالصَّلَاةِ ،ثُمَّ نَرْجِعَ فَنَنْحَرَ فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ وَافَقَ سُنَّتَنَا ،وَمَنْ ذَبَحَ قَبْلَ ذَلِكَ فَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ عَجَّلَهُ لِأَهْلِهِ لَيْسَ مِنْ النُّسُكِ فِي شَيْءٍ فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي ذَبَحْتُ وَعِنْدِي جَذَعَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُسِنَّةٍ قَالَ اذْبَحْهَا وَلَا تَفِي عَنْ أَحَدٍ بَعْدَكَ "[3]

فلقد استقبل النبي ﷺ الناس بوجهه ،ولا شك أن هذا أبلغ في تفاعل السامع مع المتكلم ، ولذلك كان من السنة إقبال الإمام على الناس بوجهه في خطبة العيد ،والجمعة وغيرها ؛ لأن كل من حضر الخطبة مأمور باستماعها ، ولا يكون المستمع إلا مقبلاً بوجهه على المسموع منه ليكون أوعى لموعظته .[4]

---

[1]- أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ، باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم ١٦٨/١ح٨٤٥ ،ومسلم في كتاب الإيمان ،باب بيان كفر من قال مطرنا النوء ٨٣/١ح٧١

[2]- أخرجه البخاري في كتاب ،بَاب اسْتِقْبَالِ الْإِمَامِ النَّاسَ فِي خُطْبَةِ الْعِيدِ قَالَ أَبُو سَعِيدٍ قَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُقَابِلَ النَّاسِ (٢ / ٢١ ح ٩٧٦) ، ومسلم في كتاب الأضاحي ، باب وقتها - (٣ / ١٥٥٣ ح ١٩٦١) .

[3]- ينظر شرح النووي ٦٠/٢ .

[4]- ينظر شرح صحيح البخاري لابن بطال ٥٦٩/٢ .

المطلب الثالث

﴿ تغيير نبرات الصوت ،أو تعبيرات الوجه ﴾

الرتابة في الإلقاء تورث الملل عند المتعلمين ، أما تغيير نبرات الصوت مع تغير الأساليب مثل الترغيب ،والترهيب ، و حسب المعاني فيرفع صوته تارة ،ويخفضه تارة أخرى على حسب مقتضيات الموقف ،وتغير تعبيرات الوجه بتغير المعاني ،وتكون مناسبة للكلام رضا ،وغضبا ، فرحا ، وحزنا مما يجعل المتعلم متفاعلا مع معلمه ، ومتابعا له ، ومستوعبا لما يقول ، ولقد كان النبي ﷺ يرفع صوته في بعض المواقف التي تقتضى ذلك ، فعن عبد الله بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: تَخَلَّفَ عَنَّا رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سَفْرَةٍ سَافَرْنَاهَا، قَالَ: وَأَدْرَكَنَا وَقَدْ أَرْهَقَتْنَا الصَّلَاةُ، صَلَاةُ الْعَصْرِ، وَنَحْنُ نَتَوَضَّأُ، فَجَعَلْنَا نَمْسَحُ عَلَى أَرْجُلِنَا، فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا: " وَيْلٌ لِلْأَعْقَابِ مِنَ النَّارِ "[1] ، وهذا حجة في جواز رفع الصوت في المناظرة في العلم وذكر ابن عيينة قال : مررت بأبي حنيفة وهو مع أصحابه ، وقد ارتفعت أصواتهم بالعلم . فالنبي ﷺ نادى بأعلى صوته ،إما لكثرة العدد ،أو بعدهم عنه ، وكرر ذلك مبالغة في توصيل المعلومة إلى الجميع ، قال أبو الزناد : إنما كان يكرر الكلام ثلاثًا ، والسلام ثلاثًا إذا خشي أن لا يفهم عنه ، أو لا يسمع سلامه ، أو إذا أراد الإبلاغ في التعليم ، أو الزجر في الموعظة. وفيه : أن الثلاث غاية ما يقع به البيان والإعذار به .

وكذلك لبيان أهمية ما يقوله ﷺ وفي رفع الصوت بهذا الكلام تحذيراً للصحابة أن يقعوا في هذا الأمر وهو عدم المبالغة في غسل الرجلين حتى يبقى في الأعقاب شئ يابس .[2] ولقد كان منهج النبي ﷺ في الخطب رفع الصوت حتى يسمع كلامه ،وتغيير تعبيرات الوجه على حسب المواقف، ولذلك ورد في حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ ، وَعَلاَ صَوْتُهُ ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ :« صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ ». وَيَقُولُ :« بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ ». وَيُقْرِنُ بَيْنَ

---

[1]- أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب من رفع صوته بالعلم ١/٢٢ح٦٠ ،ومسلم في كتاب الطهارة ،باب وجوب غسل الرجلين بكمالها ١/٢١٤ح٢٤١ .

[2]- ينظر شرح صحيح البخاري ــ لابن بطال - (١ / ١٣٨ - ١٧٣) ، فتح الباري - ابن حجر - (١ / ١٤٣) .

إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى وَيَقُولُ :« أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَخَيْرُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ ، مَنْ تَرَكَ مَالاً فَلأَهْلِهِ ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضِيَاعًا فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ » [1] ، يظهر من الحديث تفاعل النبي ﷺ مع الموقف ،وظهور ذلك على تعبيرات وجهه باحمرار عينيه ،وظهور الغضب عليه ، وارتفاع صوته يدل على أهمية ما يقول كما يدل على حرص النبي ﷺ أن يسمع الجميع كلامه ﷺ ،وكذلك حرصه على جذب انتباههم إليه باستخدام تلك الأساليب البليغة.

ومن الأحاديث التي تغيرت فيها تعبيرات وجهه ﷺ، وذلك إظهارا لشدة إنكاره لهذا الفعل الذي ارتكب فهو يضيف إلى إنكاره إنكار بظهور ذلك على ملامح وجهه ،ولا شك أن هذا أشد في الزجر لمن قام بهذا الفعل ،وجاء ذلك في حديث عَائِشَةَ رضي اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَهِيَ مُسْتَتِرَةٌ بِقِرَامٍ [2] فِيهِ صُورَةُ تَمَاثِيلَ فَتَلَوَّنَ وَجْهُهُ ثُمَّ أَهْوَى إِلَى الْقِرَامِ فَهَتَكَهُ بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ :« إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُشَبِّهُونَ بِخَلْقِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ». [3] " .

وانفعال النبي ﷺ يختلف باختلاف المواقف ، فمرة يشتد غضبه لكون أحد الصحابة كان يطيل في الصلاة حتى يشق على المصلين وهذا فيه تنفير المصلين من الصلاة ومن هذا حديث أَبِي مَسْعُودٍ الأنصاري قَالَ : جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رسُولِ اللَّهِ - ﷺ- فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لاَ أَكَادُ أُدْرِكُ الصَّلاَةَ مِمَّا يُطَوِّلُ بِنَا فُلاَنٌ. فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ- فِي مَوْعِظَةٍ كَانَ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْهُ يَوْمَئِذٍ. فَقَالَ :« أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ. مَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ ، وَالضَّعِيفَ ، وَذَا الْحَاجَةِ » " [4]

---

[1]- أخرجه مسلم في كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة ٢/٥٩٢ح٨٦٧ .

[2]- قال أبو عبيد : القِرام الستر الرقيق فإذا خيط فصار كالبيت فهو كِلَّة ، و قيل : أنه ثوب من صوف ، وهو بالكسر ستر رقيق فيه نقوش ،.وقال الخطابي : ويشبه أن تكون عائشة سترت به موضعا كان عورة من بيتها (ينظر غريب الحديث لابن سلام - (١ / ٢١٨) ، فتح الباري ــ لابن رجب - (٢ / ٢٠٧) ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - (٣ / ٢٥٤)

[3]- أخرجه البخاري في كتاب الأدب ،باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله ٨/٢٧ح٦١٠٩ ،ومسلم في كتاب اللباس والزينة ، باب تحريم تصوير صورة الحيوان ٣/١٦٦٩ح٢٠١٧

[4]- أخرجه البخاري في كتاب العلم ، بَاب الْغَضَبِ فِي الْمَوْعِظَةِ وَالتَّعْلِيمِ إِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ (١ / ٣٠ ح ٩٠) ، ومسلم في كتاب الصلاة باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام) (١ / ٣٤٠ ح ٤٦٦)

من أهم وسائل جذب الانتباه وعدم شرود المتعلم هو تعبيرات وجه المعلم على حسب الكلام بشارة ،أو نذارة فهو عامل جيد لاستيعاب المتعلم ما يقال ،وتفعله معه ، واستخدام تعبيرات الوجه كغيره من الأساليب يستخدم بقدر ولا يبالغ فيه حتى لا يفقد المهمة التي جئ به من أجلها ، فهو كالملح في الطعام يوضع فيه بقدر مناسب .

والنبي ﷺ كما كان يحمر وجهه وعيناه عند الغضب فقد كان يبتسم بالضحك في مواقف أخرى ، فعن جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: " مَا حَجَبَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي " وقد يصعب الأمر على رسول الله ﷺ فيظهر على وجهه كما في حديث أَنَسٍ قَالَ: رَأَى نُخَامَةً فِي قِبْلَةِ الْمَسْجِدِ، فَشَقَّ عَلَيْهِ حَتَّى عَرَفْنَا ذَاكَ فِي وَجْهِهِ فَحَكَّهُ، وَقَالَ: " إِنَّ أَحَدَكُمْ أَوِ الْمَرْءَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ، فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ - أَوْ رَبُّهُ - بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ ، فَلْيَبْزُقْ إِذَا بزق عنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ " وَأَوْمَأَ هَكَذَا كَأَنَّهُ فِي ثَوْبِهِ، قَالَ: وَكُنَّا نَقُولُ لِحُمَيْدٍ فَيَقُولُ: " سُبْحَانَ اللهِ مَنْ هُوَ يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ، وَلَا يَزِيدُنَا عَلَيْهِ "[1] ، وفي رواية حتى رؤى في وجهه ، ورواية للنسائي "فغضب حتى أحمر وجهه ، والنبي ﷺ لما رأى النخامة في القبلة صعب عليه هذا الأمر، وظهر هذا على وجهه وهو كاف لدلالة على نهيه عن هذا الأمر ولكنه بين علة النهي عن التفل أو البصاق ناحية القبلة ؛لأن المسلم يناجي ربه تجاه القبلة كما أنه أرشد السامع إلى الأفضل وهو التفل عن اليسار تحت القدم ،أو التفل في طرف الرداء ، وهذا أسلوب بياني جميل من النبي ﷺ يؤيد القاعدة التي تقول لا يتأخر البيان عن وقت الحاجة . كما أن النبي ﷺ استخدم الأسلوب العملي في البيان بأخذه طرف ردائه وبصقه فيه ورده بعضه على بعض ، ولا شك أن الأسلوب العملي أمام المتعلم يراه بعينيه أقوى في توصيل المعلومة من غيره .

---

[1]- أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ، باب حك البزاق باليد من المسجد ١/٩٠ح٤٠٥ ،ومسلم في كتاب الصلاة ، باب النهي عن البزاق في المسجد في الصلاة وغيرها ١/٣٨٨ح٥٤٧ .

المطلب الرابع

﴿ تغيير الحالة ،أو الهيئة ﴾

من البيان النبوي التعليمي تغيير حالة وهيئة النبي ﷺ كأن يكون متكئاً فيجلس اهتماماً بما يقال بعد تغير الحالة مثال ذلك حديث أبي بكرة، قَالَ: : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: " أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ فَقَالَ: " الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ "، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، وَقَالَ: " وَشَهَادَةُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ "، أَوْ " قَوْلُ الزُّورِ ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ "، فَمَا زَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ "[1].

فتغير النبي ﷺ لهيئته فيه إيحاء للجالس وللسامع كذلك أن ما يقال بعد هذا أمر هام وهذا أسلوب تعليمي حكيم يظهر فيه تفاعل العالم مع المتعلم " كما أنه ينبغي على المدرس أن يستخدم المؤثرات الصوتية ،والحركية ،والانفعالية لتوصيل المعلومة للطلاب ،وربما كان هذا أبلغ من الكلمة أحياناً ،والنبي ﷺ جلس عند ذكر شهادة الزور ،و الزور أصله تحسين الشئ ووصفه بخلاف صفته حتى يخيل إلى من سمعه أو رآه أنه بخلاف ما هو به ،فهو تمويه الباطل بما يوهم أنه حق ، وسمي زورا لميلانه عن جهة الحق.

قوله "وكان متكئاً فجلس " أي للاهتمام بهذا الأمر وهو يفيدنا تأكيد تحريمه وعظم قبحه ،وإن الحوامل عليه كثيرة كالعداوة ،وغيرها فاحتيج إلى الاهتمام بتعظيمها ،وليس ذلك لعظمها بالنسبة إلى ما ذكر معها وهو الإشراك قطعا ، وذكره بعد الإشراك بالله ، وكرر ذكره لأنه أسهل وقوعا على الناس والتهاون بها أكثر فبمفسدتها أيسر ،وأكثر وقوعا ألا ترى أن المذكور معها هو الإشراك بالله؟ ولا يقع فيه المسلم فاحتيج إلى الاهتمام بتعظيمه ،والشرك مفسدته قاصرة ،ومفسدة الزور متعدية ، قوله " ألا وقول الزور" وفي رواية خالد عن الجريري : ألا وقول الزور وشهادة الزور وفي رواية ابن علية شهادة الزور أو قول الزور وقول الزور أعم من أن يكون شهادة زور أو غير شهادة كالكذب "قول الزور وشهادة الزور" ينبغي أن يحمل قوله الزور على شهادة الزور فإنا لو حملناها على الإطلاق لزم أن تكون الكذبة الواحدة مطلقا كبيرة وليس كذلك .

---

[1]- أخرجه البخاري في كتاب الشهادات ،باب ما قيل في شهادة الزور ٣/١٧١ح٢٦٥٣ ،ومسلم في كتاب الإيمان ،باب بيان الكبائر وأكبرها ١/٩١ح٨٨ .

قوله " حتى قلنا ليته سكت " أي شفقة وكراهية لما يزعجه ، وفيه ما كانوا عليه من كثرة الأدب معه ﷺ والمحبة له والشفقة عليه [1]

ربما يقع التلميح في موقع التصريح و يؤدى وظيفته في الدلالة على المطلوب وربما يدل على زيادة على المطلوب فربما يدل التصريح بالرضاء عن الشئ أما التلميح بالضحك والتبسم يدل عليه وزيادة وهي الفرح والسرور بما قاله القائل ولقد استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب في حديث عَبْدِ اللهِ: أَنَّ يَهُودِيًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرَضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْجِبَالَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْخَلَائِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ. " فَضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَقَالَ: ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [2] " قَالَ يَحْيَى: وَقَالَ فُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: " تَعَجُّبًا وَتَصْدِيقًا لَهُ " "[3] قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : وأما ضحكه صلى الله عليه و سلم من قول الحبر فيحتمل الرضا ،والإنكار ،وأما قول الراوي تصديقا له فظن منه ،وحسبان وقد جاء الحديث من عدة طرق ليس فيها هذه الزيادة وعلى تقدير صحتها فقد يستدل بحمرة الوجه على الخجل وبصفرته على الوجل ويكون الأمر بخلاف ذلك فقد تكون الحمرة لأمر حدث في البدن كثوران الدم ،والصفرة لثوران خلط من مرار وغيره وعلى تقدير أن يكون ذلك محفوظا فهو محمول على تأويل قوله تعالى والسموات مطويات بيمينه أي قدرته على طيها وسهولة الأمر عليه في جمعها بمنزلة من جمع شيئا في كفه ،واستقل بحمله من غير أن يجمع كفه عليه بل يقله ببعض أصابعه وقد جرى في أمثالهم فلان يقل كذا بأصبعه ويعمله بخنصره انتهى ملخصا [4]

---

[1]- ينظر إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام - (١ / ٤٦٩) ، الديباج على مسلم - (١ / ١٠٣ - ١٠٤) ، تحفة الأحوذي - (٦ / ٤٨٠ -٤٨١) ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري - (٢٠ / ٢٧٨)

[2]- سورة الزمر آية رقم ٦٧ .

[3]- أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن ، باب قوله " وما قدروا الله حق قدره ٦/١٢٦ح٤٨١١ ، ومسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ٤/٢١٤٧ح٢٧٨٦

[4]- فتح الباري ١٣/٣٩٨ .

وقال قال القرطبي: ضحك النبي ﷺ إنما هو للتعجب من جهل اليهودي ولهذا قرأ عند ذلك وما قدروا الله حق قدره أي ما عرفوه حق معرفته ولا عظموه حق تعظيمه" [1] فهذه الرواية هي الصحيحة المحققة وإما من زاد وتصديقا له فليست بشيء فإنها من قول الراوي وهي باطلة لأن النبي ﷺ لا يصدق المحال وهذه الأوصاف في حق الله محال إذ لو كان ذا يد وأصابع وجوارح كان كواحد منا فكان يجب له من الافتقار والحدوث والنقص والعجز ما يجب لنا ولو كان كذلك لاستحال أن يكون إلها إذ لو جازت الإلهية لمن هذه صفته لصحت للدجال وهو محال فالمفضي إليه كذب فقول اليهودي كذب ومحال ولذلك أنزل الله في الرد عليه وما قدروا الله حق قدره وإنما تعجب النبي ﷺ من جهله فظن الراوي أن ذلك التعجب تصديق وليس كذلك فان قيل قد صح حديث إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن فالجواب انه إذا جاءنا مثل هذا في الكلام الصادق تأولناه أو توقفنا فيه إلى أن يتبين وجهه مع القطع باستحالة ظاهره "[2]

قال النووي :ظاهر هذا الحديث أنه ﷺ صدق الحبر في قوله إن الله يقبض السماوات والأرض والمخلوقات بالأصابع ثم قرأ الآية التي فيها الإشارة إلى نحو ما يقول ،وقال بعض المتكلمين ليس ضحكه ،وتعجبه وتلاوته الآية تصديقا للحبر بل هو رد لقوله وإنكار ،وتعجب من سوء اعتقاده فإن مذهب اليهود التجسيم ففهم منه ذلك وقوله تصديقا له إنما هو من كلام الراوي على ما فهم قال والأول أظهر.[3]

وقال ابن فورك: وإنما ظهر منه الضحك المخيل للرضا مرة ،وللتعجب والإنكار أخرى وقول من قال إنما ظهر منه الضحك تصديقا للحبر ظن منه والاستدلال في مثل هذا الأمر الجليل غير جائز ولو صح الخبر لا بد من التأويل بنوع من المجاز ،والسلف الصحابة كانوا أعلم بما رووه وقالوا :إنه ضحك تصديقا له وثبت في السنة الصحيحة ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن .[4]

---

[1]- عمدة القاري شرح صحيح البخاري - (٣٦ / ٥٩) .

[2]- فتح الباري ٣٩٨/١٣ .

[3]- الديباج على صحيح مسلم ١٤٧/٦ .

[4]- ينظر عمدة القاري ١٢٦/٢٨ .

وقال الكرماني : الأمة في مثل تلك الأحاديث السابقة طائفتان مفوضة ،ومؤولة واقفون على قوله تعالى " ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [1]

وقال القاضي : في هذا الحديث وما بعده الله أعلم بمراد نبيه ﷺ فيما ورد في هذه الأحاديث من مشكل ونحن نؤمن بالله وصفاته ولا نشبه شيئا به ،ولا نشبهه بشئ ليس كمثله شئ وهو السميع البصير الشورى أنه وما قاله رسول الله ﷺ وثبت عنه فهو حق وصدق فما أدركنا علمه فبفضل الله وما خفي عنا آمنا به ووكلنا علمه إليه سبحانه وتعالى. [2]

---

[1]- سورة آل عمران آية رقم ٧ .

[2]- ينظر الديباج على مسلم - (٦ / ١٤٧ - ١٤٨) ، فتح الباري - ابن حجر - (١٣ / ٣٩٨) ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري - (٢٨ / ١٧٦ ١٧٧) .

المطلب الخامس

﴿ تكرار بعض الجمل ،ووضوح الكلام ﴾

والنبي ﷺ إذ يكرر بعض الجمل يقصد بهذا بيان أهمية ما كرر كما أنه يقصد أن يسمع هذه الجملة جميع الصحابة وتتأكد عندهم ،ولذلك لا يكرر النبي ﷺ كل الجمل إنما يكرر لحكمة يقتضيها الموقف مثل صعوبة المعنى ،أو غرابته ،أو كثرة المستمعين خاصة ، قال الخطابي : إعادة الكلام ثلاثا إما لأن من الحاضرين من يقصر فهمه عن وعيه فيكرره ليفهم ،وإما أن يكون القول فيه بعض الإشكال فيتظاهر بالبيان ،وقال أبو الزناد : أو أراد الإبلاغ في التعليم والزجر في الموعظة [1] و كان يعتمد على صوته في تبليغ ما يريد ، فعنْ أَنَسٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا سَلَّمَ سَلَّمَ ثَلَاثًا ،وَإِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا"وفي رواية الترمذي بلفظ " كان رسول الله ﷺ يعيد الكلمة ثلاثاً لتعقل عنه "[2] قوله لتعقل عنه : أي ليتدبرها من سمعها ويرسخ معناها في ذهنه .قوله : "يعيد الكلمة ثلاثاً " أي يتكلم بها ثلاثاً لأن الإعادة كانت ثنتين ،والتكلم كان ثلاثا ،ولا يصح أن يكون معمولا ليعيد ؛ لأن الإعادة لو كانت ثلاثا لكان التكلم أربعا وليس كذلك ،والمراد أنه كان يكرر الكلام ثلاثا إذا اقتضى المقام ذلك لصعوبة المعنى أو غرابته أو كثرة السامعين لا دائما فإن تكرير الكلام من غير حاجة لتكريره ليس من البلاغة كذا في شرح الشمائل للبيجوري ،والوجه فيه أن يقال معناه كان عليه الصلاة والسلام إذا أتى على قوم سلم عليهم تسليمة الاستئذان ،وإذا دخل سلم تسليمة التحية ،ثم إذا قام من المجلس سلم تسليمة الوداع ،وهذه التسليمات كلها مسنونة ،وكان النبي ﷺ يواظب عليها ولا يزيد عليها في هذه السنة على الأقسام وقال الكرماني : حرف " إذا "لا يقتضي تكرار الفعل إنما المقتضى له من الحروف "كلما "فقط نعم التركيب مفيد للاستمرار ثم ما قال هو أمر نادر لم يذكر في غيره ممنوع ،وكيف وقد صح حديث "إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن

---

[1]- عمدة القاري شرح صحيح البخاري - (٣ / ١٧٥) ، فتح الباري ٢٦٣/٥ ، عون المعبود ٦٢/١٠

[2]- أخرجه البخاري في كتاب العلم ، بَاب مَنْ أَعَادَ الْحَدِيثَ ثَلَاثًا لِيُفْهَمَ عَنْهُ فَقَالَ أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ بَلَّغْتُ ثَلَاثًا ١/٣٠ح ٩٤ ، الترمذي في كتاب المناقب ،باب في كلام النبي ﷺ وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب إنما نعرفه من حديث عبد الله بن المثنى قال الشيخ الألباني : حسن صحيح /٦٠٠ح ٣٦٤٠

له فليرجع"[1] قلت نعم إذا لا يقتضي تكرار الفعل ،ولكن من اقتضائه الثبات والدوام ،ويصدق عليه التكرار وقوله إذا استأذن أحدكم ثلاثا أعم من أن يكون بالسلام وغيره ،وقال ابن بطال : وفيه أن الثلاث غاية ما يقع به البيان والأعذار قلت:اختلف فيما إذا ظن أنه لم يسمع هل يزيد على الثلاث فقيل لا يزيد أخذا بظاهر الحديث ،وقيل يزيد ،والسنة أن يسلم ثلاثا فيقول السلام عليكم أدخل .[2]

ومن الأحاديث التي كرر فيها النبي ﷺ قصة قَالَ: سَمِعْتُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، يُحَدِّثُ قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ، قَالَ: فَصَبَّحْنَاهُمْ فَقَاتَلْنَاهُمْ، فَكَانَ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِذَا أَقْبَلَ الْقَوْمُ كَانَ مِنْ أَشَدِّهِمْ عَلَيْنَا، وَإِذَا أَدْبَرُوا كَانَ حَامِيَتَهُمْ، قَالَ: فَغَشِيتُهُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَلَمَّا غَشِيناهُ، قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَكَفَّ عَنْهُ الْأَنْصَارِيُّ وَقَتَلْتُهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: " يَا أُسَامَةُ، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ؟ " قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّمَا كَانَ مُتَعَوِّذًا مِنَ الْقَتْلِ . فكرَّرَهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ إِلَّا يَوْمَئِذٍ "[3] . قال القرطبي : في تكريره ذلك والإعراض عن قبول العذر زجر شديد عن الإقدام على مثل ذلك .[4]

ومنه حديث أَبِي بَكْرَةَ، قَالَ: : كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: " أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكَبَائِرِ فَقَالَ: " الْإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ "، وَكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، وَقَالَ: " وَشَهَادَةُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ "، أَوْ " قَوْلُ الزُّورِ ، وَشَهَادَةُ الزُّورِ "، فَمَا زَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ "[5] كرر النبي ﷺ جملة "ألا قول الزور" ليبين قبح فاعله وعظيم ذنب مقترفه ،وتكريره دون الأشياء السابقة يدل على أنه ذنب عظيم ، وهو كذلك لأن قول الزور ترتب عليه شر كثير ،وهو ضياع الحقوق وإلصاق التهم ظلماً

---

[1]- أخرجه البخاري في: ٧٩ كتاب الاستئذان: ١٣ باب التسليم والاستئذان ثلاثًا (٨ / ٥٤ ح ٦٢٤٥) ، ومسلم في كتاب الآداب ،باب الاستئذان – (٣ / ١٦٩٤ ح ٢١٥٣)

[2]- ينظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري – (٣ / ١٧٩) ، التيسير بشرح الجامع الصغير ــ للمناوى – (٢ / ٥٤٥) ، تحفة الأحوذي – (١٠ / ٨٦)

[3]- أخرجه البخاري في كتاب الديات ، باب قول الله تعالى{" وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا} ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال : لا إله إلا الله ١/٩٧ح٩٦ .

[4]- ينظر فتح الباري ١٢/١٩٥ .

[5]- أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه ١/٣٠ح٩٤ .

وعدواناً كما أنه ترتب عليه الخوض في الأعراض وقتل النفوس ، وعقوق الوالدين، وكل شر منبعه من الكذب وقول الزور.

ويكرر النبي ﷺ الكلام زيادة في إفهام الحاضرين ،وترسيخا للفكرة في عقولهم ،وبيانا لأهميتها ،أو لأهمية ما يقال بعد الجملة المكررة ، ولإيجاد ألفة بين المتكلم ،والمستمع كما فعل مع معاذ في حديث أَنَسِ بْنِ مالك أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَمُعاذٌ رَدِيفُهُ [1] عَلى الرَّحْلِ، قَالَ: يا مُعاذُ بْنَ جَبَلٍ قَالَ: لَبَّيْكَ يا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: يا مُعاذُ قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ ثَلاثًا، قَالَ: ما مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلاَّ حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ قَالَ: يا رَسُولَ اللهِ أَفَلا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِروا قَالَ: إِذًا يَتَّكِلُوا وَأَخْبَرَ بِها مُعاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّما " [2] ولقد كرر النبي ﷺ النداء ثلاث مرات على معاذ استدعاء لانتباه معاذ رضي الله عنه وليدلك على أهمية ما يذكره بعد هذا النداء .

وينبغي على المعلمين أن يقتدوا بالرسول ﷺ في تكرار بعض الجمل التي تحتاج إلى تأكيد ، وبيان لأهميتها ، ولمد جسور الود بين المعلم وتلاميذه ، ويقتدون به في طريقه الكلام فبعض المعلمين يسرعون بالكلام فلا يستطيع الطالب تحصيله ،وفهمه ولا يتصيده الذهن ، وبعضهم يبطئ بالكلام مما يورث السآمة ويبعث على النوم ،والاسترخاء . فالطريقة المثلى أن يكون الكلام واضحاً وسطاً بين الإسراع والإبطاء .

ووضوح الكلام عامل هام في فهمه ومعرفة مراد المتكلم ، ولقد كان النبي ﷺ يتكلم كلاماً بيناً واضحاً يعرفه كل من سمعه لذلك ،فقد ورد في حديث عَائِشَةَ قَالَتْ : كَانَ

---

[1]- رديفة : هو الذي يركب خلف الراكب والمراد أنه كان راكبا خلف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهما على بعير واحد وهو الظاهر أو على بعيرين لكن أحدهما يتلو الآخر (ينظر حاشية السندي على النسائي (٢/ ٣٩) .

[2]- أخرجه البخاري في كتاب العلم: ،باب من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية أن لايفهموا (١ / ٣٧ ح ١٢٨) ، ومسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ١/٦١ح٣٢ .

رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- لاَ يَسْرُدُ الْكَلاَمَ كَسَرْدِكُمْ هَذَا كَانَ كَلاَمُهُ فَصْلاً بَيِّنًا يَحْفَظُهُ كُلُّ مَنْ سَمِعَهُ. "(١) .

قال الطيبي : يقال فلان سرد الحديث إذا تابع الحديث بالحديث استعجالا ،وسرد الصوم توالیه يعني لم يكن حديث النبي متتابعا بحيث يأتي بعضه إثر بعض ،فيلتبس على المستمع بل كان يفصل كلامه ،وهذا من جمال البيان النبوي ، وكلام النبي ﷺ ليس بالسريع المخل ،ولا بالبطئ الممل ولكنه وسطاً بين هذا ،وذاك .

فالرسول ﷺ لم يكن يتكلم كلاماً على الولاء ،والاستعجال حتى تتداخل كلماته ،وتتداخل حروفه ،ولكن كلامه كان بيناً واضحاً فصلا يحفظه كل من سمعه لكونه مأمورا بالبلاغ المبين كما بينته بقولها كان يحدث حديثا لوعده العاد أي لو أراد عده مريد العد لأحصاه أي لعده ،واستقصاه وفي وضع أحصاه موضع عده مبالغة لا تخفي فإن أصل الإحصاء هو العد بالحصى ،ولا شك في حصول المهلة عند عده من رفعه وحطه كما ورد في حديث عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيثًا، لَوْعَدَّهُ الْعَادُّ لأَحْصَاهُ (٢)(٣)

١- أخرجه البخاري في المناقب ، باب خاتم النبوة ٤/١٩٠ح٣٥٦٨ ،ومسلم في فضائل الصحابة ، باب فضائل أبي هريرة الدوس رضي الله عنه ٤/١٩٤٠ح٢٤٩٣ .

٢- أخرجه البخاري في كتاب المناقب ،باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم (٤ / ١٩٠ ح ٣٥٦٧ ، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق ، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم) (٤ / ٢٢٩٨ ح ٢٤٩٣)

٣- ينظر مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - (١٦ / ٤٨٤) .

المطلب السادس

﴿ عدم التكلف في الكلام ﴾

من أهم الصفات التي يجب أن يتصف بها المعلم عدم التكلف في الكلام فيأتي واضحاً سهلاً بعيداً التشدق بالألفاظ ، والمتشدق هو المتكلف في الكلام فيلوى به شدقيه ،والشدق جانب الفم ، كما أن من التشدق الإتيان بغرائب الكلام ،والمبالغة في إخراج الحروف من مخارجها ،والتشدق مرفوض عقلاً وشرعاً ؛لأنه يحيل بالكلام من الغاية المرادة منه وهي استفادة المستمع إلى مجرد زخرفة الكلام بالمحسنات البديعية ، والمبالغة في السجع ، وغير ذلك ، وقد نهى النبي ﷺ عن التشدق كما في حديث أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ مَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ مَسَاوِئُكُمْ أَخْلَاقًا، الثَّرْثَارُونَ [1] ، الْمُتَفَيْهِقُونَ [2] الْمُتَشَدِّقُونَ [3]" [4] .

فالمتشدقون ،والمتعالون على الناس ،والمكثرون للكلام أبعد الناس منزلاً من الله يوم القيامة ،وأبغض الناس إليه لأنهم متكلفون ليسوا على طبيعتهم التي خلقهم الله عليها ، ولقد شبه الرسول ﷺ المتشدق المتكلف بالكلام بالبقرة التي تتناول العشب بلسانها ،وتتلوكه وذلك في حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ- أَنَّهُ قَالَ: " إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ

---

[1]- الثَّرثارُون: يعني الذين يكثرون الكَلاَمَ تَكلُّفاً وخُرُوجاً عن الحَقّ(غريب الحديث لابن الجوزي- (١٢٠/)

[2]- المُتَفَيْهِقُون : هم الذين يتوسَّعون في الكلام ،ويَفْتَحون به أفواههم مأخوذ من الفَهْق وهو الامتلاء والاتِّساع . يقال : أفْهَقْتُ الإناءَ فَفَهِق يَفْهَق فَهْقا ومنه الحديث [أنّ رجُلا يُدْنَى من الجنة فَتنفَهِقُ له] أي تَتَفتح وتَتَّسع (ينظر غريب الحديث لابن الجوزي - (٢ / ٢١٢) ، النهاية في غريب الأثر - (٣ / ٩٥٠)

[3]- المُتَشدّقون : فهم المُتَوَسّعون في الكلام من غير احتياط واحتراز . وقيل : أرادَ بالمُتَشدّق : المُستَهزِئ بالناس يَلْوى شِدْقَهُ بهم وعليهم. (ينظر النهاية في غريب الأثر - (٢ / ١١٢١) .

[4]- أخرجه الترمذي في كتاب الأدب ، باب ما جاء في معالي الأخلاق ، وقال أبو عيسى : هذا حديث غريب من هذا الوجه قال الشيخ الألباني : حديث صحيح ٤/٣٧٠ح٢٠١٨ ، وأحمد ١٤/٤١٨ح٨٨٢٢

يُبْغِضُ الْبَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ، الَّذِي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ، كَمَا تَخَلَّلَ الْبَاقِرَةُ بِلِسَانِهَا " [1]" فالذي يتكلف في كلامه بالإتيان بالمحسنات البديعية الزائدة ،ويتكلف السجع دون مبرر ، والإتيان بالتشبيهات دون حاجة فهذا هو المتشدق الذي شبه النبي ﷺ بالبقرة ، وشبه بالبقرة دون غيرها من الحيوانات ؛لأن جميع البهائم تأخذ النبات بأسنانها والبقرة تجمع العشب بلسانها.

ينكر على الإنسان الخطيب أو المعلم أو غيرهما أن يكون كل كلامه كله أو أكثره سجعاً متكلفاً ، أما إذا كان السجع أقل كلامه فليس بمعيب بل هو مستحسن محمود ، وقد روى عن عَنْ جُنْدُب [2] قَالَ: أصاب إِصْبَعَ النَّبِيِّ ﷺ شَيْءٌ، وَقَالَ ابْنُ جَعْفَرٍ: حَجَرٌ، فَدَمِيَتْ، فَقَالَ: " هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيت ،وَفِي سَبِيلِ اللهِ مَا لَقِيتِ " "[3] .وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ يَوْمَ حُنَيْنٍ: " أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ "[4] .وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: سَمِعْتُ رسول اللهِ ﷺ يَقُولُ: وَهُوَ يُنَاوِلُ أَصْحَابَهُ وَهُمْ يَبْنُونَ

---

[1]- أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب مَا جاء في الْمُتَشَدِّقِ في الْكَلَامِ ، و قال الشيخ الألباني: حديث صحيح (٤ / ٤٥٩ح ٥٠٠٧) ، والترمذي في كتاب باب ٧٢ ما جاء في الفصاحة والبيان قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه وفي الباب عن سعد قال الشيخ الألباني : صحيح (٥ / ١٤١ ح ٢٨٥٣) ، وأحمد (١١ / ١٠١ ح ٦٥٤٣) ، وقال محققا الكتاب : إسناده حسن، عاصم بن سفيان: روى عن جمع، وروى عنه جمع، وذكره ابنُ حبان في "الثقات"، وحديثه عند أصحاب السنن، وبقية رجاله ثقات.يزيد: هو ابن هارون، نافع بن عمر: هو الجمحي المكي، بشر بن عاصم بن سفيان: هو الثقفي الطائفي.

[2]- جندب: هو جندب بن عبد الله بن سفيان، بَجَلي، ويقال: جندب بن سفيان بنسبته إلى الجد يكنى أبا عبد الله وقال البغوي يقال له جندب الخير وجندب الفاروق وجندب بن أم جندب ، سكن الكوفة، ثم البصرة، روى عنه من أهل البصرة : الحسن ومحمد وأنس ابنا سيرين وأبو السوار العدوي وبكر بن عبد الله ويونس بن جبير الباهلي وصفوان بن محرز وأبو عمران الجوني . وروى عنه من أهل الكوفة عبد الملك بن عمير والأسود بن قيس وسلمة بن كهيل وله رواية عن أبي بن كعب وحذيفة (ينظر أسد الغابة – (١ / ١٩٢) ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب – (١ / ٧٦) ، الإصابة في تمييز الصحابة – (١ / ٥٠٩) .

[3]- أخرجه البخاري في كتاب فضل الجهاد والسير، باب ما ينكب في سبيل الله ٤/١٨ح٢٨٠١ ،ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ٣/١٤١٨ح١٧٩٦ .

[4]- أخرجه البخاري في كتاب فضل الجهاد والسير ،باب جعله النبي ﷺ البيضاء ٤/٣٢ح٢٨٧٣ ،ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين ٣/١٤٠١ ح١٧٧٦ .

الْمَسْجِدَ: " أَلَا إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الآخرة، فَاغْفِرْ لِلْأَنْصار، والمهاجرة "[1] ، و عَنْ أَنَس بْنِ مَالِك، قَالَ: كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلَّمَ: " اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ، وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعِ "[2]"، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّه - ﷺ- يَقُولُ « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ؛ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ[3]، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ ؛فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ [4]»"[5] .وكل هذا دليل بأن حسن السجع حسن ،وقبيحة قبيح كسائر الكلام المنظوم والمنثور"[6] والمنهي عن من السجع في الدعاء هو المتكلف الذي يذهب الخشوع ،والخضوع .

لا شك أن الكلام المنظوم ،والمنثور تهويه النفوس ويقرع الأذان فيستميلها وهو أخصر في العبارة أوسع في الدلالة على المعاني ، لكن شأنه شأن كل شئ إذا زاد على حده انقلب إلى ضده ،وهو كالملح في الطعام يوضع فيه بقدر وإلا فسد الطعام ،قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : والذي يظهر لي أن الذي جاء من السجع عن رسول الله

---

[1]- أخرجه البخاري في كتاب فضل الجهاد والسير، باب البيعة في الحرب ٤/٥٠ح ٢٩٦١ ،ومسلم في كتاب الجهاد والسير ،باب غزوة الأحزاب وهي الخندق ٣/١٤٣١ح١١٨٠٥ .

[2]- أخرجه بهذا اللفظ النسائي في كتاب الاستعاذة ،باب الاستعاذة من الشقاق و النفاق وسوء الأخلاق ، وقال الشيخ الألباني : حديث صحيح ٨/٢٦٣ح٥٤٧٠ وأخرجه مسلم وليس فيه وأعوذ بك من شر هذه الأربع في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ٤/٢٠٨٨ح٢٧٢٢ .

[3]- قوله " فإنه بئس الضجيع" : أي بئس المضاجع ،لأنه يمنع راحة البدن ويحلل المواد المحمودة بلا بدل ويشوش الدماغ ويورث الوسواس (ينظر التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى - (١ / ٤٣١) .

[4]- قوله " فإنها بئست البطانة " أي بئس الشيء الذي يستبطنه من أمره ويجعله بطانة (ينظر التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى - (١ / ٤٣١) .

[5]- أخرجه أبو داود في كتاب الوتر ، باب في الاستعاذة ،. وقال الشيخ الألباني : حديث حسن ١/٥٦٧ح١٥٤٩ والنسائي في كتاب الاستعاذة ،باب الأستعاذة من الجوع ، وقال الشيخ الألباني : حديث حسن صحيح ٨/٢٦٣ح٥٤٦٨ ، وابن ماجه في كتاب الأطعمة ،باب التعوذ من الجوع ٢/١١١٣ح٢٣٥٤.

[6]- ينظر التمهيد ٦/٤٩٠، ٤٩١ – شرح النووي على مسلم ١٧/٤١ .

ﷺ لم يكن بقصد السجع ،وإنما جاء اتفاقاً لعظم بلاغته ، وأما من بعده فقد يكون كذلك وقد يكون عن قصد وهو الغالب ومراتبهم في ذلك متفاوتة جداً [1].

ولقد استخدم النبي ﷺ السجع غير المتكلف مع أخي أنس بن مالك رضي الله عنه وذلك في حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ سُلَيْمٍ وَلَهَا ابْنٌ مِنْ أَبِي طَلْحَةَ يُكْنَى أَبَا عُمَيْرٍ، وَكَانَ يُمَازِحُهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَرَآهُ حَزِينًا، فَقَالَ: " مَالِي أَرَى أَبَا عُمَيْرٍ حَزِينًا ؟ " فَقَالُوا: مَاتَ نُغَرُهُ الَّذِي كَانَ يَلْعَبُ بِهِ، قَالَ: فَجَعَلَ يَقُولُ: " أَبَا عُمَيْرٍ [2]، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ " [3] .[4]

استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب مع الطفل لأنه فيه ملاطفة للطفل بأسلوب شيق يسعد به الطفل ،لأنه له جرس في أذن الطفل .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :والدعابة بضم الدال وتخفيف العين المهملتين وبعد الألف موحدة هي الملاطفة في القول بالمزاح وغيره وقد أخرج الترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة قال : قالوا يا رسول الله إنك تداعبنا قال أني لا أقول إلا حقا "[5]

---

[1]- ينظر تحفة الأحوذى ٤/٥٥٥ .

[2]- أبو عمير بن أبى طلحة زيد بن سهل ، أخو أنس بن مالك لأمه توفي صغيراً في حياة رسول الله ﷺ (ينظر أسد الغابة ١/١٢٢٣ الاستيعاب ٢/٥٣)

[3]- النُغير : بضم النون تصغير النغر بضمها وفتح الغين المعجمة وهو طائر صغير جمعه نغران ، وهو يشبه العصفور أحمد المنقار ، وقيل هو العصفور وصغير المنقار أحمر الرأس وقيل أهل المدينة يسمونه البلبل (ينظر الفائق في غريب الحديث والأثر ٤/٨ – النهاية في غريب الأثر ٥/١٩٠) .

[4]- أخرجه البخاري في كتاب الأدب باب الانبساط إلى الناس ٨/٣٠،٦١٢٩ ،ومسلم في كتاب الآداب ،باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى الصالح يحنكه وتسميته يوم ولادته واستحباب التسمية بعبد الله وإبراهيم وسائر أسماء الأنبياء عليهم السلام (٣ / ١٦٩٢ ح ٢١٥٠) .

[5]- أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ، باب ٥٧ ما جاء في المزاح قال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح قال الشيخ الألباني : صحيح (٤ / ٣٥٧ ح ١٩٩٠) ، وأحمد ، قال محققا الكتاب : إسناده حسن، إبراهيم بن إسحاق -وهو الطالقاني- روى له أبو داود والترمذي وهو قوي الحديث، أسامة بن زيد -وهو الليثي- حسن الحديث، استشهد به البخاري، وروى له الباقون. ابن المبارك: هو عبد الله. (١٤ / ٣٣٩ ح ٨٧٢٣) .

وأخرج من حديث بن عباس رفعه : لا تمار أخاك ولا تمازحه" [1] الحديث ، والجمع بينهما :-

أن المنهي عنه ما فيه إفراط ،أو مداومة عليه لما فيه من الشغل عن ذكر الله ،والتفكر في مهمات الدين ويئول كثيرا إلى قسوة القلب ،والإيذاء والحقد وسقوط المهابة ،والوقار ،والذي يسلم من ذلك هو المباح فإن صادف مصلحة مثل تطييب نفس المخاطب ومؤانسته فهو مستحب قال الغزالي من الغلط أن يتخذ المزاح حرفة ويتمسك بأنه صلى الله عليه و سلم مزح فهو كمن يدور مع الريح حيث دار وينظر رقصهم ويتمسك بأنه صلى الله عليه و سلم أذن لعائشة أن تنظر إليهم وذكر فيه حديث أنس في قصة النغير [2]

ويوصي عبد الله بن عباس رضي الله عنهما تلميذه عكرمة بعدم تكلف السجع في الدعاء فيقول كما ورد في حديث عكرمة : أن ابن عباس – ﷺ – قال : «حَدِّث الناسَ مَرَّة في الجمعة ، فَإن أَبَيْتَ فمرتين فإن أكثرتَ فثلاثا ، ولا تُملَّ الناسَ هذا القرآنَ ، ولا أُلفِيَنَّكَ تأتي القوم وهم في حديث من حديثهم ، فتقُصَّ عليهم ، فتقطع عليهم حديثهم ، فَتُمِلَّهم ، ولكن أنصتْ ، فَإذا أمَرُوكَ فَحَدِّثْهُم ، وهم يشتهونه ، وانظر السَّجْعَ من الدعاء فاجْتَنِبْه ، فإني عهدتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم– وأصحابَه لا يفعلون ذلك»..[3]

قوله وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه أي لا تقصد إليه ولا تشغل فكرك به لما فيه من التكلف المانع للخشوع المطلوب في الدعاء ، والسجع المنهي عنه هو: سجع الكهان ،والمتشدقين ،المتكلفين في محاوراتهم ، لا الذي يقع في فصيح الكلام بلا كلفة ، فإن الفواصل القرآنية واردة على هذا، ونهي عن السجع لأن طلب السجع فيه تكلف ومشقة ، وذلك مانع من الخشوع وإخلاص التضرع لله تعالى وقد جاء في الحديث : (ادعوا الله

---

[1]– أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة ،باب ٥٨ ما جاء في المراء قال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه و عبد الملك عندي هو ابن بشير قال الشيخ الألباني : ضعيف (٤ / ٣٥٩ ح ١٩٩٥) .

[2]– ينظر فتح الباري – ابن حجر – (١٠ / ٥٢٧) .

[3]– أخرجه البخاري في كتاب الدعوات ، بَاب مَا يُكْرَهُ مِنْ السَّجْعِ فِي الدُّعَاءِ (٨ / ٧٤ ح ٦٣٣٧) .

تعالى وأنتم موقنون بالإجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه) [1].
وطالب السجع في دعائه همته في [تزويج] الكلام وسجعه ، ومن شغل فكره وكد خاطره بتكلفه ، فقلبه عن الخشوع غافل لاه لقول الله تعالى : (مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ) [2] . [3] ،قال ابن التين المراد بالنهي المستكره منه ،ولا يرد على ذلك ما وقع في الأحاديث الصحيحة لان ذلك كان يصدر من غير قصد إليه ،ولأجل هذا يجيء في غاية الانسجام كقوله صلى الله عليه و سلم في الجهاد حديث عبد الله أبي أوفي يَقُولُ: دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى الْأَحْزَابِ فَقَالَ: " اللهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، هَازِمَ الْأَحْزَابِ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ " [4] ،قال الغزالي : المكروه من السجع هو المتكلف لأنه لا يلائم الضراعة والذلة ،وإلا ففي الأدعية المأثورة كلمات متوازية لكنها غير متكلفة " ،وقال الأزهري : وإنما كرهه صلى الله عليه و سلم لمشاكلته كلام الكهنة " ، وقال الطيبي : فإن قلت كيف نهى عن السجع وأكثر الأدعية مسجعة ؟

أجيب : بأن المراد المعهود وهو السجع المذموم الذي كان الكهان والمتشدقون يتعاطونه ويتكلفونه في محاوراتهم لا الذي يقع في فصيح الكلام بلا كلفة فإن الفواصل التنزيلية واردة على هذا ويؤيده إنكاره عليه الصلاة والسلام بقوله أسجع كسجع الكهان كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَضَى فِي امْرَأَتَيْنِ مِنْ هُذَيْلٍ اقْتَتَلَتَا، فَرَمَتْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى بِحَجَرٍ، فَأَصَابَ بَطْنَهَا وَهِيَ حَامِلٌ، فَقَتَلَتْ وَلَدَهَا الَّذِي فِي بَطْنِهَا فَاخْتَصَمُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَضَى أَنَّ دِيَةَ مَا فِي بَطْنِهَا غُرَّةٌ: عَبْدٌ أَوْ أَمَةٌ؛ فَقَالَ وَلِيُّ الْمَرْأَةِ الَّتِي غَرِمَتْ:

---

[1]- أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات ، باب ٦٦ قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه سمعت عباسا العنبري يقول اكتبوا عن عبد الله بن معاوية الجمحي فإنه ثقة قال الشيخ الألباني : حديث حسن (٥ / ٥١٧ ح ٣٤٧٩) ، وأخرجه أحمد (١١ / ٢٣٥ ح ٦٦٥٥)قال الشيخ الألباني : (حديث حسن) (ينظر الجامع الصغير وزيادته - (١ / ٢٥) .

[2]- سورة الأحزاب آية رقم ٤ .

[3]- شرح صحيح البخارى ــ لابن بطال - (١٠ / ٩٧ - ٩٨) ، مشكاة المصابيح مع شرحه مرقاة المفاتيح - (١ / ٧٩٠) .

[4]- أخرجه البخاري في: ٥٦ كتاب الجهاد: ١٥٦ ،باب لا تمنوا لقاء العدو (٤ / ٦٣ ح ٣٠٢٤) ، ومسلم في كتاب الجهاد والسير ، باب كراهة تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء) (٣ / ١٣٦٢ ح ١٧٤٢) .

كَيْفَ أَغْرَمُ، يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ لاَ شَرِبَ وَلاَ أَكَلَ، وَلاَ نَطَقَ وَلاَ اسْتَهَلَّ، فَمِثْلُ ذَلِكَ بَطَلَ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّمَا هَذَا مِنْ إِخْوَانِ الْكُهَّانِ" [1] ومثل ذلك بطل المعنى تأمل السجع الذي ينافي إظهار الاستكانة والتضرع في الدعاء فاجتنبه فإنه أقرب إلى الاستجابة.[2]

المطلب السابع

﴿ مراعاة الفروق الفردية للمستمعين﴾

لقد استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب في عرضه بعض المعلومات في بعض المناسبات فعن حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: إِنَّ عَبْدًا خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا ،وَأُمَّهَاتِنَا فَعَجِبْنَا لَهُ وَقَالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ، يُخْبِرُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، وَهُوَ يَقُولُ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا ،وَأُمَّهَاتِنَا فَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ هُوَ أَعْلَمَنَا بِه ،وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِه ،وَمَالِه أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلاً مِنْ أُمَّتِي لاَتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، إِلاَّ خُلَّةَ الإِسْلاَمِ لا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ إِلاَّ خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ "[3] ، فالنبي ﷺ لم يصرح باسم هذا العبد الذي خير بين الدنيا ، وزخارفها ، وزهتها ، وجوار الله تعالى ، وفضله ، وجوده ، وترك هذا لأفهام الحاضرين طلبا لإعمالهم العقول ، فهم متفاوتوا الفهم ، فبعضهم سريع الاستيعاب مثل أبى بكر رضي الله عنه فقد عرف من هو المخير من أول وهلة ،ولذلك قال : فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا ،وَأُمَّهَاتِنَا ، ذلك لأن سيدنا أبا بكر رضي الله عنه كان في وصل دائم

---

[1]- أخرجه البخاري في: ٧٦ كتاب الطب: ٤٦ باب الكهانة (٧ / ١٣٥ ح ٥٧٥٨) ، ومسلم في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات ، باب صحة الإقرار بالقتل وتمكين ولي القتيل من القصاص واستحباب طلب العفو منه (٣ / ١٣٠٧ ح ١٦٨١) .

[2]- ينظر فتح الباري – ابن حجر – (١١ / ١٣٩) ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح – (٢ / ١٧٦ ،١٧٧) .

[3]- أخرجه البخاري في كتاب المناقب ، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة ٥/٥٧ح٣٩٠٤ ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم ، باب من فضائل أبى بكر رضي الله عنه ٤/١٨٥٤ح٢٣٨١ .

مع رسول الله ﷺ، وأبهمه النبي ﷺ لينظر فهم أهل المعرفة ونباهة أصحاب الذكاء ،والفهم.

وكان يراعى النبي ﷺ ظروف المتلقين ،وحالهم كما في حديث عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْجَدْرِ أَمِنَ الْبَيْتِ هُوَ قَالَ: نَعَمْ قُلْتُ: فَمَا لَهُمْ لَمْ يُدْخِلُوهُ فِي الْبَيْتِ قَالَ: إِنَّ قَوْمَكِ قَصَّرَتْ بِهِمِ النَّفَقَةُ قُلْتُ: فَمَا شَأْنُ بَابِهِ مُرْتَفِعًا قَالَ: فَعَلَ ذَلِكَ قَوْمُكِ لِيُدْخِلُوا مَنْ شَاءُوا وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاءُوا، وَلَوْلاَ أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ، فَأَخَافُ أَنْ تُنْكِرَ قُلُوبُهُمْ أَنْ أُدْخِلَ الْجَدْرَ فِي الْبَيْتِ، وَأَنْ أُلْصِقَ بَابَهُ بِالأَرْضِ "[1] .

فالرسول ﷺ راعى مستوى فهم الموجودين في عهده فلم يدخل الحجر في الكعبة ،ولم يجعل باب الكعبة مساويا للأرض خشية أن يقع بعضهم في الحرج ،أو يفهم الأمر على غير حقيقته فيقع في الإثم ، أو يكون ذريعة لمن يريد الوقيعة بين المسلمين ،أو يكون هذا الكلام فتنة لمن لم يفهمه ، ولذلك قال عبد الله بن مسعود ﷺ " ما أنت محدثاً قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة "[2] .

ويقول علي ﷺ" حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ "[3] فعلى المعلم مراعاة الفروق الفردية للطلاب فيحدثهم على قدر عقولهم ،وأفهامهم لا بأقل من مستوى عقولهم فلا ينتفعون بما يقال ،ولا بأكبر من مستوى عقولهم فيقعون في الفهم الخاطئ ، ويكون لبعضهم فتنة .

قال النووي رحمه الله : ينبغي أن يكون باذلاً وسعه في تفهيمهم ، وتقريب الفائدة إلى أذهانهم حريصاً على هدايتهم ، ويفهم كل واحد بحسب فهمه ،وحفظه فلا يعطيه مالا يحتمله ، ولا يقصر به عما يحتمله بلا مشقة ، ويخاطب كل واحد على قدر درجته ،وبحسب فهمه ،وهمته فيكتفي بالإشارة لمن يفهمها فهماً محققاً ، ويوضح العبارة

---

[1]- أخرجه البخاري في كتاب الحج ، باب فضل مكة وبنيانها ٢/١٢٦ح١٥٨٤ وفي كتاب التمني ، باب ما يجوز من قول الله وقوله تعالى " لو أن لى بكم قوة " ٩/٨٦ح٧٢٤٣ ، وفي كتاب العلم ، باب من ترك بعض الأخبار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه ١/٣٧ح١٢٦ ، ومسلم في كتاب الحج باب جدر الكعبة وبابها ٢/٩٧٣ح١٣٣٣ .

[2]- أخرجه مسلم في المقدمة ،باب النهي عن الحديث بكل ما سمع ١/١١ .

[3]- ذكره البخاري معلقاً في كتاب العلم ، باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا ١/٣٧ح١٢٧ .

لغيره ،ويكررها لمن لا يحفظها إلا بتكرار ،ويذكر الأحكام موضحة بالأمثلة من غير دليل لمن لا يتحفظ له الدليل فإن جهل دليل بعضها ذكره له[1].

ولقد راعى النبي ﷺ الفروق الفردية في أصحابه فكان أعلمهم بالحلال والحرام معاذ ، وأفرضهم زيد بن ثابت ، وأقضاهم علي ﷺ " واستفاد النبي ﷺ بما خص الله تعالى بعض أصحابه بمواهب وفروق فردية فعَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدٍ، أَنَّ أَبَاهُ زَيْدًا، أَخْبَرَهُ: أَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ، قَالَ زَيْدٌ: ذُهِبَ بِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأُعْجِبَ بِي، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا غُلَامٌ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، مَعَهُ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ بِضْعَ عَشْرَةَ سُورَةً، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، وَقَالَ: "يَا زَيْدُ، تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودَ، فَإِنِّي وَاللهِ مَا آمَنُ يَهُودَ عَلَى كِتَابِي " قَالَ زَيْدٌ: فَتَعَلَّمْتُ لَهُ كِتَابَهُمْ، مَا مَرَّتْ بِي خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً حَتَّى حَذَقْتُهُ وَكُنْتُ أَقْرَأُ لَهُ كُتُبَهُمْ إِذَا كَتَبُوا إِلَيْهِ، وَأُجِيبُ عَنْهُ إِذَا كَتَبَ " "[2] .

وقد يأتي جواب النبي ﷺ مختلفاً باختلاف السائلين مراعياً الفروق الفردية بينهم فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ شَابٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أُقَبِّلُ وَأَنَا صَائِمٌ ؟ قَالَ: " لَا "، فَجَاءَ شَيْخٌ قَالَ: أُقَبِّلُ وَأَنَا صَائِمٌ ؟ قَالَ: " نَعَمْ " قَالَ: فَنَظَرَ بَعْضُنَا إِلَى بَعْضٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : " قَدْ عَلِمْتُ لِمَ نَظَرَ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ، إِنَّ الشَّيْخَ يَمْلِكُ نَفْسَهُ " "[3] .

---

[1]- ينظر المجموع شرح المهذب ١/٣١ .

[2]- أخرجه أبو داود في كتاب العلم ، باب رواية حديث أهل الكتاب قال الألباني :حسن صحيح.(٣ / ٣٥٦ ح ٣٦٤٧) ، والترمذي في كتاب الاستئذان عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ، باب ٢٢ ما جاء في تعليم السريانية. ، و قال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح وقد روي من غير هذا الوجه عن زيد بن ثابت رواه الأعمش عن ثابت بن عبيد الأنصاري عن زيد بن ثابت قال أمرني رسول الله صلى الله عليه و سلم أن أتعلم السريانية قال الشيخ الألباني : حسن صحيح (٥ / ٦٧ ح ٢٧١٥)،و أحمد (٣٥ / ٤٩٠ ح ٢١٦١٨) ، وقال محققا الكتاب : إسناده حسن من أجل عبد الرحمن: وهو ابن أبي الزناد. وذكره البخاري معلقا بصيغة الجزم في كتاب باب هَلْ يَجُوزُ لِلْحَاكِمِ أَنْ يَبْعَثَ رَجُلًا وَحْدَهُ لِلنَّظَرِ فِي الْأُمُورِ (٩ / ٧٦ ح ٧١٩٥) ، وأخرجه في التاريخ الكبير ١ (٣ / ٣٨٠ ت ١٢٧٨) .

[3]- أخرجه أحمد ٣٥١/١١ح٦٧٣٨ ،وقال محققا الكتاب : إسناده ضعيف على خلاف في صحابيه، ابن لهيعة -وهو عبد الله-: سيىء الحفظ، وقيصر التجيبي: ترجمه البخاري في "التاريخ الكبير" ٢٠٤/٧، ٢٠٥، وابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" ١٤٨/٧، وابن حبان في "الثقات" ٣٢٥/٥، ولم ينسبوه،

في الحديث اختلف جواب النبي ﷺ باختلاف السائل أما الشاب فلا يملك نفسه والشهوة فيه شديدة فلا يقبل ، أما الشيخ فالشهوة فيه أقل وهو أملك لنفسه وتماديه في الفعل مأمون لذلك رخص له بالتقبيل .

وبوب الإمام البخاري في صحيحه باب مَنْ خَصَّ بِالْعِلْمِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ كَرَاهَةَ أَلا يَفْهَمُوا ، وهذا يدل على وجوب مراعاة الفروق الفردية بين المستمعين خشية الوقوع في سوء الفهم ، وذكر تحت هذا الباب حديث أَنَسٌ ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - قَالَ لِمُعَاذٍ - وهو رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ ، فَقَالَ : يَا مُعَاذُ - ، قَالَ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ ، ثَلاثًا ، قَالَ : مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَادِقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ ، قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَفَلا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُونَ ؟ قَالَ : إِذًا يَتَّكِلُوا - . وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا .. [1]

قال المهلب : فيه أنه يجب أن يُخَصَّ بالعلم قوم لما فيهم من الضبط ،وصحة الفهم ، ولا يبذل المعنى اللطيف لمن لا يستأهله من الطلبة ومن يخاف عليه الترخص والاتكال لقصير فهمه ، كما فعل ﷺ، وقد قال مالك بن أنس : من إذالة العالم أن يجيب كل من سأله - ، وإنما أراد ألا يوضع العلم إلا عند من يستحقه ويفهمه . وفيه : أن من عَلَّمَ علمًا - والناس على غيره من أخذ بشدة ، أو ميل إلى رخصة - كان عليه أن يودعه مستأهله ،ومن يظن أنه يضبطه كما فعل معاذ حين حدث به بعد أن نهاه النبي ﷺ عن أن يخبر به خوف الاتكال " [2]

ولقد كان النبي ﷺ يراعى الفروق الفردية بين أصحابه فيطلب من أبى بكر ﷺ مالا يطلبه من على ﷺ في الهجرة ، ويطلب من حسان بن ثابت ﷺ المنافحة باللسان ، ويطلب من خالد ﷺ المنافحة بالسنان ، ويثنى على عثمان ﷺ إنفاقه في سبيل الله ، ويثنى على أبى بن كعب ﷺ تقدمه في العلم ، وينهي أبا ذر ﷺ من تولى الإمارة وغير

وذكروا كُلهم أنه يروي عن ابن عمر، وكذا ذكر الحسيني في "الإكمال"، وتابعه الحافظ ابن حجر في "التعجيل" ص ٣٤٦، ٣٤٧. ، وقال الهيثمي : رواه أحمد والطبراني في الكبير وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه كلام (ينظر مجمع الزوائد - (٣ / ٣٨٨) .

[1]- سبق تخريجه ص ٩٢ .

[2]- شرح صحيح البخاري ــ لابن بطال - (١ / ٢٠٦ ، ٢٠٧) .

ذلك ،ومما يؤثر على الطلاب سلبا أن يخص المعلم بعض التلاميذ بالمودة دون البعض خاصة إذا كانوا متساوين في العلم ،والتحصيل ،أما المجتهد فإنه يشجع ،ويثنى عليه حتى يقتدي به غيره ، ويتنافس معه في طلب العلم والتحصيل ، يقول ابن جماعة : على المعلم أن لا يظهر للطلبة تفضيل بعضهم على بعض عنده في مودة أو اعتناء مع تساويهم في الصفات من سن أو فضيلة أو تحصيل ، أو ديانة فإن ذلك ربما يوحش منه الصدر ،وينفر منه القلب ، فإن كان بعضهم أكثر تحصيلاً ،أو أشد اجتهاداً أو أبلغ اجتهاداً أو أحسن أدباً فأظهر إكرامه وتفضيله وبين أن زيادة إكرامه لتلك الأسباب فلا بأس بذلك لأنه ينشط ،ويبعث على الاتصاف بتلك الصفات[1].

يقول أمير الشعراء أحمد شوقي :

وإذا المعلمُ لم يكن عدلاً مشى ... روحُ العدالةِ في الشبابِ ضئيلا

وإذا المعلمُ ساءَ لحظَ بصيرةٍ ... جاءتْ على يدهِ البصائرُ حُولا

وإذا أتى الإرشادُ من سببِ الهوى ... ومن الغُرورِ فسمّه التضليلا [2] [3]

---

[1]- ينظر تذكرة السامع والمتكلم ص ١٠٠ .

[2]- ينظر الشوقيات ١٨٣/١ .

[3]- ينظر كتاب مع المعلمين ١٥١/١ للشيخ محمد بن إبراهيم الحمد .

المطلب الثامن

﴿ عدم قطع الكلام لإجابة السائل ،والسكوت قبل الإجابة ﴾

عدم إجابة السائل أثناء الكلام مراعاة لحق المتعلمين ،وحق المعلم ،وحق الكلام ، أما حق المتعلمين فيتمثل في عدم التشويش عليهم ، وعدم قطع تواصلهم مع معلمهم وانتباههم إليه ، وعدم تقديم رغبة طالب أو طالبين على رغبة الجميع ، أو عدم تقديم مصلحة طالب على مجموع الطلاب ، كما أن في قطع الكلام قد يورث الملل أو الضجر عند الطالب .أما حق المعلم فهو في عدم قطع حبل أفكاره وتسلسل الأفكار في ذهنه ،أما حق الكلام نفسه أن يكون موصولاً حتى يفهم ،ويستوعب ، ولا يقطع بعضه عن بعض ، وعدم إجابة السائل أثناء الحديث مراعاة للحقوق السابق ذكرها وقع ذلك من رسول الله ﷺ كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : مَتَى السَّاعَةُ ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّه ﷺ يُحَدِّثُ فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ ،وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ : أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِلُ عَنْ السَّاعَةِ ؟ قَالَ : هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّه قَالَ : فَإِذَا ضُيِّعَتْ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ قَالَ :كَيْفَ إِضَاعَتُهَا : قَالَ : إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِه فَانْتَظِرْ السَّاعَةَ [1] . قال المهلب رحمه الله : في هذا الحديث أن من أدب المتعلم ألا يسأل العالم مادام مشتغلاً بحديث أو غيره ، لأن من حق القوم الذين بدأ بحديثهم ألا يقطعه عنهم حتى يتمه ، فهذا حق المستمعين ، وحق المعلم ألا يقطع حبل أفكاره ،وانتظام سرد جمله والتشويش عليه ، وحق السائل ألا يقوم المعلم بتعنيفه ،وزجره ؛لأن النبي ﷺ لم يوبخ السائل قبل كمال حديثه ،ويؤخذ من الحديث أنه يجوز للمتعلم أن يراجع المعلم فيما لم يفهمه فقد قال السائل : وكيف إضاعتها ؟ فأخبره النبي ﷺ بأن إضاعة الأمانة بأن يسند الأمر إلى من لا يستحق ،وليس له كفئاً[2] .ربما يقطع النبي ﷺ الخطبة لشئ هام لا يتأخر كأن يأتي رجل راغباً في الإسلام ،أو راغباً في العلم فالنبي ﷺ رحمة لا يتأخر عن طالب ،ولا

---

[1]- أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب من سئل علماً وهو مشتغل في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل ١/٢١ح٥٩ .

[2]- ينظر شرح صحيح البخاري لابن بطال ١/١٣٨ بتصرف .

يترك أي فرصة لهداية إنسان ، قَالَ أَبُو رِفَاعَةَ [1]: انْتَهَيْتُ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَخْطُبُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، رَجُلٌ غَرِيبٌ جَاءَ يَسْأَلُ عَنْ دِينِهِ، لَا يَدْرِي مَا دِينُهُ، قَالَ: " فَأَقْبَلَ إِلَيَّ، فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ، فَقَعَدَ عَلَيْهِ، فَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ تَعَالَى، قَالَ: ثُمَّ أَتَى خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا" [2].

وسكوت المعلم لحظة قبل الإجابة على السؤال يجذب انتباه الطلاب وتطلعهم لمعرفة الجواب ولقد استخدم النبي ﷺ هذا الأسلوب البليغ في حديث أَبِي بَكْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: الزَّمَانُ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَةِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا؛ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاَثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ، الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى ،وَشَعْبَانَ؛ أَيُّ شَهْرٍ هَذَا قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ ذُو الْحِجَّةِ قُلْنَا: بَلَى قَالَ: فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: أَلَيْسَ الْبَلْدَةَ قُلْنَا: بَلَى قَالَ: فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ قَالَ: أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ قُلْنَا: بَلَى قَالَ: فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ قَالَ مُحَمَّدٌ (أَحْدَ رِجَالِ السَّنَدِ) وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هذا فِي شَهْرِكُمْ هذَا؛ وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَسَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلاَ فَلاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي ضُلاَّلاً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلاَ لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يُبَلَّغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ فَكَانَ مُحَمَّدٌ إِذَا ذَكَرَهُ يَقُولُ: صَدَقَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم ثُمَّ قَالَ: أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ مَرَّتَيْنِ الحديث[3]

---

[1]- أبو رفاعة العَدَوي: تميم بن تميم بن أسيد وقيل : أسد بن عبد العزى بن جعونة الخزاعي أسلم و ولاه النبي ﷺ تجديد أنصاب الحرم وإعادتها نزل مكة ؛ قاله محمد بن سعد ، وله صحبة، قيل: غزا سجستان مع عبد الرحمن بن سَمُرة، غزا سجستان مع عبد الرحمن بن سمرة فقام في آخر الليل فسقط فمات قال بن عبد البر كان من فضلاء الصحابة بالبصرة قتل بكابل سنة أربع وأربعين وقال خليفة فتح بن عامر كابل سنة أربع وأربعين فقتل فيها ، وكان من فضلاء الصحابة بالبصرة، وقيل: كان بكابل. (ينظر أسد، أسد الغابة – (١ / ١٣٤) ، الإصابة في تمييز الصحابة – (٧ / ١٣٩) .

[2]- أخرجه مسلم في كتاب الجمعة ،باب استحباب حديث التعليم في الخطبة ٢/٥٩٧ح٨٧٦ .

[3]- أخرجه البخاري في كتاب العلم ،باب قول ﷺ رب مبلغ أوعى من سامع ١/٢٤ح٦٧ ،ومسلم في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص ، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال ٣/١٣٠٥ح١٦٧٩ .

.ما أجمل أسلوب النبي ﷺ في سكوته عقب كل سؤال ليتطلع المستمع لسماع الإجابة حتى إذا ألقيت عليه استوعبها ،وحفظها ،وما أجمل أدب الصحابة في ردهم العلم إلى الله ورسوله ، ووقوفهم عند الشرع مع سبق علمهم بأنه الشهر الحرام ، وأنها البلد الحرام ،وأنه يوم النحر ،ولكنه لم يكن لهم رأى مع الشرع الحنيف .

المطلب التاسع

﴿ الوعظ مرة بعد مرة ﴾

لقد كان النبي ﷺ يرفق بأصحابه حتى في التعليم فكان لا يعظهم كل يوم ولا يكثر عليهم الوعظ ويدل على هذا حديث شَقِيق،قال: كُنَّا نَنْتَظِرُ عَبْدَ اللهِ فِي الْمَسْجِدِ يَخْرُجُ عَلَيْنَا، فَجَاءَنَا يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ يَعْنِي النَّخَعِيَّ، قَالَ: فَقَالَ: أَلَا أَذْهَبُ فَأَنْظُرَ ؟ فَإِنْ كَانَ فِي الدَّارِ، لَعَلِّي أَنْ أُخْرِجَهُ إِلَيْكُمْ، فَجَاءَنَا، فَقَامَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: إِنَّهُ لَيُذْكَرُ لِي مَكَانُكُمْ فَمَا آتِيكُمْ كَرَاهِيَةَ أَنْ أُمِلَّكُمْ، لَقَدْ " كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا [1] بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ، كَرَاهِيَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا [2]" [3] .

فقد كان النبي ﷺ يعظ الصحابة في أوقات معلومة ،ولم يكن يستغرق الأوقات خوفا عليهم من الملل ،والضجر ، فإن قلت أيجوز أن يكون المراد من السآمة سآمة رسول الله ﷺ من القول قلت لا يجوز ويدل عليه السياق وقرينة الحال .قوله " كَرَاهِيَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا" وهو الضجر وأما الكراهية فبتخفيف الياء ومعنى يتخولنا : يتعاهدنا هذا هو المشهور في تفسيرها قال القاضي وقيل يصلحنا وقال ابن الأعرابي : معناه يتخذنا خولا وقيل يفاجئنا بها وقال أبو عبيد: يدللنا وقيل يحبسنا كما يحبس الإنسان خوله

---

[1]- يَتَخَوَّلُنَا بالمَوْعِظَةِ أي يَتَعَهَّدُنَا والخائل المُتَعَهِّدُ للشيءِ وقال أبو عَمرو بن العلاء إنَّما هو يَتَحوَّلُنا بالحاء والمعنى يَطلُبُ أحْوالَنا التي تَنْشَطُ فيها للموعظة قال ابن السكيت : معناه يصلحنا بها ويقوم علينا بها ويقال إن أصل الخائل الراعي ثم كثر ذلك في كلامهم حتى صار اسما لكل من ألزم خدمة وأكره عليها (ينظر غريب الحديث لابن الجوزي - (١ / ٣١٣) ، غريب الحديث للخطابي - (٢ / ٤٣٧) .

[2]- وقوله علينا إما يتعلق بالسآمة على تضمين السآمة معنى المشقة أي كراهة المشقة علينا إذ المقصود بيان رفق النبي ﷺ بالأمة وشفقته عليهم ليأخذوا منه بنشاط وحرص لا عن ضجر وملل وإما يجعل صفة والتقدير كراهية السآمة الطارئة علينا وإما يجعل حالا والتقدير كراهية السآمة حال كونها طارئة علينا وإما يتعلق بالمحذوف والتقدير كراهية السآمة شفقة علينا فافهم (ينظر فتح الباري ٢٢٨/١١) .

[3]- أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم ٢٧/١ .

،وهو يتخولنا بالخاء المعجمة عند جميعهم إلا أبا عمرو فقال هي بالمهملة أي يطلب حالاتهم ،وأوقات نشاطهم وفي هذا الحديث الاقتصاد في الموعظة لئلا تملها القلوب فيفوت مقصودها .. قال أبو الزناد : أراد ﷺ الرفق بأمته ليأخذوا الأعمال بنشاط وحرص عليها ، وقد وصفه الله بهذه الصفة ، فقال : ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ أي يطلب أحوالهم التي ينشطون فيها للموعظة فيعظهم ولا يكثر عليهم فيملوا [1] [2]

ومنه ما ورد عَنْ عِكْرِمَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ حَدِّثْ النَّاسَ كُلَّ جُمُعَةٍ مَرَّةً فَإِنْ أَبَيْتَ فَمَرَّتَيْنِ فَإِنْ أَكْثَرْتَ فَثَلَاثَ مِرَارٍ وَلَا تُمِلَّ النَّاسَ هَذَا الْقُرْآنَ وَلَا أُلْفِيَنَّكَ تَأْتِي الْقَوْمَ وَهُمْ فِي حَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِهِمْ فَتَقُصُّ عَلَيْهِمْ فَتَقْطَعُ عَلَيْهِمْ حَدِيثَهُمْ فَتُمِلُّهُمْ وَلَكِنْ أَنْصِتْ فَإِذَا أَمَرُوكَ فَحَدِّثْهُمْ وَهُمْ يَشْتَهُونَهُ فَانْظُرْ السَّجْعَ مِنْ الدُّعَاءِ فَاجْتَنِبْهُ فَإِنِّي عَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ يَعْنِي لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا ذَلِكَ الِاجْتِنَابَ "[3]

عن عكرمة هو مولى عبد الله بن عباس وهو أحد فقهاء مكة وتابعيها أن ابن عباس وهو عبد الله إذا أطلق قال أي لعكرمة حدث الناس أي بالآية والحديث والوعظ كل جمعة بضم الميم ويسكن أي في كل أسبوع مرة أي في يوم من أيامها فإن أبيت أي التحديث مرة ،وأردت الزيادة حرصا على إفادة العلم ونفع الناس فمرتين أي فحدث مرتين فإن أكثرت أي أردت الإكثار فثلاث مرات ولا تمل بفتح اللام ويجوز كسرها وهو بضم الفوقانية من الرباعي الناس هذا القرآن يقال مللته ومللت منه بالكسر سئمته .قال الطيبي : إشارة إلى تعظيمه فرتب وصف التعظيم على الحكم للإشعار بالعلية أي لا تحقر هذا العظيم الشأن الذي جبلت القلوب على محبته ،وعدم الشبع منه أي وإذا كان ذلك الإكثار يوجب الملل عما هذه أوصافه فما بالك بغيره من العلوم التي جبلت النفوس على النفرة من مشاقها ومتاعبها ،قوله : " وَلَا أُلْفِيَنَّكَ تَأْتِي الْقَوْمَ وَهُمْ فِي حَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِهِمْ فَتَقُصُّ عَلَيْهِمْ فَتَقْطَعُ عَلَيْهِمْ حَدِيثَهُمْ فَتُمِلُّهُمْ وَلَكِنْ أَنْصِتْ فَإِذَا أَمَرُوكَ فَحَدِّثْهُمْ وَهُمْ

---

[1]- سورة التوبة آية رقم ١٢٨.

[2]- ينظر شرح النووي على مسلم - (١٧ / ١٦٣ ، ١٦٤) شرح صحيح البخاري ــ لابن بطال - (١ / ١٥٣) ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري - (٢ / ٤٩٢ ، ٤٩٣)، فتح الباري (١١ / ١٣٩) .

[3]- أخرجه البخاري في كتاب الدعوات ، باب مَا يُكْرَهُ مِنْ السَّجْعِ فِي الدُّعَاءِ (٨ / ٧٤ ح ٦٣٣٧) .

يَشْتَهُونَهُ " في هذا الأثر يطلب عبد الله بن عباس من تلميذه عكرمة رحمه الله أن لا يشق على تلاميذه في الموعظة ولتكن موعظته في الجمعة ثلاث مرات على أقصى تقدير حتى لا يمل الناس من الحديث ، ويطلب منه أن يعظهم وقت نشاطهم وهم يشتهون الموعظة ، وطلب منه أن لا يقطع حديثهم من أجل الموعظة [1].

واقتدى بالنبي ﷺ تلاميذه البررة رضي الله عنهم فسلكوا طريق نبيهم ﷺ في التربية والتعليم فلم يشقوا على من يربونهم ، وها هو عبد الله بن مسعود يطلب منه أن يذكر الناس كل يوم فيأبى ويقتصر على يوم في الأسبوع ، خوفاً من أن يملوا فينصرفوا عنه وعن علمه .كما في حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ كَانَ يُذَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ خَمِيسٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ قَالَ: أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمِلَّكُمْ وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا، مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا [2] " [3]

---

[1]- ينظر فتح الباري - ابن حجر - (١١ / ٢٢٨) ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - (٢ / ١٧٦)

[2]- أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب من جعل لأهل العلم أياماً معلومة ١/٢٥ح٧٠ ، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، باب الاقتصاد في الموعظة (٤ / ٢١٧٢ ح ٢٨٢١) .

[3]- ينظر كتاب أضواء من السنة للأستاذ الدكتور / الخشوعي الخشوعي صـ٩٨ .

خاتمة

الحمد لله في الأولى والآخرة ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ورحمة الله للعالمين سيدنا محمد ﷺ وبعد : فإن السنة المطهرة بحر زاخر بالمعاني العالية ، والأساليب الراقية التي يستفيد بها القاصي ، والداني ، ولقد استفدت من هذا البحث الكثير ،والكثير ، وخلصت منه ببعض النتائج الآتية :

أولا : أيما وجهت وجهتك شطر السنة وجدت فيها علما مفيدا ، وثقافة فياضة في كل مناحي الحياة .

ثانيا : لقد حرص النبي ﷺ على تعليم أمته فسلك كل الطرق الموصلة إلى غايته هذه .

ثالثا : لقد سبق النبي ﷺ كل النظم التربوية الحديثة التي تتشدق بها ألسنة الغرب .

رابعا : لقد عايش النبي ﷺ الحدث ، والحديث .

خامسا : لقد راعى النبي ﷺ نفسية المستمع ، وحالته ، وقدراته الذهنية .

سادسا : لقد تنوعت أساليب النبي ﷺ التعليمية .

سابعا : استخدم النبي ﷺ الكلمات السهلة المستعملة ، وبعد عن كل متروك، ومستهجن.

ثامنا : لقد كان رسول الله ﷺ بحق فارس الكلمة الأول ،والأوحد ، ومهندس الأساليب .

تاسعا : لقد استعمل النبي ﷺ الأسلوب الحكيم في بعض إجاباته .

عاشرا : لقد أرسى النبي ﷺ القواعد ،والنظريات ، والأسس التربوية الحقة ، التي ينبغي على المعلمين ، والمتعلمين أن يراعوها حتى ينجحوا في الدنيا ، ويفلحوا في الآخرة .

أما التوصيات :

أولا : ينبغي على المعلمين أن يطالعوا تلك الأساليب التعليمية الواردة في السنة .

ثانيا : ينبغي على الناظر في السنة المطهرة أن يكون نظره فاحصا ؛ فإن في السنة الكثير ، والكثير من الفوائد .

ثالثا : عمل مؤتمرات ، وندوات ؛ لإظهار كنوز السنة المتنوعة في مناحي الحياة .

رابعا : تبسيط الأفكار،والمعلومات التي تشتمل عليها السنة المطهرة للطلاب ، والدارسين

وأخيرا الله أسأل أن يعلمنا ما ينفعنا ، وأن ينفعنا بما علمنا إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلي اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين .

فهرس المصادر والمراجع مرتبا على حروف المعجم

أولا : القرآن الكريم جل وعز من أنزله .

ثانيا :

١- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ، المؤلف : تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري ، المعروف بابن دقيق العيد (المتوفى : ٧٠٢هـ) ، المحقق : مصطفى شيخ مصطفى ، ومدثر سندس ، الناشر : مؤسسة الرسالة ، الطبعة : الطبعة الأولى ، سنة١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م .

٢- إعلام الموقعين عن رب العالمين ، المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب أبو عبد الله ابن قيم الجوزية ، الناشر : *دار الجيل - بيروت ، سنة ١٩٧٣م ، تحقيق : طه عبد الرءوف سعد .*

٣- الإتقان في علوم القرآن ، المؤلف : عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي ،بدون

٤- الاستيعاب في معرفة الأصحاب المؤلف : الشيخ يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر سنة الولادة / سنة الوفاة ٤٦٣مصدر الكتاب : موقع الوراق ، http://www.alwarraq.com

٥- الإصابة في تمييز الصحابة ، المؤلف : أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، الناشر : دار الجيل - بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٢هـ ، تحقيق : علي محمد البجاوي .

٦- الأمثال في القرآن الكريم لابن القيم الجوزية ، تحقيق : سعيد محمد النمر الخطيب ، ط دار المعرفة .

٧- الإيضاح في علوم البلاغة ، للخطيب القزويني ، تحقيق الشيخ بهيج غزاوي ، الناشر دار إحياء العلوم ، سنة النشر ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨ م ،مكان النشر بيروت .

٨- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث بن أبي أسامة [م ١٨٦ - ت ٢٨٢] المؤلف : نور الدين الهيثمي [ت٨٠٧] المحقق : د. حسين أحمد صالح الباكري الناشر : مركز خدمة السُنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة الطبعة : الأولى ، سنة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢ م.

٩- البصيرة في الدعوة إلى الله المؤلف : عزيز بن فرحان العنزي & تقديم صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ، الطبعة : الأولى ،الناشر : دار الإمام مالك - أبو ظبي ، تاريخ النشر : ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ، عدد الصفحات : ١٤٤ .

١٠- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها المؤلف : عبد الرحمن الميداني . بدون

١١- تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف : محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ،أبو الفيض ، الملقب بمرتضى ، الزَّبيدي تحقيق مجموعة من المحققين ، الناشر : دار الهداية .

١٢- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي المؤلف : محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت .

١٣- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة ، المؤلف : أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني ،المحقق : د. إكرام الله إمداد الحق ، الناشر : دار البشائر ـ بيروت ، الطبعة : الأولى ـ سنة ١٩٩٦ م .

١٤- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، المؤلف : محمد رشيد بن علي رضا (المتوفى : ١٣٥٤هـ)الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة النشر : ١٩٩٠ م .

١٥- تفسير الفخر الرازي ، المؤلف : محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي أبو عبد الله فخر الدين المسمى مفاتيح الغيب من القرآن الكريم. ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي .

١٦- تقريب التهذيب ، المؤلف : الحافظ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ، سنة الولادة ٧٧٣/ سنة الوفاة ٨٥٢ ، تحقيق محمد عوامة ، الناشر دار الرشيد ، سنة النشر ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م، مكان النشر سوريا

١٧- تنوير الحوالك شرح موطأ مالك ،المؤلف : عبد الرحمن بن أبي بكر أبو الفضل السيوطي ،الناشر : المكتبة التجارية الكبرى - مصر ، سنة ١٣٨٩ هـ - ١٩٦٩ م ،عدد الأجزاء : ٢ .

١٨- تهذيب التهذيب ، المؤلف : الحافظ ابن حجر العسقلاني ، مصدر الكتاب : موقع يعسوب ، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع] .

١٩- التاريخ الكبير ،مصدر الكتاب : موقع يعسوب ، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع] .٢٠ - التعريفات ، المؤلف : الشريف علي بن محمد بن علي الجرجاني ، الناشر : دار الكتاب العربي - بيروت ،الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٥ هـ ، تحقيق : إبراهيم الإبياري .

٢١- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد المؤلف : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر ابن عاصم النمري القرطبي (المتوفى : ٤٦٣هـ)المحقق : مصطفى بن أحمد العلوى ،ومحمد عبد الكبير البكرى الناشر : مؤسسة قرطبة .

٢٢- التيسير بشرح الجامع الصغير المؤلف : الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي دار النشر / مكتبة الإمام الشافعي - الرياض - سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م الطبعة: الثالثة .

٢٣- الثقات المؤلف : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي ، الناشر : دار الفكر ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥ م ، تحقيق : السيد شرف الدين أحمد .

٢٤- جامع بيان العلم وفضله ،المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي ، دراسة وتحقيق: أبو عبد الرحمن فواز أحمد زمرلي ، الناشر: مؤسسة الريان - دار ابن حزم ، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٤هـ - عدد المجلدات: [٢] .

٢٥- جامع الأحاديث القدسية- قسم الضعيف والموضوع ،المؤلف : الشيخ أبو عبد الرحمن عصام الدين الصابطي.

٢٦- الجرح والتعديل ،مصدر الكتاب : موقع يعسوب ، [ترقيم الكتاب موافق للمطبوع]

٢٧- حاشية السندي على سنن ابن ماجة ، مصدر الكتاب : موقع الإسلام ، المؤلف : نور الدين بن عبد الهادي أبو الحسن السندي (المتوفى : ١١٣٨هـ) ، مصدر الكتاب http://www.al-islam.com .

٢٨- حاشية السندي على النسائي ، المؤلف : نور الدين بن عبد الهادي أبو الحسن السندي ، الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب ، الطبعة الثانية ،سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة .

٢٩- حلية الأولياء ،وطبقات الأصفياء ، المؤلف : أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، الناشر : دار الكتاب العربي - بيروت ، الطبعة الرابعة ، سنة ١٤٠٥ هـ .

٣٠- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، الحافظ الفقيه صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري اليمني ، سنة الولادة ٩٠٠ هـ ، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة ، الناشر مكتب المطبوعات الإسلامية/دار البشائر ، سنة النشر ١٤١٦ هـ ، مكان النشر حلب / بيروت .

٣١- سبل السلام ، المؤلف : محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني (ت ١١٨٢هـ) ،الناشر : مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، الطبعة : الرابعة سنة ١٣٧٩هـ/ ١٩٦٠م .

٣٢- سنن أبي داود المؤلف : أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الناشر : دار الكتاب العربي بيروت .

٣٣- سنن الترمذي المؤلف : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ،الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها .
٣٤- سنن النسائي المسمى بالمجتبى من السنن المؤلف : أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية حلب الطبعة الثانية ، سنة ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة ،الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها .
٣٥ – سنن ابن ماجه المؤلف : محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني الناشر : دار الفكر- بيروت تحقيق و تعليق : محمد فؤاد عبد الباقي ، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها .
٣٦- سنن الدار مي المؤلف : عبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ، سنة ١٤٠٧ هـ تحقيق : فواز أحمد زمرلي ،و خالد السبع العلمي.
٣٧- السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي ، المؤلف : أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، ومؤلف الجوهر النقي: علاء الدين علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني ، الناشر : مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد ، الطبعة : الأولى ، سنة ١٣٤٤ هـ ، عدد الأجزاء : ١٠ ، مصدر الكتاب : موقع وزارة الأوقاف المصرية وقد أشاروا إلى جمعية المكنز الإسلامي .
٣٨- شرح السنة ــ للإمام البغوى المؤلف : الحسين بن مسعود البغوي دار النشر : المكتب الإسلامي – دمشق ــ بيروت ، سنة ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م الطبعة : الثانية تحقيق : شعيب الأرناؤوط ،و محمد زهير الشاويش .
٣٩- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك المؤلف : محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني سنة الوفاة ١١٢٢ هـ ، الناشر : دار الكتب العلمية ، سنة النشر ١٤١١هـ، مكان النشر : بيروت .
٤٠- شرح صحيح البخاري ــ لابن بطال المؤلف : أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي دار النشر : مكتبة الرشد – السعودية / الرياض ، سنة ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م الطبعة : الثانية تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم .
٤١- شرح سنن أبي داود المؤلف : أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى : ٨٥٥هـ) المحقق : أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري ،الناشر : مكتبة الرشد – الرياض ،الطبعة : الأولى سنة ١٤٢٠ هـ -١٩٩٩ م .
٤٢- شرح حديث جابر في صفة حجة النبي صلى الله عليه وسلم شرح عبد العزيز الطريفي ، جامع أبي بكر الصديق بالرياض ، ذو الحجة سنة ١٤٢٣ للهجرة أشرف على تفريغة / حمود المطيري غفر الله له
٤٣- صحيح البخاري المسمى بالجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه المؤلف : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله المحقق : محمد زهير بن ناصر الناصر ،الناشر : دار طوق النجاة ،الطبعة الأولى ، سنة١٤٢٢هـ .
٤٤- صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج القشيري ، بتحقيق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي .
٤٥- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان المؤلف : محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الثانية ، سنة١٤١٤هـ – ١٩٩٣ م ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط .
٤٦- صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني الناشر : المكتب الإسلامي .
٤٧- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، المؤلف : بدر الدين العيني الحنفي ، مصدر الكتاب : ملفات وورد من ملتقى أهل الحديث ، [الكتاب مرقم آليا غير موافق للمطبوع] ،http://www.ahlalhdeeth.com

٤٨- عون المعبود شرح سنن أبي داود المؤلف : محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الثانية ،سنة ١٤١٥هـ .

٤٩- غريب الحديث ، المؤلف : حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي أبو سليمان ، الناشر : جامعة أم القرى – مكة المكرمة ، سنة ١٤٠٢هـ ، تحقيق : عبد الكريم إبراهيم العزباوي .

٥٠- غريب الحديث ، المؤلف : القاسم بن سلام الهروي أبو عبيد ، الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى ، سنة١٣٩٦ ، تحقيق : د.محمد عبد المعيد خان ،عدد الأجزاء : ٤ .

٥١- غريب الحديث ، المؤلف : أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٨٥ ، تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي .

٥٢- فتح الباري شرح صحيح البخاري المؤلف : الحافظ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ،الناشر : دار المعرفة – بيروت ، سنة ١٣٧٩هـ .

٥٣- فتح الباري المؤلف :زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب ، دار النشر : دار ابن الجوزي – السعودية / الدمام – الطبعة : الثانية ، سنة ١٤٢٢هـ ، تحقيق : أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد عدد الأجزاء : ٦ .

٥٤- فيض القدير للشيخ عبد الرؤوف المناوي الناشر : دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة الأولى ، سنة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م .

٥٥- الفائق في غريب الحديث المؤلف : محمود بن عمر الزمخشري الناشر : دار المعرفة – لبنان الطبعة الثانية تحقيق : علي محمد البجاوي ،ومحمد أبو الفضل إبراهيم .

٥٦- الفقيه والمتفقه المؤلف :أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، المعروف بالخطيب البغدادي(م٣٩٢- ت٤٦٣هـ) .المحقق : عادل بن يوسف العزازي الناشر :دار ابن الجوزي بالسعودية، سنة ١٤١٧هـ.

٥٧- القاموس المحيط المؤلف : محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ،بدون

٥٨- كشف المشكل من حديث الصحيحين ، المؤلف / أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي، دار النشر : دار الوطن – الرياض – ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م ، تحقيق : علي حسين البواب .

٥٩- لسان العرب المؤلف : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري الناشر : دار صادر – بيروت الطبعة الأولى .

٦٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد المؤلف : نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي الناشر : دار الفكر، بيروت – ١٤١٢ هـ .

٦١- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح المؤلف : الملا علي القاري ،بدون

٦٢- مسند الإمام أحمد بن حنبل المؤلف : أحمد بن حنبل المحقق : شعيب الأرنؤوط ،وآخرون الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الثانية ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م .

٦٣- مسند أبي يعلى المؤلف : أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى الموصلي التميمي الناشر : دار المأمون للتراث دمشق الطبعة الأولى ، ١٤٠٤ - ١٩٨٤ تحقيق : حسين سليم أسد ،و محمد السعيد بسيوني زغلول.

٦٣- الكتاب : مشكاة المصابيح ، المؤلف : محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة : الثالثة – ١٤٠٥ – ١٩٨٥ ، تحقيق : تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، عدد الأجزاء : ٣